

مجلة الأمل

تأسست سنة ١٩٦٩



العدد الأول - كانون الثاني ٢٠٠٨

الجمهورية اللبنانية
وزارة الدفاع الوطني
قيادة الجيش
مديرية التوجيه
رقم: ٤٩٤/م ت
تصنيف: ١/٤١٤

ترخيص تصوير

المستند: قرار رقم ٥٨٦٧/أ/١١ تاريخ ٢٠٠٧/١٠/١١

يرخص لمجلة "الامل" التي تصدر عن الرهينة المارونية، بزيارة ومقابلة بعض الجرحى العسكريين في المستشفى العسكري المركزي، على ان تتحصر المقابلة بالموضوع الاستشفائي والانساني فقط، باشراف ضابط الامن والتوجيه في الطبابة العسكرية، وتزود المجلة المذكورة بالصور والمعلومات اللازمة لجميع الشهداء الذين سقطوا في معركة نهر البارد على قرص مدمج CD .

- يعمل بهذا الترخيص لغاية ٢٠٠٧/١٠/٣٠.

ملاحظة:

- يتم التنفيذ بالتنسيق مع مديرية التوجيه.
- تكليف ضابط من مديرية التوجيه لشرح المفهوم العسكري للاستشهاد.
- تزود مديرية التوجيه بقرص مدمج CD عن مواضيع المجلة قبل استثمارها.

البرزة في ٢٠٠٧/١٠/١١

العماد سليمان قائد الجيش

عنه: العميد الركن حاج سليمان مدير التوجيه



المرسل اليهم:

- أركان الجيش للعمليات
- مديرية المخابرات
- مكتب القائد
- أمانة الأركان
- الطبابة العسكرية
- محافظة/ منسق

تحية شكر وامتنان

نشكركم لأنكم فتحتم لنا أبوابكم وقلوبكم.
نشكركم لأنكم منحتمونا ثقتكم، فبتنا مسؤولين أمامكم،
وأمام الوطن والله.
نشكركم لأنكم جعلتمونا نفهم معنى المواطنة والاستشهاد،
معنى الحياة.

قيادة الجيش اللبناني - مديرية التوجيه، الصليب الأحمر
اللبناني، الأب الحبيس يوحنا الخوند، الأب لويس الخوند، الأب
جوزف قزي، الأب إيلي قزي، السيدة غالية نعيمة وعائلتها،
السيد الياس والسيدة حنان الليطاني، السيد عزيز والسيدة بديعة
أحمد، السيد محمد صوفان وعائلته، السيدة نسرين شومان،
السيد ميشال سليمان وعائلته، الدكتور ميشال معماري، السيد
بطرس معماري.

مجلة الأمل

تصدر عن جماعة الإخوة الدارسين في الرهبانية اللبنانية المارونية
دير سيّدة طاميش، بيت الشعار، المتن-لبنان



المدير المسؤول: الأب الرئيس أنطوان سلامة

رئيس التحرير: الأخ شربل يوسف

أمانة السرّ: الأخ شربل عساف، الأخ رولان بوجوده

مراجعة النصوص: الأب الحبيس يوحنا الخوند

الأب لويس الخوند

الإخراج الفني والطباعة: ديناميك غرافيك للطباعة والنشر

للمراجعة: دير سيّدة طاميش، المتن-لبنان

تلفون: ٩٢٠١٦٠-٩٢٦٥٩٩/٤

فاكس: ٩١٣٥٩٧/٤

البريد الإلكتروني: amaltamiche@hotmail.com

صورة الغلاف: إعداد الأخ شربل - دانيال بو حيدر

الشهيد شمعة تذب لت رسم حدود الوطن، شمعة تصبح شعلتها شعاعاً أبدياً يضاهي الأرض في خلوده.
والعلم اللبناني يرفرف متخطياً الحدود والحواسز، يُعرّف بنا شعوب الأرض كلّها. إنه رمز سيادتنا وحرّيتنا.

المحتوى

- الافتتاحية شهادة تكرم رجاء الأب الرئيس أنطوان سلامه ————— ٩
- كلمة التحرير لِيَبْقَى لبنان الأخ شربل يوسف ————— ١١
- القسم الأول: مواضيع في الشهادة والاستشهاد ————— ١٧
- رموز باتت حقيقة الأخ رولان بو جوده ————— ١٩
- بأجنحة مكسرة أصفق الأخ سلوانس ————— ٢٩
- المفهوم العسكري للإستشهاد الأخ جورج صادق والأخ شربل عسّاف — ٣٩
- الشهادة حتّى الاستشهاد الأخ جاد القصيفي ————— ٤٧
- مقارنة لاهوتية للإستشهاد الأخ حسيب مرعي والأخ جورج ليشع — ٥٤
- الإستشهاد في الإسلام الأخ فادي كميّد ————— ٦٢
- القسم الثاني: مقابلات مع بعض أهالي شهداء الجيش
- الأخ شربل يوسف والأخ سلوانس ——— ٧١
- الشهيد نقولا فهمي نعيمة ————— ٧٣
- الشهيد مارون الياس الليطاني ————— ٨٩
- الشهيد باسم عزيز أحمد ————— ١٠٧
- الشهيد فراس محمّد صوفان ————— ١٢٢
- الشهيد يوسف حسين شومان ————— ١٣٤
- تحية و يعد الأخ شربل يوسف ————— ١٤٧

القسم الثالث: الصليب الأحمر اللبنانيّ

١٥٥ - الأب أوغسطين عون والأخ مارون الفغالي -

- الصليب الأحمر اللبنانيّ: عطاءٌ بلا حدود

١٥٧ - الأخ مارون الفغالي -

١٦٥ - حديث مع عائلة الشهيد هيثم ميشال سليمان -

١٧٨ - حديث مع عائلة الشهيد بولس جوزف معماري -

١٩١ - شهداء الجيش اللبنانيّ في معركة نهر البارد - القسم الرابع:

٢١٥ - الأخ ربيع شليطا - مُلحَق الصُّور

٢٥٥ - المراجع المُتَمَدِّة



كلمة الإفتتاح

شهادتكم رجاء

مَن أنا لأكتب عن الشهادة؟ فكلمتني هزيلة أمام عظمة الشهادة وهول ما حدث. تعزيتي هي أنني تعبتُ وخفتُ وأدركتُ عظم المسؤولية، فقدّمتُ كلمتي صلاة، وعاهدتُ ذاتي على عيش ما أعطيتُموني يا شهداء الجيش اللبناني من ثقة ورجاء.

تقف رهبانيتي اليوم خاشعةً وتعي حبكم، أيها الأبطال، وتكتشف إيمانكم فتكونون "الرجاء الذي لا يُخيب". تحاول رهبانيتي بشخص الإخوة الدارسين في دير سيّدة طاميش إيفاءكم القليل من حقكم، فتعاهدكم لا الكتابة فقط، بل العيش أيضًا. رهبانيتي التي أعطت الشهداء، تفخرُ بأنّها إلى جانبكم تبني وطنًا لن يموت: فديرنا اليوم يُصلي لكم ومعكم.

أيها الشهداء دعوني أكلّمكم مباشرةً وجهًا لوجه. دعوني أحوّل كلمتي فعل شكرٍ وصلاة صادقة. فهل تسمعونني بعدما أسمعتموني صوتكم؟

يا شهداء، روّيتم الأرض بدمائكم فأعدتُم إليها خصبها.
يا أبطالاً ضاق بكم الوطن فرحتم إلى بعيدٍ لتُعيدوه أكثر من وطن.

يا رفاقاً أوفياء، جعلتم صدقكم وتواضعكم يُخفّرُ جبيننا.
لقد اكتشفناكم في دَمعةِ الأمِّ وحرقةِ الزوجةِ وحزنِ الأولاد.
يا مؤبّخي النفوس الحائرة والظالمّة، كونوا لهم يقظة.
لقد حضرتم في قلوب الجميع وعقولهم، لذلك نفخر بكم،
لا لنعطيكُم وساماً فانياً فها قد أخذتموه وسماً حياً على جبينكم
وفي أجسادكم.

فيا أيّها المناضِلون الشرفاء، ستبقون منارةً تُزيّنون ساحات
الدمار بِورودِ الرجاء.

عرفناكم اليومِ درعاً واقياً لوطننا فلن نخاف من أعدائنا أو
أعدائكم الذين ألوا على أنفسهم الخراب، فهم وراء قُصورهم
يغدرون بكم ويعزّون بموتكم ويمشون في جنازاتكم.
علّموهم الغفران، فأنتم كالذهب الصافي وهم كالقشّ الفاني.

فمن أيّ صخرٍ نحتّم يا عواميد نابضة تبنى قلعة الصمود.
من أيّ طينة أنتم يا معشر الطيبين: لقد زرعتم فينا حبّ
الشهادة. نشكركم ونهديكم ثقتنا ونعاهد رفاقكم بأن نبقى
معهم، نحن الرهبان، إخوة وأصدقاء.

يا شهداءنا الأبطال، أنتم علامة فارقة: فخركم أنكم مدرسة
تحملُ شهادات موقّعة بدمائكم. أنتم علامة الرجاء تنتصبون
ملوكاً وعلى رأسكم تيجان الافتخارِ فافرحوا واسعدوا.

يكفي أنكم شهداء.

الأب الرئيس أنطوان سلامة



كلمة التحرير

لِيَبْقَى لِبْنَان!

الرَّهْبَانِيَّةُ اللَّبْنَانِيَّةُ المَارُونِيَّةُ، أَوْ البَلَدِيَّةُ، هِيَ وَليدَةُ لِبْنَانِ، هَذَا البَلَدُ الصَّغِيرُ الكَبِيرُ. حَمَلَتْ اسْمَهُ رَايَةً تَرَفَعُهَا أَيْنَمَا حَلَّتْ فِي هَذَا العَالَمِ، تَفَخَّرُ بِهِ وَيَفْخَرُ بِهَا. تَعَانِقُهُ فِي مَجْدِهِ وَمِحْنِهِ وَتُحِبُّهُ فِي صِغَرِهِ وَعَظَمَتِهِ. هُوَ اغْتَنَى بِهَا وَهِيَ غَنِيَّةٌ بِهِ، زَرَعَهَا فِي أَرْضِهِ فَزَرَعَتْهُ فِي كُلِّ العَالَمِ، فَكَانَ لَهَا عِزَّةٌ وَكَرَامَةٌ وَكَانَتْ لَهُ مَجْدًا وَقِدَاسَةً.

ضَمَدَتْ جِرَاحَهُ فَمَنَحَهَا أبنَاءَ قَدَمَتِهِمْ قَدِيسِينَ عَلَى مَذَابِحِ الكَنِيسَةِ، شَارَكْتَهُ أَفْرَاحَهُ فَأَغْنَاهَا مِنْ تُرَابِ حَافِظَتِ عَلَيْهِ بِإِيمَانِهَا فَرَوَتْهُ مِنْ دِمَاءٍ تَقَجَّرَتْ حَيَاةً مِنْ عُرُوقِ رُهْبَانِهَا. شَرَكَتْهُ أَخُوِيَّةً يَشْهَدُ لَهَا التَّارِيخُ وَتَشْهَدُ لَهُ، شَرَكَتْهُ فَرِيدَةٌ عُنْوَانُهَا الكَبِيرُ المَحَبَّةُ وَشِعَارُهَا الإِنْتِمَاءُ وَالشَّهَادَةُ.

بِاسْمِ هَذِهِ الرَّهْبَانِيَّةِ يَطِيبُ لِمَجَلَّةِ "الأمل"، النَاطِقَةُ بِاسْمِ الإِخْوَةِ الرَّهْبَانِ اللَّاهُوتِيِّينَ، فِي دَيْرِ سَيِّدَةِ طَامِيشَ، بَعْدَ أَنْ أَحْيَتْ فِي عَدَدٍ خَاصٍّ ذِكْرَى الشَّهْدَاءِ الرَّهْبَانِ، أَنْ تُحْيِيَ اليَوْمَ

في هذا العَدَدِ ذِكْرِي قَافِلَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ شَهْدَاءِ الْوَطَنِ، هُمْ أَبْطَالُ جَيْشِنَا الْبَاسِلِ فِي مَعْرَكَةِ "نَهْرِ الْبَارِدِ"، وَقَدْ كُتِبَ لَهُمْ النَّصْرُ عَلَى مَرَكَزِ إِرْهَابِيٍّ انْتَحَلَ اسْمَ "الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ"؛ إِرْهَابِيُّونَ أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ أَرْضِي بِيَّاسًا وَتُرَابًا لَا يَضُمُّ سِوَى الْمَوْتِ، أَرَادُوا أَنْ يُشَوُّوا حُلْمَ الطُّفُولَةِ، أَرَادُوا أَنْ يَسْرِقُوا مِنِّي لِبْنَانِي، فَانْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُمْ.

لَقَدْ غَابَ عَن ذِهْنِ أَعْدَاءِ أَرْضِنَا الْمُقَدَّسَةِ، أَنَّهَا فَوْقَ إِرَادَتِهِمُ الشَّرِيرَةَ تَعْلُو إِرَادَةَ الْوَطَنِ، إِرَادَةَ شَعْبٍ وَقَفَ مُتَسَلِّحًا بِإِيمَانِهِ بِرَبِّهِ وَبِوَطْنِهِ، وَاثِقًا مِنْ أَنَّ جَيْشَهُ لَنْ يَخْذُلَهُ. جَيْشُنَا عِنْدَهُ الْمَوْتُ أَشْرَفُ مِنَ الْعَيْشِ فِي عَارِ الْإِنْكَسَارِ لِأَعْدَاءِ أَرْضِهِ، وَالْحَيَاةُ عِنْدَهُ رَخِيصَةٌ أَمَامَ حُرِيَّةِ وَطْنِهِ وَكِرَامَتِهِ، لِأَنَّهُ مُقْتَنِعٌ أَنَّ الْوَطْنَ تُحْيِيهِ الدَّمَاءُ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَتْ الْقَرَابِينُ عَلَى مَذْبَحِهِ، أَزْدَادَ قَدَاسَةً وَاشْتَدَّ قُوَّةً.

مُخَيِّمٌ "نَهْرِ الْبَارِدِ" اشْتَعَلَ بِنِيرَانِ الْحِقْدِ وَالشَّرِّ، وَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَنْطَفِئَ إِلَّا بِدَمَاءِ شَهْدَاءِ أُبْرِيَاءِ فَاضَتْ فَاطْفَاتُ نَارِهِ الْحَاقِدَةِ، وَلَكِنْ بَقِيَ مِنْهَا جَمْرٌ أَحْرَقَ قُلُوبَ الْآلَافِ مِنْ أَهْلِ أَحِبَّاءٍ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَإِخْوَتَهُمْ. وَحَدَّهَا نِعْمَةٌ اللَّهِ تَجْعَلُهُمْ أَقْوِيَاءَ صَامِدِينَ، وَأَصْحَابَ عُنْفُوَانٍ يُعَانِدُونَ الْحَسْرَةَ بِرُوحِ وَطَنِيَّةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِلتَّضْحِيَةِ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ مِنْ أَجْلِ بَلَدٍ عَشِقُوا تَرَابَهُ. لِبْنَانِ، بَلَدُ الْإِيمَانِ، بَاتَ صَوْتًا لِلضَّمَائِرِ يُوقِظُهَا مِنْ غَفْوَةٍ زَرَعَهَا فِيهَا الْخَوْفُ، وَحُلْمًا يَخْتَرِقُ حُدُودَ الْعُقُولِ الضَّيِّقَةِ لِيَصِلَ بِهِ إِلَى

قَمَّةَ الْمَجْدِ، إِلَى حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ، وَبَاتَ هَذَا الْوَطْنَ الصَّغِيرُ
يُرَدُّدُ مَعَ الشَّاعِرِ رَشِيدِ سَلِيمِ الْخَوْرِيِّ (الشَّاعِرِ الْقُرَوِيِّ):

نَحْنُ قَوْمٌ فَتَنَّا مِثْلُ

مَا لِنَفْسِ الْحُرِّ عَنَّا مِنْ مَحِيدِ

شَعَبُ لُبْنَانَ عَشِيقَ الْحُرِّيَّةِ حَتَّى الْجُنُونِ، فَبَاتَ عِشْقُهُ هَاجِسًا
يَسْعَى خَلْفَهُ، رَغْمَ أَنَّهُ اضْطُرَّ أَنْ يَعْبُرَ نَفَقَ الْمَوْتِ الطَّوِيلِ تَحْتَ
أَنْظَارِ مَنْ أَكْمَدَتْ عُقُولُهُمْ بِالْمَوْتِ وَالظَّلَامِ.

لُبْنَانَ هَذَا الَّذِي بَاتَ لِلْبَعْضِ مُجَرَّدَ أُسْطُورَةٍ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا
أَمْجَادَ أَدُونِيسِ، وَصُورَ، وَخَيْلَ لَهُمْ أَنْ بَلَدَ التَّارِيخِ قَدْ أَصْبَحَ مِنْ
الْمَاضِي، لَنْ يَرْضَى أَنْ يَمُوتَ مِنْ جَرَاءِ اسْتِزْفَافِهِ، فَوْقَ كَمَا فِي
كُلِّ مَرَّةٍ يَنْفُضُ عَنِ أَلْقِهِ الرَّمَادَ لِيُخْرِجَ مِنْ رَحِمِ أَحْزَانِهِ حَيًّا يَبْعَثُ
الْأَمَلَ الْجَدِيدَ بِخَصْبِ أَرْضِهِ تُنْبِتُ مَجْدًا وَكِرَامَةً، وَتُزْهِرُ بِرَاعِمِ
تُخْبِرُ الْأَجْيَالَ حِكَايَةَ التَّارِيخِ وَتَنْفُحُ الْكُونَ بِأَرْيَحِ الْقَدَاسَةِ.

لَقَدْ قَدَّمَ جَيْشُنَا شَبَابَهُ فِدَاءً عَنِ وَطْنِهِ وَشَعْبِهِ، بِدُونِ حِسَابِ،
وَكَطَائِرِ الْفِينِيْقِ عَادَ يَبْسُطُ جَنَاحِيَهُ مُحَلِّقًا فِي سَمَاءِ الْحُرِّيَّةِ
وَالْحَقِيقَةِ، "وَمَا مِنْ حَقٍّ وَكَمْ نَبَقَ نَحْنُ" (سَعِيدِ عَقْلٍ). فَأَرْضُ
الْقَدَاسَةِ مَا اعْتَادَتْ أَنْ تَغْفُوَ فِي حِضْنِ كَثِيبِ، هِيَ الَّتِي عَبَقَتْ
دَوْمًا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالْوَطَنِ فِي آنٍ. فَمَنْ تَعَرَّى مِنْ حُبِّ الْوَطَنِ
"أَصْبَحَ مَسْخًا يَمَقُتُهُ الْجَمِيعُ. الْوَطَنُ رَابِطَةٌ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ، فَإِنَّهُ يُذَكِّرُنَا بِعُلَمَائِنَا وَبَطَارِكَتِنَا وَأَبْطَالِنَا وَكُلِّ مَنْ

أَحَبَّ هَذَا الْوَطْنَ مِنْ قَبْلِنَا".

لبنان، لبناني، غَنِيَّتُهُ طِفْلاً تَخْتَرِقُ ضِحْكَتُهُ الْمَسَافَات.

لبنان، عَشِقْتُهُ مُنَاضِلاً وَجِبَّاراً.

لبنان، عَرَفْتُهُ جَمَالاً وَقِدَاسَةً.

إِنَّ هَذَا الْعَدَدَ مِنْ "الْأَمَلِ" لَنْ يُعَالِجَ مَوْضِعًا رُهْبَانِيًّا، بَلْ هُوَ يَحْمِلُ تَحِيَّةَ رُهْبَانِيَّةٍ وَمَحَبَّةَ صَادِقَةٍ، وَشُعُورًا وَطَنِيًّا عَمِيقًا، وَحَسًّا بِالْإِنْتِمَاءِ إِلَى أَرْضِ لَهَا تَارِيخُهَا الْعَرِيقُ خَطُّهُ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ بَعْرَقِ الْجَبِينِ، وَدَوَّنَهُ الرَّهْبَانُ بِصَلَوَاتِهِمْ وَقِدَاسَتِهِمْ، وَمَهَرَهُ الشَّهْدَاءُ بِدِمَائِهِمْ، لِيَبْقَى لِبْنَانٍ سَيِّدًا حُرًّا مُسْتَقِلًّا. وَلِتَبْقَ هَذِهِ الصَّفَحَاتُ قِصَّةَ بَطُولَةٍ يَحْمِلُهَا الْآبَاءُ إِلَى الْأَحْفَادِ، وَمِنْهُمْ إِلَى الْأَجْيَالِ الْوَالِدَةِ، لِيَبْقَى ذِكْرُهَا فِي وَجْدَانِ كُلِّ لُبْنَانِيٍّ لِيَعْرِفَ مَعْنَى الْوَطَنِيَّةِ وَالْإِسْتِشْهَادِ.

فِيَا أَبْطَالَ هَذَا الْوَطَنِ، لِبْنَانُ لَنْ يَنْسَى دِمَاءَكُمْ، فَهُوَ يَرْتَوِي مِنْهَا لِيَذْهَبَ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ نَاسِيًّا الْأَلَمَ. دِمَاءَكُمْ خَمْرَةٌ أَسْكَرَتْهُ وَجَعَلَتْهُ صَاحِبَ مَجْدٍ وَعُغْفُوانٍ لَا يَنْكَسِرَانِ.

بِعَمَلِنَا هَذَا نَكْرِمُكُمْ نَحْنُ الْإِخْوَةَ الدَّارِسُونَ أَبْنَاءَ الرَّهْبَانِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ الْمَارُونِيَّةِ؛ فَنَحْنُ مِنْ لِبْنَانٍ وَرُهْبَانِيَّتِنَا لِبْنَانِيَّةِ الْهُوِيَّةِ وَالِدَّعْوَةِ وَالتَّكْرُّسِ.

يَحْوِي عَدَدُنَا هَذَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، وَالْهَدَفُ مِنْهَا تَوْجِيهِ تَحِيَّةٍ حَارَّةٍ إِلَى وَطَنِ عَشِقْنَاهُ وَنَفْخَرُ بِهِ كَبِيرًا بِإِيْمَانِهِ وَرِسَالَتِهِ، رِسَالَةِ الْعَيْشِ الْمَشْتَرَكِ وَالِدِيمُقْرَاطِيَّةِ التَّوَاْفِيقِيَّةِ، نَمُوذَجًا لِلْعَوْلَمَةِ الصَّحِيْحَةِ.

يَتَأَلَّفُ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ مَوَاضِيْعٍ مُتَعَدِّدَةٍ تَتَنَاوَلُ الشَّهَادَةَ فِي الْاِسْتِشْهَادِ، وَمَفْهُومِ الْاِسْتِشْهَادِ الْاِلَهِوْتِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ، وَرَمُوزِ الْعِلْمِ وَالنَّشِيْدِ الْوَطْنِيِّ.

أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَيَتَضَمَّنُ لِقَاءَاتٍ مَعَ أَشْخَاصٍ مِنْ عَائِلَاتٍ بَعْضُ شُهَدَاءِ الْجَيْشِ، يُخْبِرُونَنَا عَمَّنْ أَحَبَّوْا، بِمَشَاعِرِ وَكَلِمَاتٍ صَادِقَةٍ خَارِجَةٍ مِنْ قُلُوبٍ مَجْرُوحَةٍ، تَضَعُكَ أَمَامَ ذَاتِكَ لِتَجِدَّدَ إِيْمَانِكَ وَمَفْهُومَكَ لِلْحَيَاةِ وَاللِّمَوَاطِنِيَّةِ.

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ يَحْوِي لِمَحَّةً عَن دَوْرِ الصَّلِيْبِ الْأَحْمَرِ فِي مَعْرَكَةِ نَهْرِ الْبَارِدِ، إِضَافَةً إِلَى الْكَلَامِ عَلَى شَهْدِي هَذِهِ الْمَوْسَسَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اللَّذِيْنَ سَقَطُوا فِي مَعْرَكَةِ "نَهْرِ الْبَارِدِ".

أَمَّا الْقِسْمُ الرَّابِعُ وَالْأَخِيْرُ فَهُوَ عَرْضٌ شَامِلٌ لْجَمِيْعِ شُهَدَاءِ الْجَيْشِ فِي مَعْرَكَةِ "نَهْرِ الْبَارِدِ" فِي شِمَالِ لُبْنَانِ.

لِنُدْعِ التَّارِيْخَ يَحْكِي مَدَى الْأَجْيَالِ مَا صَنَعَ رِجَالُ التَّارِيْخِ، وَلِنَرْفَعِ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّهِ طَالِبِيْنَ أَنْ يُسَكِّنَ شُهَدَاءَنَا الْأَبْطَالَ فِي وَطَنِهِمُ الْأَبَدِيِّ. وَقَدْ صَدَّقَ الشَّاعِرُ الْيَاسَ فَيَاضَ يَوْمَ قَالَ فِي الشَّهِيدِ:

لَا تَبْكِهِ فَاَلْيَوْمَ بَدَأَ حَيَاتِهِ

إِنَّ الشَّهِيدَ يَعِيشُ يَوْمَ مَمَاتِهِ

فلا نواح ولا بُكاء، بل صلاةُ شُكْرٍ تَتَّبَعُ مِنْ إِيْمَانٍ بِأَنَّ شُهَدَاءَنَا
لَمْ يَمُوتُوا بَلْ انْتَقَلُوا إِلَى "الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ" مَعَ رَبِّهِمْ خَالِدِينَ. وَمِنْ
هُنَاكَ، "مِنْ فَوْقٍ" يَنْظُرُونَنَا وَيَدْعُونَنَا إِلَى بَهْجَةِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّنا "أَبْنَاءَ
الْقِيَامَةِ". وَأخِيرًا، تَحِيَّةٌ إِلَى أَرْضٍ مَا زَالَتْ تَوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهَا وَأَنَّ
الشَّمْسَ تُشْرِقُ بَعْدَ كُلِّ غُرُوبٍ.

الأخ شربل يوسف



القسم الأول

مواضيع في الشهادة والاستشهاد

إعداد:

الأخ رولان بو جوده
الأخ سلوانس
الأخ جورج صادق
الأخ شربل عساف
الأخ جاد القصيفي
الأخ حسيب مرعي
الأخ جورج ليشع
الأخ شربل عساف
الأخ فادي كميد



رموزٌ باتت حقيقةً

الأخ رولان بو جوده

المقدمة

مع كلِّ بزوغ فجرٍ وإشراقِ شمسٍ يطلُّ لبنان، هذا الوطن القديم الجديد من وراء الزمان، حاملاً معه رجاءً وأحلاماً جديدة. لبنان يا قطعةً من السماء على الأرض، يا ملعب طفولة الشبان البريئة، ويا منبت الأبطال، بك نَفْتَخِرُ وبرُموزك نَتَغَنَّى: عَلَمُنَا يَلُوحُ في الفضاء الفسيح مُبَدِّداً فَرَاغَهُ، وَيُرْفِرِفُ حُرّاً على أنغامِ نشيدنا الوطنيِّ، نَشِيدِ الظَّافِرِينَ الذين رسموا بِدِمَائِهِمْ حُدُودَكَ، أَيُّهَا الوطن الأبيّ.

إن الرموز التي يحملها كلُّ من النشيد الوطني اللبنانيِّ، والعلم اللبنانيِّ، لم تعدْ مُجَرَّدَ رُمُوز، بل أصبحت حقيقةً مجسَّدةً في كلِّ مواطنٍ لبنانيٍّ له الفخرُ بأن يقولَ أنا لبنانيٌّ، ولبنان هو أرضي ونشيدِي وعَلَمِي، ولو لم يكنْ وطني لبنان، لَكُنْتُ اخترتُكَ يا لبْنانَ وَطَناً لي!

أولاً: النشيد الوطني اللبناني

كُلُّنَا لِلوَطَنِ لِّلْعَلْمِ
مِلْءُ عَيْنِ الزَّمَنِ سَيْفُنَا وَالْقَلَمِ

سَهَلْنَا وَالْجِبَلِ مَنبَتٌ لِلرِّجَالِ
قَوْلُنَا وَالْعَمَلِ فِي سَبِيلِ الْكَمَالِ
كُنَّا لِلْوَطَنِ لِلْعُلَى لِلْعَلَمِ كُنَّا لِلْوَطَنِ

شِخُنَا وَالْفَتَى عِنْدَ صَوْتِ الْوَطَنِ
أَسْدُ غَابِ مَتَى سَاوَرْتَنَا الْفِتَنَ
شَرَفْنَا قَلْبَهُ أَبَدًا لِبَنَانِ
صَانَهُ رَبُّهُ لِمَدَى الْأَزْمَانِ
كُنَّا لِلْوَطَنِ لِلْعُلَى لِلْعَلَمِ كُنَّا لِلْوَطَنِ

بِحَرِّهِ بَرِّهِ دُرَّةُ الشَّرْقَيْنِ
رِفْدُهُ بِرِّهِ مَالِيءُ الْقُطْبَيْنِ
إِسْمُهُ عِزُّهُ مِنْذُ كَانَ الْجُدُودِ
مَجْدُهُ أَرْزُهُ رَمْزُهُ لِلْخُلُودِ
كُنَّا لِلْوَطَنِ لِلْعُلَى لِلْعَلَمِ كُنَّا لِلْوَطَنِ

١- لمحة تاريخية

إنّ النشيد الوطنيّ الذي اعتدنا تعريفه بالسلام الجمهوريّ أو الملكيّ أو الأميريّ له شروطه الفنيّة، مبنيٌّ ومعنىٌّ وموسيقى.

حاول شعراء كبار، كالأستاذ نعيم أفرام البستاني والأب مارون غصن وغيرهما، وضع أناشيد وطنية لبنانية، عرفها لبنان خلال مراحل متتالية من تاريخه. ولكنها لم تصبح أناشيد وطنية رسمية، إلى أن كان إعلان الجمهورية اللبنانية سنة ١٩٢٦، وانتخاب شارل دبّاس رئيساً لها، عندها قرّرت الحكومة وضع نشيدٍ وطنيٍّ لبنانيٍّ، وبناءً عليه صدر في ١٩ تموز ١٩٢٦ مرسوم جمهوريٌّ عنوانه «مسابقة لاختيار النشيد الوطني اللبناني»، وينصُّ ذاك المرسوم في مادّته الأولى على أن المسابقة قسمان: «مسابقة لاختيار قصيدة عربية تصلح كلماتها للنشيد اللبناني»، و«مسابقة بين مؤلّفي الألحان لانتقاء اللحن الذي يوضع للقصيدة المختارة». أما المادّة الثانية فجاء فيها أن لجنة التحكيم المكلفة اختيار النشيد هي برئاسة وزير المعارف العموميّة والفنون الجميلة نجيب أميوني وعضوية كلٍّ من: الشيخ عبدالله البستاني، جميل بك العظم، عبد الرحيم بك قليلات، الشيخ إبراهيم المنذر، السيد عبد الباسط فتح الله وشبلي بك ملاط^١. وأُعلنت نتيجة المباراة في أواخر تشرين الأول ١٩٢٦ فكان النشيد الفائز هو النشيد الذي كتبه الشاعر رشيد نخله^٢.

بعد أن اختير النصّ الشعريّ المناسب ليكون نشيداً وطنياً

١. الجمهورية اللبنانية، مجموعة قوانين ومراسيم حكومة الجمهورية اللبنانية، المجلد الثاني، مطبعة الأدب، بيروت، ١٩٣١، ص ٥٤٩. الجريدة الرسميّة للجمهورية اللبنانية، العدد ١٩٩٤، ٣٠ تموز ١٩٢٦، ص ٢-٣

٢. البرق، العدد ٢٦٢٣، ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٦

للجمهورية اللبنانية، كان لا بُدَّ أيضاً من اللحن المناسب، فوضعت مسابقة لاختيار أفضل لحن يتقدم به الموسيقيون، وإذا بالأستاذ وديع صبرا، مدير المدرسة الوطنية في بيروت، يفوز في المباراة.

٢- نشيد ينبض بالحياة

النشيد الوطني أنشودة تغنى بالولاء للوطن وبالقيم الأصيلة كالشجاعة والرجولة والعلم والترقي والسعي إلى الكمال، وتمدح بفخر قوة أبناء لبنان، شيوخاً وفتياناً، واستعدادهم لتلبية صوت الوطن، وصون شموخه الذي يبلغ أقدار السماء، وتتغنى بأجساد الجدود العريقة في الزمن.

"كلنا للوطن للعلم وللعلم" ولمن نكون إن لم نكن للوطن، وإلى أيّ على نصبو إن لم يكن إلى العلى والعلم. منذ أن كان لبنان و"سيفنا" يلوح، وقلمنا يجود، وأعين الشعوب مصوّبة إلينا، وسهلنا الفسيح أصبح "منبتاً للرجال" الأقوياء. فمنهم الشهداء جادوا بحياتهم في سبيل بلادهم وتحريرها، ومنهم الأدباء أعطوا دروساً في الوطنية والأخلاق والعلوم. وجبالنا تلامس بقممها أطراف الثريا، كأنها صلة وصل بين الأرض والسماء.

"شيخنا والفتى" كلّ مواطن يأبى إلا أن يهرع كأسد الغاب، يدافع عن كلّ ذرّة من تراب وطنه لبنان، "ذرّة الشرقي وماليء القطبين": حقاً جعله الله حبة ماس في عنق هذا الشرق، وقلباً نابضاً حياةً وحباً وعِلماً وثقافةً وحُلُقاً في كلّ محيطه. فهو أمانة

غالية وضعها الخالق بين أيدينا لنصونها بأعلى ما لدينا.

وعليه نأبى أن نكون متقاعسين نقف قانعين بالحياة، فنحن خُلِقنا أحراراً نرفض حياة الذلّ والخُنوع، وقد قال مصطفى المنفلوطي: "لو عَرَفَ الإنسان قيمة حرّيته المسلوبة منه، وأدرك حقيقة ما يُحيطُ بجسمه وعقله من القيود، لانتحر كما ينتحر البلبلُ إذا حبسه الصيَّادُ في القفص، وكان ذلك خيراً له من حياة لا يرى فيها شعاعاً من أشعة الحرّية، ولا تخلصُ إليه نسمة من نسماتها".

حقاً هو وطنٌ ليس كباقي الأوطان، أُعطي له المجد، فكان له الخلود. تغنى به الكتاب المقدس أرضاً حبيبة، ومياهاً عذبةً متفجرةً من جلاميد الصخور، وأرزاً خالداً فيّ بأغصانه مدافن الجدود، وزينَ هيكل سليمان.

لبنان إرثٌ ثمين يُفتدى بالأرواح، تغنى به الشعراء في قصائدهم، وغناه الآباء في كتاباتهم، حتى غداً لحناً خالداً على فم الزمان الأغرّ. وأحرّ بوطن يدوّن أسماء أبطاله الشرفاء بماء الذهب على صفحات تاريخه المجيد، فيجعلهم عناوين للقيم والعنفوان والوطنية.

وكما اعتدنا تمجيد الله بترانيم وألحانٍ تتصاعد بخوراً إلى السماء، فتُصبح صلاة شكرٍ وعربون وفاء، كذلك نشيدنا الوطني هو ترنيمة شعبٍ عشق ترابه المجدول بدماء شهدائه والمُعطر برحيق قداسة بنيه.

نشيدنا صلاةً ووعدٌ بالوفاء ينبض نبض الدّم في عروق
البشر، فيصبح تكريماً لمن هم في فيء الخلود، وعِزَّةً لأرضٍ
ضمتّ جثامينهم الطاهرة مفخرةً لذاكرة التاريخ.

"كلّنا للوطن" ختمٌ وُضع في قلوبنا حياةً، ورُفِعَ على جباهنا
شعاراً. فبتنا عنواناً للكرامة والعِزَّة، نصنع من التاريخ مجداً، ومن
الموت حياةً، ومن الظلمة نوراً لأننا أبناء النور.

ثانياً: العلم اللبناني

١- لمحة تاريخية

تاريخية العلم اللبناني هي تاريخية شعب، أي مسيرة شعبٍ
اخرم لديه عشق الوطن والولاء له وللعائلة، هذا ما دفع أحدهم
للقول "لا يستقيم لوطن كيانٌ واستقلالٌ ما لم تبض له قلوب بنيه
جميعاً؛ فالقلوب الوطنية هي خير سياج للوطن وللعائلة، وهي
ألزم لحفظه وصيانته من سلاح المادّة مهما يكن قوياً".

وذلك مما برهنه ليل ١٠-١١ تشرين الثاني ١٩٤٢، حيث
اعتقل الجيش الفرنسي رئيس الجمهورية اللبنانية بشارة الخوري
ورئيس الوزراء رياض الصلح، والوزراء كميل شمعون وسليم
تقلا وعادل عسيران، ونائب طرابلس عبد الحميد كرامي،
وقادوهم مكبلين الى قلعة راشيا.

ونتيجة ردّات الفعل الناتجة عن الشعب اللبناني، عمدَ بعض

النواب إلى استكمال نشاطاتهم بتعديل المادة الخامسة من الدستور اللبناني وتغيير العلم اللبناني الذي كان قائماً في ظلّ الانتداب، والذي كان عبارة عن العلم الفرنسي (أزرق، أبيض، أحمر) مع أرزة في الوسط، وجرى الاتفاق على علم جديد مستوحى من التراث. رُسم العلم الأول^٣ على ورقة نُزعت من دفتر مدرسي، وأقره مجلس النواب ووقع عليه الحضور. وهذا ما ورد في المادة الخامسة من الدستور التي تعدّلت في جلسة ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣:

"العلم اللبناني أحمر فأبيض فأحمر أقساماً أفقية. تتوسط الأرزة القسم الأبيض بلون أخضر، أما القسم الأبيض فيساوي حجم القسمين الأحمرين معاً. أما الأرزة فهي في الوسط يلامس رأسها القسم الأحمر العلوي وتلامس قاعدتها القسم الأحمر السفلي ويكون حجم الأرزة مساوياً لثلث حجم القسم الأبيض".

أمّا النواب الذين غيّرُوا شكل العلم اللبناني فهم الرئيس صبري حماده، والنواب هنري فرعون، صائب سلام، رشيد بيضون، مارون كنعان، محمد الفضل وسعدي المنلا.

ولم تهدأ العاصفة حتى شكّل الوزيران اللذان نجيا من الاعتقال حكومةً في بلدة بشامون، وقد عُرفت بحكومة

٣. راجع ملحق الصّور، ص ٢١٧، صورة رقم ١.

٤. الدستور اللبناني، المادة الخامسة.

بشامون مستكملين عمل الحكومة المعتقلة.

واستمرت العاصفة حتى ٢٢ تشرين الثاني بإطلاق سراح المعتقلين. فكان ذلك انتصاراً للسياسة اللبنانية وللعائلة والوطن. وذلك مما أدى بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني عيداً وطنياً يعيده اللبنانيون سنوياً.

٢- رموز العلم

لكل من الألوان الثلاثة التي يتألف منها العلم اللبناني، قصة تحمل في طياتها نضال شعب وعنوان أصالة ورمز سيادة واستقلال. فاللون الأبيض هو رمز السلام والنقاء، يعكس تلج لبنان الذي يكسو جباله فيبدو شيخاً منحه الدهر حكمة التاريخ. واللون الأحمر الذي يحصر المسافة البيضاء من الجهتين العلوية والسفلية، يرمز إلى حدودنا المرسومة بدم الشهداء، فهم في الحقيقة قرابين على مذبح الحرية والفداء، وشعارات لا تزول في ضمير الحق والوجدان. هؤلاء الأبطال عشقوا لبنان فجادوا بحياتهم لأجله، فوجدوا في الاستشهاد مجداً لم يجدوه في الحياة. أما أرزتنا الخضراء المهللة بالأمل، المجدسة الخلود، فقد لازمت لبنان منذ أن خطّ التاريخ. رمزت للخلود فسعى إليها "الكبار" فإذا بهم "صغاراً" أمام كبرها. توسّطت بياض سلامنا حياة ترتوي جذورها من دم الأبطال المجبول بتراباتها، فتطال برأسها مجد السماء حيث الشهداء ينعمون بحياة الخلود. للعلم قصة طويلة مليئة بالبطولات والعبر، بالفخر والكبر. عند كل

انتصار يغرزهُ الجند في الأرض، وعند الاستشهاد يُكفَّنُ به
شهداء الوطن. هذا هو علمنا، به كل شعوب الأرض تعرفنا،
لأنه شعارنا ورمز حريتنا واستقلالنا.

الخاتمة

ما إن ينتهي عهد حتى يليه آخر، فكلما هبَّ إعصار تلتته
سكينة، وكلما عبثَ شتاء تلاه ربيع. إلى سفوح لبنان سيعود
البلبل لبيني عشوش الحنين، وغداً سيولدُ طفلٌ آخر، ليحمل بين
يديه ياسمين، ويجعلها تاجاً يلف الجباه.

غداً يقوم أبناء لبنان الذين ماتوا في الأكواخ، وقصور العلم،
فهم السرج التي لا تطفئها الرياح، والملح الذي لا تفسده
الدهور.

غداً يرفرف علمنا وترتفع وتنتصب قاماتنا عند سماع
نشيدنا الوطني،

غداً نكون أقوياء لا يعترينا شيء ولا نخاف المجهول،

غداً تدق أجراس لبنان الجديد وتولد أجيال من الأبطال،
وتغصّ المفارق بالورود،

غداً ستتسع الساحات، وتزغرد العجائز ويعبق البخور ويطيّر
رف الحمام،

غداً يقوم الشهداء مكللين بالغار، متوجهين ربوات ربوات
نحو السماء. ولنردّد مع الشاعر يوسف السودا:

"ما مثلُ لُبْنانٍ أَرْضاً فَوْقَها انبَسَطَتْ
حُرِّيَّةُ الدِّينِ والدُّنْيَا لِإنْسَانِ
شَعْبُ سَمُوحٍ، إِذَا صَلَّى يُرَنِّحُهُ
دَقُّ النِّوَاقِيسِ، أَوْ تَجْوِيدُ قُرْآنِ
وراية الأرز لا تدري، إِذَا نُشِرَتْ
من القومِ أَحْمَدَ، أَوْ من القومِ نَصْرانِي."

بأجنحة مكسرة أصفق

الأخ سلوانس

أكادُ أختنقُ في تلكِ المجالسِ. حيثُ الأسودُ يُلقِي رِداءه،
والدمعةُ تسبحُ مُختبئةً خلفَ جفنِ رافضةً أن يُشاركَ أحدٌ في
حُزنها. أرادتُ أن تحيا قَداسةً حُزنها وحدها فلا يأخذُه أحدٌ
منها أو يُؤاسيها فينتقصُ من قيمته. وفجأةً يعودُ مرُّ الماضي
الحبيب ليلقي بِصوره على تلكِ العينِ المفجوعة، فترى حبيبها
أمامها يركضُ ويضحكُ عاليًا. وللحال، ينهارُ جدارُ الجفنين
فيلتقيان حَسرةً وتتدحرجُ عندها دَمعةٌ جبارةٌ ساحبةٌ في اثرها
الآلاف على وجنةٍ بلَّلها الألم.

نعم، أرادتُ أن تحزنَ وحدها، فمَن يستطيعُ أن يحزنَ معَ
أمٍ فقدتُ ابنها، أو أن يُعزِّي تلكِ التي خسرتُ زهرةَ عُمريها
ثمرةَ أحشائها، أو معَ ابنٍ فقدَ أباه سَندَ حياته وقُوته... مَن
ينحني غداً ويُقبَل يدك يا أمي، اعذريني لأنني رحلتُ باكراً؛
ومَن يحملكُ على كتفيه ويُداعِبُ صدرك يا بُني، اغفر لي
فأنتَ أينعُ من أن تُتركَ وحدك. فابقي أيتها الدمعة ولا
تتدحرجي، لئلا ينظرك أحدٌ زُعماناً ويحاول تعزيتك

فِيُدْنَسُ قَضِيَّةَ شَهِيدِكَ الْحَبِيبِ. حَافِظِي عَلَى قُدْسِيَّتِكَ، وَابْقِي سَاجِدَةً فِي هَيْكَلِ ذِكْرِيَاتِكَ مَعَهُ، مَعَ مَنْ ذُبِحَ عَلَى خَشْبَةِ قَلْبِكَ، فَصَارَتْ نَبْضَاتُهُ مَرَّةً تَفْصِلُكَ عَنِ مَنْ كَانَ حَقِيقَةً وَصَارَ حُلْمًا...

يَدْخُلُونَ مَجَالِسَ التَّعْزِيَةِ مُطْرِقِينَ وَجُوهَهُمْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَعِينَ، خَائِفِينَ أَنْ تَفْقِدَ الْمَفْجُوعَةَ رَشْدَهَا وَتَنْهَالَ عَلَيْهِمْ بِمَا يَجُولُ بِخَاطِرِهَا؛ زَامِينَ شِفَاهَهُمْ لِئَلَّا يَنْقُضُوا بِأَفْوَاهِهِمْ فَيَبْتَلِعُوا الْبَاقِينَ مِنَ الْأَحْيَاءِ. يَسْتَبْدِلُونَ اسْمَ الْمُعْزَى بِهِ بِالشَّهِيدِ أَوْ الْمَاسُوفِ عَلَى شَبَابِهِ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ يَعْتَزُونَ بِالشَّهَادَةِ، بَلْ لِأَنَّهُمْ رَبَّمَا يَنْسَبُونَ الشَّهَادَةَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ مُعْتَبِرِينَ أَنَّ الشَّهِيدَ اسْتَشْهِدَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ رَمَزَ الْوَطَنِيَّةَ وَالْمَوَاطِنِيَّةَ وَالْأَهْمَّ أَنَّهُمْ زَعَمَاءُ! وَإِنْ كَانَ مِنْ نَصْرٍ فَهُوَ نَصْرَهُمْ! أَوْ رَبَّمَا لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ اسْمَ الشَّهِيدِ فَاسْتَبَدَلَهُ بِهَذَا اللَّقَبِ، حَتَّى خَرَجَ اللَّقَبُ مِنْ فَمِهِ مُنْزَلِقًا مَرًّا بِقُرْبِ رُفَاتِ ضَمِيرِهِ الرَّاقِدِ بِسَلَامٍ دُونَ أَنْ يُنَادِيَهُ إِلَى الْحَيَاةِ، إِذْ "لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي!"

فِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ أَكَادُ أُخْتَنِقُ، لِأَنَّنِي أَرَى دَمْعَةً تَخْتَنِقُ، وَكَلَّمَا التَّقَى مَدَّ جَفْنَانِ أَمَامِي، التَّقَى مَعَهُمَا جَزُرُ جَفْنِي فَنَسْبَحُ مَعًا فِي بَحْرِ بَلَلِ الْأَلْمِ أَمَاجِهِ. وَأَعُودُ بَعْدَهَا وَأَغْمِضُهُمَا. فَمَا مِنْ كَلَامٍ لِلتَّعْزِيَةِ. وَيَقَى أَسْفِي الْكَبِيرِ وَسُؤَالِي الْأَكْبَرِ، لَمْ؟ لَمْ ابْنِ الْوَاحِدِ وَالْعَشْرِينَ أَوْ الْأَرْبَعِينَ؟ أَوْ كُلٌّ مِنْ لِهَ الْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ نُودِعَهُ الْيَوْمَ

شَهِيداً؟ هل ليروي الأرزة دِماً؟ وهل صار الوطنُ مَصَّاصَ دِماً؟ أم رائدُ سَلام؟ أين نحنُ من تلكِ الدمعة؟ أين نحنُ من دِماً أولئك الأبرياء؟ ألم يكن لهم الحقُّ بالحياة؟ حتى ولو ليسَ بالرِفاهيَّة التي ينعَمُ بها زعمائهم؟ وإن مات هؤلاء اليوم، فما هو مصير أبنائهم في الغد؟ ماذا كتبَ شُهداؤنا بدمائهم؟ هل أيقظت دِماًوهم ضمائرَ غيبها الزمنُ في هياكل واهية نصبتَ أنفسها في مصافِّ الزعماء؟ أين زعماء هذا الوطن ومسؤولوه من تلكِ الدماء؟ أين أنت أيها الشعب اللبناني من قضية شُهدائك؟ هل تسعى إلى السلام؟ فيا زعماءنا الأحباء إنني اليوم أتوجه إليكم من بستانِ الزيتون حاملاً إليكم كأساً وفيه دمعَتين، واحدة لأُم فقدت ابنتها، وأخرى لطفلٍ خسِرَ أباه دون أن يفهمَ السبب. خُذها يا أخي الزعيم واستقِ منها لعلك تتذوقَ طعمَ المرارة وتصحو قبلَ فواتِ الأوان وصريفِ الأسنان. ولكن انتبه يا عزيزي الزعيم للبقعة التي على الكأس فهي ليست مُتسخة، بل قد مسحتها ببدلةِ الشهيد. هي بقعة من دمه أردتها أن تلامسَ شفاهك وأنت ترتشف لتشعر به، بحضوره، بقضية ربّما غابت عنك.

يا أمّهات شهداء لبنان، ويا أبناء هؤلاء الأبطال وزوئهم، أهديكم اليوم هذا المقال، أنقلُ فيه أين تنهداتكم، أصرخُ به لأجل صمتكم، أتدحرجُ به على وجناتكم زاحفاً به نحو من أظلمت قلوبهم وإلى من بيعت ضمائرهم في

أسواقِ المالِ والمناصِبِ، مَزاداتِ على طاولاتِ الدُولِ
الشُّرْهةِ المُعْتَصِبَةِ.

عَطَشِي إِلَى السَّلَامِ...

نُكْرِمُ اليَوْمَ شَهْدَاءَنَا فِي الْجَيْشِ اللَّبْنَانِيِّ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي
الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ عَلَى "نَهْرِ الْبَارِدِ"، وَلَكِنْ فِي قَلْبِي الْكَثِيرُ مِنْ
الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ، خُصُوصاً بَعْدَ أَنْ كَانَ لَنَا شَرَفٌ مُقَابَلَةً عِدَدٍ مِنْ
أَهْلِي الشَّهْدَاءِ. فَيَا لِسُوءِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَفْصِلُ الْأَبَّ عَنِ ابْنِهِ،
وَالزَّوْجَ عَنِ زَوْجَتِهِ، وَالْأُمَّ عَنِ ابْنِهَا! وَهُنَا أُرْسِلُ تَحِيَّاتِي
الْمُخَالِصَةَ إِلَى عَائِلَاتِ الشَّهْدَاءِ خُصُوصاً مِنْ سَبَقَ وَالتَّقِينَا بِهِمْ
فَصَارَتْ حَسْرَتُهُمْ حَسْرَتَنَا وَقَضِيَّتُهُمْ قَضِيَّتَنَا.

مَا أَفْطَعَ الْمَصِيرَ الَّذِي رَسَمُوهُ عَلَى جِبَاهِنَا وَحَفَرُوهُ عَلَى
أَرْزَتِنَا وَقَالُوا إِنَّ الْأَرْزَةَ تَرْتَوِي مِنْ دِمَائِ شَهْدَائِهَا لِتَبْقَى خَضْرَاءً.
فَلَا وَأَلْفَ لَا! مَا مِنْ أَحَدٍ يَرْتَوِي مِنَ الدَّمِ لِيَحْيَا، خُصُوصاً تِلْكَ
الْأَرْزَةَ الْمَفْجُوعَةَ الَّتِي أَلْصَقُوا بِهَا هَذِهِ التَّهْمَةَ لِيَرْتَوُوا هُمْ مِنْ
مَنَاصِبِهِمْ. فَيَا لِحُزْنِ الْأَرْزَةِ الَّتِي أَيْسَ الدَّمُ أَغْصَانَهَا وَأَحْنَى
الْأَلَمِ رَأْسَهَا. أَرْزَتُنَا لَا تَعْطَشُ إِلَّا لِلْسَّلَامِ، وَلَا تَرْتَوِي إِلَّا بِالسَّلَامِ
وَالْحُبَّةِ، وَجَذُورَهَا لَا تَغْرَسُ إِلَّا فِي أَرْضٍ تُحَافِظُ عَلَى رِجَالِهَا
لِيَحْرِثُوا أَرْضَهَا وَيُصْقِلُوهَا، فَتَمُدَّ أَغْصَانَهَا فَاتِحَةً يَدَيْهَا لِكُلِّ
شُعُوبِ الْأَرْضِ دَاعِيَةً إِيَّاهُمْ زِيَارَةَ أَرْضِهَا وَالتَّبَرُّكَ مِنْ تُرَابِهَا.

زعماء !

فيا لفضاعة مصير أرادَه لنا، مَرِيضو السُّلْطَة آكَلُو المَال، باعوا
وَطَنَهُمْ، سَخَّرُوا أَهْلَهُمْ بِاسْمِ الوَطْنِيَّةِ الزَّائِفَةِ. قَسَمُوا مُدُنَنَا،
شَتَّتُوا بِلَدَاتِنَا، فَكَّكُوا يُبُوتَنَا، فَرَّقُوا الأَخَ عَن أَخِيهِ والأَخْتَ عَن
أَخِيهَا. فَأَيْنَ نَرْمِي سِهَامَ عَتَابِنَا؟ أَلِإِلَى المَخْرَجِ؟ إِلَى الدُّوَلِ المُجَاوِرَةِ
أَم البَعِيدَةِ؟

عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى الدَّاخِلِ أَوَّلًا، إِلَى الفِجْوَاتِ الَّتِي أَحَدَتْتَهَا
أَيْدِي زُعَمَائِنَا فِي جِدَارِنَا؛ جَعَلُوهَا مَدَاخِلَ لِكُلِّ الدُّوَلِ
لِتَدْخُلَ وَتَعْبَثَ فِي لِبْنَانِنَا، وَفِي الآنِ عَيْنِهِ صَارَتْ فَتْحَةٌ
لِلْهَجْرَةِ، فَرْنَا إِلَيْهَا مَلَائِينَ الشَّبَابِ والأَدْمِغَةَ اللِّبْنَانِيَّةَ، بَكَتْ
عَلَيْهِمْ تِلْكَ السَّنْدِيَانَةُ العَتِيقَةُ، وَافْتَقَدَتْ ضِحْكَاتِهِمْ سَمَاءَ
لِبْنَانِ.

نَرَى اليَوْمَ جَمِيعَ الطَّوَائِفِ تَنْقَسِمُ فِيمَا بَيْنَهَا، الجَمِيعُ يُرِيدُونَ
الزُّعَامَةَ، وَالكُلُّ يَتَدَامَى فِي سَبِيلِهَا، فَهَلْ تُضَيِّفُ الزُّعَامَةُ إِنْسَانِيَّةً
عَلَى الإِنْسَانِ؟ فِي هَذَا المَقَالِ أَتَوَجَّهُ إِلَى هُوَلاءِ الأَحْبَاءِ زُعَمَاءِ
الطَّائِفَةِ المَارُونِيَّةِ، زُعَمَاءِ هُوَلاءِ المَوَارِنَةِ الَّذِينَ كَانُوا لَهُمْ فِي التَّارِيخِ
دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي حِفْظِ هَذَا الوَطَنِ وَصُمُودِهِ وَبِخَاصَّةٍ أَنَّهُمْ أَمَّوَا
الجِبَالَ وَالوُدِيَانَ وَالمَغَاوِرَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا دَائِمًا وَمَا زَالُوا
مُضْطَّهَدِينَ، وَأَنْتِ أَيُّهَا الزُّعِيمُ المَارُونِيُّ اليَوْمَ، كَيْفَ تَشْهَدُ
لِتَّارِيخِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ فِي الوَطَنِ وَالإِيمَانِ؟

مِنْ قَلْبٍ مَارُونِيٍّ مَجْرُوحٍ، وَعَنْ لِسَانِ الْأُمَّهَاتِ وَالزَّوْجَاتِ
 اللّوَاتِي قَابَلْتِهِنَّ فِي قِسْمِ الشَّهَادَاتِ الْحَيَّةِ، أَتَكَلَّمُ بِتَعَايِيرِهِمْ
 وَحُرُوفِهِمْ أَحْفَرُ فِي أَوْرَاقِي. فَيَا أَعْزَّائِي زَعَمَاءَ الْمَوَارِنَةِ، إِنِّي
 مَارُونِيٌّ مُهْتَمٌّ وَمُتَهَمٌّ بِهَوِيَّتِي، وَأَعْتَرَفُ بِدَوْلَةِ لِبْنَانِ وَبِالْكِيَانِ
 اللَّبْنَانِيِّ الصَّرْفِ وَالْعَيْشِ الْمَشْتَرَكِ، وَسَأَهْتِفُ لَكُمْ بِكُلِّ مَا
 أُوتَيْتُ مِنْ قُدْرَةٍ لِلْهَتَافِ، وَأُصَفِّقُ لَكُمْ طَبْعاً، وَلَكِنْ سَأُصَفِّقُ
 لَكُمْ بِأَجْنِحَةِ أَهْلِي الشَّهْدَاءِ وَالضَّحَايَا الْمَكْسَّرَةِ، وَأَهْتِفُ لَكُمْ
 بِحَنَاجِرِ الشَّهْدَاءِ الْمَمْلُوءَةِ دِمَاءً وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ مِنْ عَلٍ.
 فَهَلُمَّ مَعِي يَا قَارِئِي الْعَزِيزِ مِنْ هُنَا مِنْ لِبْنَانٍ... لِبْنَانِي، مِنْ فَمِّ
 لِبْنَانِيٍّ.

تَدْعُونَ أَنْكُمْ زَعَمَاءَ الْمَوَارِنَةِ، مُمْتَاز! وَتُمَثِّلُونَهُمْ، جَمِيل!
 فَكَيْفَ تَتَجَرَّأُونَ عَلَى اغْتِصَابِ هَكَذَا مَنْصِبٍ، فَتُشَوِّهُونَ
 التَّارِيخَ، وَتَهْدِمُونَ أَسَاسَاتِهِ فَتَضْعُونَ كَرَّاسِيَكُمْ عَلَى أَنْقَاضِهِ.
 فَهَلْ تَعْرِفُونَ مَنْ هُمُ الْمَوَارِنَةُ؟ هَلْ تَعْرِفُونَ تَارِيخَ هَؤُلَاءِ
 فَتَصِيرُونَ زَعَمَاءَهُمْ؟ فَعُوفِكُمْ يَا أَجْدَادَنَا الْمَوَارِنَةَ وَسَمَاحِكُمْ،
 عَلَى زَعَمَاءِكُمُ الْجُهْلَاءِ هَؤُلَاءِ، فَالْجُهْلُ خَطِيئَةٌ وَمَنْ جَهَلَ
 تَارِيخَهُ اغْتَصَبَ مُسْتَقْبَلَ غَيْرِهِ، فَاعْرِفْ يَا ذَاكَ أَنَّكَ مَطْلُوبٌ
 مِنَ التَّارِيخِ، وَهَارِبٌ مِنْ وَجْهِ ضَمِيرِكَ، حَتَّى يُلْقَى الْقَبْضُ
 عَلَيْكَ حَتَّى وَلَوْ فِي مُسْتَقْبَلِكَ. عَلَيْكُمْ يَا زَعَمَاءَنَا الْأَحْبَاءِ
 بِخُلُوعٍ تُوَازِي الثَّلَاثِينَ سَنَةَ حَرْبِ عَلَى لِبْنَانِ، فِي مَنَاسِكِ
 الْوَادِي الْمَقْدَسِ، فَتَنْشَقُونَ رَائِحَةَ الْبُخُورِ الْمَتَدَفِّقَةِ مِنْ تَرَابِهِ،

وترتوون من رشح الصخور التي شربت دماء جبابرة قَدِّموا حياتهم في سبيل إيمانهم، عندها تعرفون قيمة الشهداء الذين سَقَطُوا بِسَبَبِكُمْ. سَقَطَ مِائَاتُ الشهداء وأنتم مرتاحو البال غافلو الضمير. ولكن كم من صرخة أم مفجوعة وغشوة بُكاء طفل على والده وذمعة زوجة جامدة على وجهها يَطْلُبُونَ حَقَّهُمْ مِنْكُمْ. إنَّ أرضَ لبنان كأرضِ عَدَنِ الفردوس، قد شربت من دماء أبطالها ما زاد عنها، وما إنَّ دماءَ شهدائها تصرخُ فيكم يا "قاييني" لبنان، طالبةً حَقَّها مِنْكُمْ. أتساءل ما هو نوع وِسَادَاتِكُمْ كي تُنْسِيَكُمْ مرَّ ما فَعَلْتُمُوهُ وما عُدْتُمْ لِتَفْعَلُوهُ اليوم بالوطن. لَنْ نَخْتَارَكُمْ بعد اليوم فالله أعطانا نِعْمَةَ التَّمْيِيزِ.

فيا صديقي الزعيم تعال اتبعني إلى دير قزحيا حيث المغاور استقبلت أجداد إيمانك ومن كانوا ضماناً وجودك المسيحي الماروني. حَوْلَ نَظْرِكَ قَلِيلاً وانظُرْ هذا الوادي المقدس وادي قاديشا، فهيا اسجد على رُكْبَتَيْكَ واطرق وَجْهَكَ على تُرابِهِ، أصغني إلى حجاراته، فتعرف من هم الموارنة. أنظُرْ إلى الوديان، إلى الكهوف، إلى تلك الأراضي التي شَقَّتْهَا أَيْادٌ بِيضَاءُ وَزَرَعَهَا شَعْبٌ عَنِيدٌ فِي الحَقِّ والحريَّة، قاسى الويلات وخاوى العراء، ذاق العَلَقَمَ وشرب الخَلَّ، لِتَحْيَا أَنْتَ وَلِيَبْقَى لَكَ إِيمَانُكَ.

إليك كرسيك !

هات يدك، واعدرني إن كنتُ قاسياً معَكَ بعضَ الشيء،
فلربّما كانت هذه فرصة لك لتعوضَ فيها دَمْعَةَ طفلٍ فَقَدَ والدَه
بِسَبَبِ وَفَائِكَ لزعامتِكَ وِغرامِكَ في الكرسي. أو ربّما لمئات
الشبّان الذين عوض عن أن تُسكنهم بيوتاً وتؤمنَ معيشتهم
أسكننتهم كراسي مُدولِبَةٌ مؤبّدةً. فتهاني لك لقد كنتَ وفيّاً
لكرسيك حتى أمّنتَ الكراسي لهؤلاءِ فإليك كرسيك! إِمْتِطِهَا
إلى أن تقع عنها أو تقع هي عليك. هيّا يا أخي الزعيم فلنرَكَع
سويّةً ولنصلّ كي تتوبَ إلى ربِّك ووطنِكَ. فلنصلِّ لأجلِ هذا
الوطن المسكين الذي طمعت به كلُّ الدول المجاورة والدول
العظُمى، ولكنهم فشلوا في أخذه لأنّ لبنان كان قبل أن يكون
أيّ شرٍّ في العالم، فيه ركضت حواءُ تُصلّي جباله ومن بحرِه
شرب آدم وأروى الكونَ كلّه، فيه مشى الله وفرح بصنِيعه، وفيه
أنتم خطئتم!!! فِشلوا في أخذه فَنجَحُوا في تجزئته، هذا لأنك
يا صديقي الزعيم كنتَ السكّين الذي فيه قَطَّعُوا وطنك الحبيب،
فإليك كرسيك! جَعَلُوهُ ساحةَ حربٍ حتّى صارَ أرضَ تجرِبَةٍ
لأسلحةِ الدول العظُمى، قَتَلُوا أبناءَه، حَطَّمُوا معامه، سَمَّمُوا
هَواءَه، فإليك كرسيك!

أَعُوذُ إِلَيْكُمْ يا شهدائي الأحبّاء، يا مَنْ صارتَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
قَضِيَّةٌ لَنْ يَمحوها زَمَنٌ، أو تُغَيِّرَها أَيّام. صَلُّوا مِنْ سَمَائِكُمْ لأجلِ

لبنان والشباب اللبنانيّ، وللمسؤولين، وعسى أن ينعم الله بصلاتكم عليهم بحسن الإدارة وبالإخلاص. لبناننا لنا فلنتمسك به، رجائنا لنا فليبقوا أحياء فيه وله، تراه لنا فلندفن فيه بكرامتنا. إن لبنان وطن الأرز والخلود، وطن العزة والصمود. فهيا يا لبنان، استعد شبابك بشبانك وهيا يا شبان كرسوا شبابكم للبنان. قال لي أحد العسكريين أثناء الحرب على "نهر البارد": "نحن عم نموت بنهر البارد، وهني (أي الزعماء) بكرا بيكتبوا التاريخ"، فأقول لهذا العزيز، لا، ليسوا هم كتبة التاريخ، نحن كتبة التاريخ؛ الشعب اللبناني هو كاتبه، زوجة الشهيد في عقول أولاده تزرعه، وأمه في قلوب أحفادها تحفره، وأنا أصليه وعلى مرّعي أكتبه. نحن كتبة التاريخ وهم معتصبوه، نحن صانعو التاريخ وهم متهموه، نحن التاريخ وهم دخلاء عليه، نحن آباء وأبناء التاريخ وهم قاتلوه.

ولك يا جيشنا العزيز، كلّ بركات العليّ، من عيسى المسيح ومحمد النبيّ، أعدت للبنان الأمان، ولكن الثمن كان باهظاً في لونٍ مُحمليّ، دم الوعد الصادق والوفى. فيا جيشنا الحبيب، يا رمز الأمان ومقرّ عاطفة شعبك، إن كان بعد للأرزة من سموّ، فقد أعادته تلك البذّة المرقّطة، بذّة الوفاء والرقيّ. وإن يبقَ بعد من أمل للوطن فهو مكلّل على كتفيها برباط أبديّ. فيا جيشي الحبيب، لو لم يكن الله قد دعاني لخدمة الكنيسة والوطن في زيّ رهبانيّ، لتمنيت أن يكون لي شرف الإلتحاق بصفك

السويّ، وتحتَ جناحيكَ أحيا كالحفّيّ، كما يختبئُ في ظلّها
كلُّ مظلومٍ ومنفيّ. دُمتَ يا جيشنا الأبّيّ، يا مَنْ على كُلِّ سُرورِ
العالمِ عصيّ، فيكَ يَسْمُو كلُّ رُقّيّ، دُمتَ للبنانِ ودامَ لبناننا فيكَ
القويّ.

المفهوم العسكري للاستشهاد

الأخ جورج صادق
والأخ شربل عسّاف^١

مقدمة

إنطلاقاً من مبدأ الجيش حامي الوطن ومؤسساته، تستمدّ الجندية سموّ رسالتها والهالة القدسيّة التي تحوطها بها القوانين والأعراف، فالحفاظ على السيادة والاستقلال يرتبط بأسمى المشاعر الوطنيّة وأعمقها.

إنّ أهمّ خصوصيّة في الجيش دون سواه تتمحور حول ما يُعرّف بالفضائل العسكريّة، وهي مع الفضائل الأخرى مثل الشجاعة والرجولة والنزاهة والتضامن وروح الجماعة، يحتاجها الرجال لقبول فكرة الموت دفاعاً عن الوطن. وكون الجندية رسالة تُلزم حاملها بمواجهة الكثير من العزم والإيمان بالقيم وبذل الذات في سبيل الآخرين، وكون شعار "الشرف والتضحية والوفاء" يتّخذها العسكريّ عنواناً لحياته، فإنّه يكون ملتزماً بتجسيد هذا الشعار في سلوكه ليستحقّ شرف الانتماء إلى المؤسسة العسكريّة وشرف الدفاع عن الوطن.

١. راجع ملحق الصُور، ص ٢١٧، صورة رقم ٢.

في القسم الأوّل، نعالج مفهوم الاستشهاد وظروفه وهدفه، وكيفية تصنيف الشهداء حسب القانون العسكري، وما تقدّمه المؤسّسة للشهيد ولذويه بعد استشهادهم. أمّا في القسم الثاني فنلقّي الضوء على معموديّة الدّم التي كرّست القسم العسكريّ، وطبعت تاريخ الجيش اللبنانيّ.

القسم الأوّل

١. مفهوم الاستشهاد

إنّ الدور الأساسيّ للجيش هو الدفاع عن الوطن وسيادته واستقلاله. ومن هذا المنطلق، تستمدّ الجندیّة رسالتها القائمة على شعارها "شرف - تضحية - وفاء". الاستشهاد قيمة معنويّة رفيعة يرتقي فيها العسكريّ من الشجاعة إلى البطولة وتتنصّر فيها الروح على الجسد. فإذا رأت العسكريّة أنّ الدّود عن الحياة ثمّنه الموت ما بخلت. الاستشهاد هو أقصى درجات التضحية وهو تجسيدٌ للصدق الكامل مع الذات والآخريّن. إذاً فالاستشهاد هو فعل إيمان متمزج فيه أنبل المشاعر الوطنيّة وأسمائها، والإيمان العسكريّ يقترنُ بجملةٍ من الفضائل العسكريّة والإنسانيّة، كالصدق والشجاعة والشرف وبذل الذات والعطاء حتّى الاستشهاد.

٢. ظروف الاستشهاد

يتمّ الاستشهاد في وضعٍ قتاليّ، في حرب، أو اعتداء على

المؤسسة العسكرية، وعلى الوطن، وعلى الأمن، وعلى الشعب وعلى الحرّيات العامّة.

٣. هدف الاستشهاد

من القسم العسكريّ، نستنتج هدف الشهادة والاستشهاد: "أُقَسِّمُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ، أَنْ أَقُومَ بِوَأَجِبِي كَامِلًا حَفَاطًا عَلَى عِلْمِ بِلَادِي وَذُودًا عَنْ وَطَنِي لِبَنَانٍ". الجنديّة رسالة لا يستطيع أن يحملها إلا مَنْ آمَنَ بِقُدْسِيَّتِهَا وَسُمُوحِهَا. فالحيّاة العسكريّة حافلة بالصّعاب والتحدّيات التي يلزم لتحمّلها ومُواجهتها الكثير من العزم والإيمان بالقيم، وبذل الذات في سبيل الآخرين. فالشعار "شرف - تضحية - وفاء"، الذي يتّخذهُ العسكريُّ عُنواناً لحيّاته، هو اختصارٌ لرسالة الجنديّة. وبقدر ما يكون ملتزماً تجسيد هذا الشعار في مسلكه، بقدر ما يكون مُستحقاً لشرف الانتماء إلى الجيش وشرف الدفاع عن الوطن.

- الشرف: هو الحفاظ على كرامة المؤسسة والقيم والمبادئ العسكريّة والالتزام بها.

- التضحية: هو الاستعداد الدائم لبذل الذات والعطاء حتّى الاستشهاد.

- الوفاء: هو الالتزام بالشرف والتضحية دون رجوع.

٤. تصنيف الشهداء

يُبدّل الجنديُّ ما بوسعهِ للقيام بواجبه العسكريّ وللبقاء حيّاً،

فعليه ألا يتهورَ أثناء تأديته الواجب الموكل إليه. يُصنّفُ الشهداء بحسب المادة ٩٤ من المرسوم الاشتراعي رقم ١٠٢ تاريخ ١٩٨٣/٩/١٦ إلى ثلاث فئات:

١. شهيد ساحة الشرف: إذا قُتِلَ متطوعاً بالرّصاصِ أو سلاحٍ آخر أثناء الاشتباك مع العدوِّ في زمن الحرب أو في إتمامِ حفظِ الأمنِ داخلَ البلادِ في زمنِ السّلمِ أو في حادثِ طيرانٍ مأمورٍ بهِ.

٢. شهيد الواجب: إذا قُتِلَ بتعدّدٍ أثناء مُمارسةِ وظيفتهِ أو بِمناسبةِ قيامهِ بعملٍ إندفاعيٍّ للمحافظةِ على حياةِ الغيرِ.

٣. شهيد الخدمة: إذا توفّي متطوعاً نتيجة حادثٍ أو مرضٍ منسوّبٍ إلى الخدمةِ غيرِ مُحدّدٍ في البندين السابقيين.

٥. ما بعد الاستشهاد

— مساعدات فوريّة.

— إبلاغ وسائل الإعلام من قبل مديرية التّوجيه بوفاة الجنديّ.

— إجراء مراسم التّكريم أمام المستشفى العسكريّ وفي القرى. بمشاركةِ موسيقى الجيش.

— حراسة الجثمان (للضباط فقط).

— وضع إكليلٍ من الزهر باسم قائد الجيش.

- إلقاء كلمة قائد الجيش من قِبَلِ مُمَثِّلٍ عَنْهُ.
- منح أوسمة عسكرية: وسام الحرب ووسام الجرحى، بالإضافة إلى ترقية عسكرية.
- الاهتمام بعائلات الشهداء من حيث السَّكْنِ والاستشفاء والتعليم وخدمات إجتماعية أخرى.
- إقامة احتفال تكريمي للشهداء.
- زيارة عائلات الشهداء في ذكرى الاستشهاد وخلال الأعياد وتقديم مساعدات مادية.

القسم الثاني

١. معمودية الدَّم تَكَرَّسَ الْقَسَمَ
 إن معمودية الدَّم التي خاضها الجيش اللبناني في معركة مخيم نهر البارد، حيث استشهد ١٦٨ عسكرياً أضف إليهم عدداً كبيراً من الجرحى، كَرَّسَتْ قولاً وفعلاً وبايقاع واحد، الْقَسَمَ الذي رَدَّدَتْهُ حناجرهم ونذروا أنفسهم له. فكانت أعراسُ أرواحهم تجولُ على مساحاتِ الوطن الصغير بمساحته، الكبير بغطاءاته العسكرية. فأضيئت الشموعُ ليلاً ونهاراً في الساحات وعلى الشرفات، ورفرف علم الجيش عالياً ووقف الوطن بأكمله جيشاً خلف جيشه.

وقد صدق قائد الجيش العماد ميشال سليمان عندما خاطب

الشهداء في يوم الانتصار على الإرهاب في مخيم نهر البارد في ٢٠٠٧/٩/٢ قائلاً: "لقد صنعتم بدمائكم الزكية وبِعُنُفوانِكُمْ وعطائِكُمْ السّخّيِّ مجدَ لبنانَ وجيشه، وافتديتُم بأرواحِكُمْ الطاهرةَ أهلَكُم في الوطنِ والمواطينيةَ، وجسدتُم بِشهادتِكُمْ الحمراء كُلَّ معاني الشرفِ والتضحيةِ والوفاء، فأنتمُ إرثُ الجيشِ ولهبُ الدّمِ النابضِ في عُروقه، وأنتمُ الشّعلةُ التي لا تَنطفئُ على طريقِ أجياله الصاعدة".

٢. معموديّة الدّم تطبع التاريخ

بعد استشهاد العديد من عناصرها، أوصلت المؤسسة العسكرية رسالةً طبعت فيها تاريخ الجيش اللبناني، نوجزها بما يلي:

أولاً: استعداد الجيش لتقديم الدماء دون حساب حفاظاً على استقلال الوطن وسيادته وحماية أبنائه.

ثانياً: العبث بالأمن والاستقرار في لبنان هو خطّ أحمر ولا تهاون مع أيّ محاولةٍ أُخرى للنيل من استقرار الوطن مهماً بلغت التّضحيات.

ثالثاً: أثبتت المعركة أهميّة وحدة الجيش والتفاف جميع المواطنين حوله؛ فالالتفاف الشعبيّ الذي تجلّى بأبهى مظاهره في المعركة وبعدها، والاستقبالات العفويّة لدى عودة الوحدات، لهي أصدق تعبيرٍ عن هذا الالتفاف.

رابعاً: إلتزام الجيش بالانضباط والحفاظ على الوحدة الوطنية.

خامساً: تعدّد المهامّ التي يقومُ بها الجيش لن تُثنيه عن القيام بواجبه للدفاع عن الوطن والحفاظ على أمنه واستقراره. فمهامّ الجيش قد حدّدها قانون الدفاع الوطني الصادر سنة ١٩٨٣ مع تعديلاته، وهي مهامّ دفاعية ومهامّ أمنية ومهامّ إنمائية.

سادساً: بالرغم من يد الغدر التي طالته وبالرغم من فداحة الجراح، أثبت الجيش بأنه جيش يلتزم القيم الإنسانية والأخلاقية وقانون النزاعات المسلحة، وهذا ما تجلّى في الحرص الشديد على أرواح المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين وكذلك أثناء إخراج عائلات الإرهابيين من الخيم ومعاملتهم بصورة لائقة.

خاتمة

يبقى الاستشهاد قيمةً مثاليةً حاضرةً في ذاكرة الشعوب، يتمّ استحضارها من أجل الاستقواء بها، من أجل تأملها، والاستفادة من مثلها لصالح الأجيال الحاضرة والطارئة، من أجل تحقيق كرامة الإنسان. وأكبر مثل على ذلك هو الشهيد علي موسى الذي استشهد في معركة نهر البارد وعلى وجهه إمارات العزة وراحة ضمير شهيد بارّ أنجز واجبه حتى آخر

رمق، وفي جيبه ورقة (وصفة طبيّة) مطوية بعناية وقد خطّ عليها وصيته^٢. فقد أوصى الشهيد زوجته بالشجاعة طالباً منها أن تفرح لأنّه في جنان الخلد. طلب منها أن تعتبر أهله أهلها. وأن تخلّص ذمّته مع الآخرين. وأوصاها بالإحسان والبر. أمّا أهله وإخوته فقد ودّعهم بكلمات مؤثّرة موصياً كل فردٍ منهم بحبّة الآخر. هذا شهيدٌ بار نموذج لشهداء أبرار كانوا قدوةً في تضحياتهم وأرادوا أن يكونوا قدوةً في استشهادهم^٣. فالعسكريّ يقدّم صحته لبقى الوطن معافى، يُذيب وقته لبقى الوطن موجوداً، يُقرّب حياته لبقى الوطن حياً، ويعطي من عرقه وحتى من دمه لبقى قلب الوطن نابضاً. لبنانُ وطنٌ يكتبُ تاريخه بدمّ أبنائه، فأغصانُ الأرزِ اللبنانيّةِ هي لهم مظلة الرقاد وقد عمدوها بدم الانتصار. لقد باتوا الأيقونة التي تحرسُ لبنان، وبخور الصلّاة الذي يُقرّبُ على مذبح الوطن، لذلك هم الخالدون.

٢. راجع ملحق الصور، ص ٢١٧، رقم ٣.

٣. مجلّة الجيش، حزيران-تموز ٢٠٠٧. عدد ٢٦٤-٢٦٥، ص ٩٣.

الشهادة حتى الاستشهاد

الأخ جاد القصيفي

إِنَّ كَلِمَةَ "شهادة" مُشْتَقَّةٌ لُغَوِيًّا مِنْ فِعْلِ "شَهَدَ"، وَهَذَا يَعْنِي "رَأَى وَعَايَنَ". فَالشَّهَادَةُ هِيَ "إِقْرَارُ الْمَرْءِ بِمَا رَأَى وَعَايَنَ". أَمَّا كَلِمَةُ "إِسْتِشْهَادٍ" فَهِيَ الْمَصْدَرُ إِمَّا مِنَ الْفِعْلِ الْمَعْلُومِ "إِسْتَشْهَدَ" وَهَذَا يَعْنِي "طَلَبَ مِنْ فُلَانٍ أَنْ يَشْهَدَ"، أَوْ مِنَ الْفِعْلِ الْمَجْهُولِ "إِسْتَشْهَدَ"، وَهَذَا يَعْنِي "طُلِبَ مِنْهُ أَنْ يَشْهَدَ"، فَقُتِلَ بِسَبَبِ شَهَادَتِهِ. وَلِذَلِكَ فَالِاسْتِشْهَادُ هُوَ احْتِمَالُ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْوَطَنِ، أَوْ دِفَاعًا عَنِ عَقِيدَةٍ وَمَبْدَأً.

فِي التَّارِيخِ أَمْثَلَةٌ لَا تُحْصَى عَنِ أَفْرَادٍ وَجَمَاعَاتٍ، لَمْ يَتَرَدَّدُوا فِي التَّضْحِيَةِ بِالذَّاتِ، بِالشَّهَادَةِ أَوْ الْإِسْتِشْهَادِ، بَلْ بِالشَّهَادَةِ حَتَّى الْإِسْتِشْهَادِ. سَقَطَ الْبَعْضُ ضَحِيَّةَ الظُّلْمِ. وَعَاشَ الْبَعْضُ الْآخَرَ بِالذَّلِّ وَالِاضْطِهَادِ وَالْخَوْفِ وَالْقَهْرِ. وَهَذَا نَوْعٌ آخَرٌ مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ، فَإِنَّهُمْ شُهَدَاءُ أَحْيَاءٍ.

مِنَ الصَّعْبِ مَوْضُوعِيًّا وَعِلْمِيًّا تَحْدِيدَ تَارِيخٍ مُحَدَّدٍ بَدَأَ فِيهِ الْإِسْتِشْهَادُ. وَلَكِنَّ الْأَكِيدَ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ تَعْنِي الْأَشْخَاصَ وَالشُّعُوبَ وَالْأُمَّمَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

وَمَا يَجْمَعُ كُلَّ هَؤُلَاءِ هُوَ أَنَّهُمْ ضَحُّوا مِنْ أَجْلِ ذَاتِهِمْ أَوْ مِنْ

أَجَلٍ غَيْرِهِمْ وَمِنْ أَجَلٍ إِلَيْهِ أَوْ وَطَنٍ، وَمِنْ أَجَلٍ عَقِيدَةٍ أَوْ قَضِيَّةٍ،
وَمِنْ أَجَلٍ حِزْبٍ أَوْ زَعِيمٍ.

فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ لَا الْحَصْرَ، هَذَا "سُقْرَاطُ" يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ كَيْفِيَّةَ
التَّفْكِيرِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ. وَهَذَا مَا أَثَارَ الطَّبَقَةَ
الأُولِيغَارَشِيَّةَ فَحَكَمَتْ عَلَيْهِ بِشَرْبِ سَمِّ الشُّوْكَرَانِ سَنَةَ ٣٩٩
ق.م. فَهُوَ شَهِيدُ الْفِكْرِ وَالْفَلَسَفَةِ.

وَهَذَا الْإِسْكَندَرُ الْمَقْدُونِيُّ (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م.)، يُحَاصِرُ
مَدِينَةَ صُورِ الْفِينِيقِيَّةِ سَنَةَ ٣٣٢ ق.م. لِمُدَّةِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ. وَرَفَضَ
أَهْلُهَا الْاسْتِسْلَامَ فَكَانَ مَصِيرُهُمُ الْمَوْتُ الْجَمَاعِيَّ. فَهُمْ شُهَدَاءُ
الْحُرِّيَّةِ.

وَهُنَاكَ "سِبَارْتَاكُوسُ" يَقُودُ الْمُسْتَعْبَدِينَ فِي رُومَا الْقَدِيمَةِ،
وَيَقُومُ بِثَوْرَةٍ ضِدَّ النِّظَامِ الْقَائِمِ. فَسَحَقَتْهُ فَيَالِقُ الْجَيْشَ الرُّومَانِيَّ،
فَسَقَطَ وَمَنْ مَعَهُ سَنَةَ ٧١ ق.م. فَهُمْ شُهَدَاءُ الْإِعْتَاقِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ.

وَهَا هُوَ يَسُوعُ نَفْسَهُ يُسَلِّمُ ذَاتَهُ حُرًّا لِلْمَوْتِ عَلَى الصَّلِيبِ
بَعْدَ أَنْ شَهِدَ لِلْحَقِّ أَمَامَ الشَّعْبِ وَأَمَامَ السَّلْطَنَةِ الْيَهُودِيَّةِ، الدِّينِيَّةِ
وَالزَّمْنِيَّةِ، أَمَامَ بِيلاطسِ الْحَاكِمِ الرُّومَانِيَّ، بَيْنَ سَنَةِ ٣٠ وَ ٣٣،
فَإِذَا هُوَ رَبُّ الشُّهَدَاءِ جَمِيعًا. وَتَبِعَهُ إِسْطَفَانُوسُ سَنَةَ ٣٤
بِالرَّجْمِ. ثُمَّ يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدَى بِحَدِّ السَّيْفِ، سَنَةَ ٤٢، ثُمَّ بَطْرُسُ
بِالصَّلْبِ وَبُولُسُ بِحَدِّ السَّيْفِ فِي رُومَا حِوَالِي سَنَةِ ٦٧، فِي عَهْدِ
الْإِمْبَرَاطُورِ نِيرونَ (٥٤ - ٦٨).

وَمِمَّا زَادَ مِنْ اضْطِهَادِ نِيرونَ لِلْمَسِيحِيِّينَ هُوَ أَنَّ بَشَارَتَهُمْ

وإيمانهم باللهِ واحدٍ، قد أقلقنا القضاءَ الرومانيَّ. فرغم احتفاظها بعباداتها الخاصَّة، كانتِ الشعوبُ الخاضعةُ للإمبراطوريةِ الرومانيَّةِ، مُجبرةً بالتزامِ الديانةِ الرومانيَّةِ التي أطلقها الإمبراطور أغسطس قيصر (٢٧ ق.م - ١٤ ب.م). تلكَ الديانةُ اعتبرتْ بمثابةَ علامةِ أمانةٍ وولاءٍ لروما وللإمبراطور. فمدينة روما كانت تُعتبرُ إلهةً. كذلك الإمبراطور، الذي يتسلطُ على مصيرها. هاتان العبادتان كانتا تمثلان الرابطَ الأساسيَّ لأنصهارِ الإمبراطورية. وكل امتناع عن تقديم الإكرامِ والعبادةِ لروما وللقيصِر، كما يفعلُ المسيحيُّون، كانا دليلاً على الإلحادِ ومُعاديةِ الدولة. وهذا يعني خلعَ صفةِ الألوهة عن الدولة وعدمِ الولاءِ للإمبراطور.

ودامَ اضطرُّهاذُ المسيحيِّينَ رَسمياً حتَّى منشور ميلانو الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٦ - ٣٣٧) سنة ٣١٣ حيثُ ألغى الاضطهادَ رَسمياً عن المسيحيَّة.

ويستوقفنا "تلامذة" مار مارون (٣٥٠-٤١٠) الشهداء الـ ٣٥٠، الذين تُعيدُ لهم الكنيسةُ المارونيَّةُ في ٣١ تموز. إنَّهم من رُهبانِ دَيرِ مار مارون على العاصي، الذي تأسَّسَ سنة ٤٥٢ م. ففي خضمِّ الصراعِ العنيفِ بينَ مؤيِّدي المجمعِ الخلقيدونيِّ (سنة ٤٥١ م) وبينَ معارضيه، سقطَ أولئك الرهبان المؤيِّدونَ لمجمعِ خلقيدونيا على خُطوطِ تماسِّ الصراعِ الكبير. إنَّهم شهداءُ المبدأ والعقيدة. كان ذلك سنة ٥١٧ م.

ولا بُدَّ من ذِكرِ بعضِ الشخصيَّاتِ الفكريَّةِ المعروفةِ التي
قُضتْ حرَقاً أو سجنًا ضحيَّةَ محاكمِ التفتيشِ في أوروبا:

– جيوردانو برونو (١٦٠٠) (شهيد الفلسفة) قضى حرَقاً.

– غاليليو غاليلي (١٦٣٣)، سُجنَ مدى الحياة لأنه علَّم
أن الأرض تدور حول الشمس.

ويَدورُ التاريخُ دَوْرَتَهُ، وتَسْتَمِرُّ الشهادَةُ حتَّى الاستِشهادِ،
وتَبقى الحُرِّيَّةُ، والاعترافُ بالآخر، وحقُّه بالوجودِ هي القَضِيَّةُ،
أي أن يكونَ الآخرَ كما يُريدُ ويَجِبُ أن يكونَ، وكما يَحِقُّ لَه
أن يكونَ، أي كآخرٍ مُخْتَلِفٍ عن الآخرِ.

وفي فَتْرَةِ أحداثِ ١٨٦٠ هُوِجِمَتِ القُرى والمناطقُ المِسيحيَّةُ
خُصوصًا في الشوفِ وعاليه والمُتن، وسَقَطَ أكثرُ من ١٢ ألف
شهيد. ولم تَسَلَمْ أديارُ الرهبانيَّةِ اللبنانيَّةِ المارونيَّةِ من ذاكِ
الإعصارِ. فَنُكِبَ دِيرُ سَيِّدَةِ مَشْمُوشَةَ في قضاءِ جَزِين، وقُضِيَ
فيه نحو ٢٩ راهبًا.

وعَلَى خَطِّ موازٍ، في دِمَشقِ، حيثُ كانَ لِلإخوةِ المِسابكيِّين
الموارنة: فرنسيس وعبد المعطي وروفائيل، موعِدٌ معَ الشهادَةِ ثمَّ
الاستِشهادِ. رَفُضُوا أن يُنكروا إيمانَهُم، فَسَقَطُوا ضحيَّةَ الجَهْلِ
وعَدَمِ اعترافِ الآخرِ بِحقِّهِمِ بالاختلافِ، وكانَ ذلكَ في ١٠
تمَّوزِ عامِ ١٨٦٠.

وكانتِ الحربُ العالميَّةُ الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، ثمَّ الحربُ

العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وكانت الحرب اللبنانية (١٩٧٥-١٩٩٠) وسقطت ضحاياها الألوف المؤلفة.

ولن نستطرد في هذا المجال، لأن الكلام يطول. ولكن من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه لا لون ولا عرق ولا دين ولا عمر ولا وطن يُميّز شهيداً عن آخر. كأني بالشهداء كلهم أشبه بإنسان واحد، وبقضية واحدة في كل زمان وكل مكان. وكأن ما يجمعهم هو باختصار حرمانهم من حقهم بأن يكونوا آخرين مختلفين عن مضطهديهم، مختلفين فكرياً وثقافياً أو عرقياً أو دينياً أو سياسياً. رفض المضطهد الاعتراف بحقهم بالوجود وبالتمايز، فألغاهم!

إن من حتميات التاريخ أن عصور الظلم والظلام ستتحسر حتماً والطغاة ساقطون حكماً، إن لم يسقطوا اليوم، فسيسقطون غداً. وسبقت الإشارة إلى أن الشهيد هو من يموت في سبيل فكرة أو قضية أياً كانت. هذا هو شهيد الدم. غير أن هناك أنواعاً أخر كثيراً من الشهداء، هم الشهداء الأحياء. إنهم شهداء لم تمزقهم أنياب السباع ولم تطعنهم الرماح والسهام، ولكن كل ما في الكون من تجارب قد تتربص لهم للفتك بهم. فهم في كل لحظة من حياتهم معرضون للطعن والهجوم، وأحياناً من أقرب المقرّبين إليهم، وغالباً ممن يفترض بهم أن يكونوا من المدافعين عنهم. وكأني بالأديب الفرنسي فكتور هوغو يعبر عن ذلك بقوله: "البشرية دولاب كبير لا يمكنه أن

يَدُورَ دُونَ إِمْكَانِيَّةٍ أَنْ يَسْحَقَ أَحَدًا".

وَقَدْ يَقَعُ بَعْضُ النَّاسِ رَبَّمَا أُسْرَى أَشْكَالِ مُسْتَتِرَةٍ مِنْ التَّهْمِيشِ وَالذُّلِّ وَالْقَهْرِ. إِنَّهُمْ الضَّعْفَاءُ أَوْ الْمُسْتَضْعَفُونَ. إِنَّهُمْ حَقًّا شُهَدَاءَ، لَكِنَّ صَامِتُونَ أَغْلِبَ الْوَقْتِ، وَحُقُوقُهُمْ مَهْدُورَةٌ، وَكَرَامَتُهُمْ مُمْتَهَنَةٌ. أَجَلٌ، لَقَدْ أُلْغِيَ الرَّقُّ مِنْ نُصُوصِ الْقَوَانِينِ، لَكِنَّهُ بَقِيَ فِي نَفُوسِ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَسُلَاطِينِ هَذَا الْعَالَمِ. فَمَنْ كَانَ أَسِيرًا لَدَى رَبِّ عَمَلِهِ، أَوْ مَنبُودًا فِي مُجْتَمَعٍ قَاسٍ لَا يَرْحَمُ، هُوَ شَهِيدٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ. وَحَتَّى فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْمُغْلَقَةِ كَالْحَيَاةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الرَّهْبَانِيَّةِ، قَدْ يَتَعَرَّضُ الْبَعْضُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ لِشَكْلِ مِنْ أَشْكَالِ التَّهْمِيشِ وَالذُّلِّ وَالْقَهْرِ. لِأَنَّ هُنَاكَ دَائِمًا مَنْ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ مَالِكًا لِمَفَاتِيحِ الْمَعْرِفَةِ وَالْحَقِيقَةِ. فَيَسْتَكْبِرُ وَمَا مِنْ رَادِعٍ. يَسْحَقُ الَّذِينَ بِجَانِبِهِ، وَلَا يَنْتَبِهَ. وَقَدْ فَاتَهُ مَا قَالَهُ الْمُفَكِّرُ الْفَرَنْسِيُّ بُولُ فَايِرِي (١٨٧١ - ١٩٤٥): "إِنَّ نَقْطَةَ ضَعْفِ الْقُوَّةِ هِيَ فِي أَنَّهَا لَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِالْقُوَّةِ". وَفَاتَهُ أَنَّ الْعُنْفَ لَيْسَ عِلْمًا لِلْقُوَّةِ بَلْ لِلضَّعْفِ، لِأَنَّ الْفِكْرَةَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْعُنْفِ وَالسَّلَاحِ لِتَسْتَمِرَّ هِيَ مُهَدَّدَةٌ بِالزَّوَالِ.

شُهَدَاءُ أَحْيَاءٍ يَسْقُطُونَ وَيُسْحَقُونَ مِنْ حَوْلِنَا كُلِّ يَوْمٍ. قَدْ لَا نَنْتَبِهُ إِلَيْهِمْ وَلَا نَلْتَفِتُ نَحْوَهُمْ. "الْحَقِيقَةُ"، مَنْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَحْدَهُ يَمْلِكُهَا؟ لِلْأَسْفِ هُنَاكَ مَنْ يَدَّعِي. هُنَاكَ مَنْ يَعْتَبِرُ أَنَّ اخْتِبَارَهُ هُوَ "الِاخْتِبَارُ"، وَأَنَّ حَقِيقَتَهُ هِيَ "الْحَقِيقَةُ"، وَأَنَّ تَارِيخَهُ هُوَ "التَّارِيخُ". وَفِي كُلِّ هَذَا هُنَاكَ شُهَدَاءُ أَحْيَاءٍ يَسْقُطُونَ ضَحَايَا

الأقوياء أو مَنْ يَسْتَقْوُونَ. فَإِنْ لَمْ يَرْضَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ تَعْصِبِهِ لِخَبْرَتِهِ الْمَحْدُودَةِ، فَلَا يَعُودُ يَجْعَلُهَا مِقْيَاسًا لِمَوْقِفِهِ مِنَ الْآخِرِينَ، عِنْدَئِذٍ فَقَطْ يُمَكِّنُهُ اعْتِبَارَ الْحَيَاةِ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنْ حَيَاتِهِ، وَالتَّارِيخِ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنْ تَارِيخِهِ، وَالخَبْرَةَ أَكْبَرَ مِنْ خَبْرَتِهِ، وَاللَّهِ ذَاتَهُ أَكْبَرَ مِنْ إِلَهِهِ الْمَزْعُومِ.

"مَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ يَفْقَدُهَا، وَمَنْ فَقَدَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِي يَجِدُهَا"
(متى ١٠/٣٩).

فَإِنْ لَمْ يُعَرِّضِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ لِفَقْرِ الْإِنْفِتَاحِ وَقُبُولِ الْآخِرِ كَمَا هُوَ، لَا يُنْعَمُ عَلَيْهِ بِمِلءِ الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ الدَّافِي. عِنْدَئِذٍ لَا يَبْقَى إِلَّا مَعَ سَرَابِ ذَاتِهِ الْبَارِدِ، لِأَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ هُوَ بِالْاعْتِمَادِ الْمَتَبَادَلِ الْخَلَاقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْآخِرِينَ.

مُقارِبَةٌ مَسِيحِيَّةٌ لِلِاسْتِشْهَادِ

الأخ حسيب مرعي
والأخ جورج ليشع

إنَّ أيَّ تفكيرٍ لاهوتيٍّ لا يَسَعُهُ إِلَّا أنْ يَسْأَلَ: لماذا يوجد شهداء؟ وأيِّ مفهومٍ للحياة يَكْمُنُ وراءَ كلِّ شهيد؟ للإجابة على هذين السؤالين يَجِبُ أنْ نَعْلَمَ أَوَّلًا أنَّ الاستشهادَ مُمَكِنٌ لأنَّ هنالك أناساً يُفَضِّلُونَ التضحية بحياتهم بدلاً من أن يكونوا غير مُخلصين لقناعاتهم؛ ثانياً إنَّ الاستشهادَ مُمَكِنٌ لأنَّ هنالك أناساً يَرفضون ويستنكرون ما يُعلنن، فيضطهدون ويُعذِّبون ويقتُلون. إنَّ الحقيقة والعدالة والله ليسوا مَلْمُوسين، ولا يَحْكُمُونَ وِحدَهُم العلاقة بين الأفراد والمجتمعات، من هنا بعض آليات الهيمنة والخذاع التي تنطوي على إنكارهم. في ظلِّ هذه الظروف، تأكيد الله والحقيقة والعدالة يبرهن فقط في شكلٍ من أشكال الاضطهاد والاستشهاد.

لقد كان دائماً في التاريخ شهداء. يسوع الناصري يقع ضمن هذا التقليد الاستشهادي. الكنيسة، على خطى المسيح، لا يوجد لديها فقط شهداء، وإنما هي كنيسة الشهداء. إنَّ عَرْضَنَا للتقليد الاستشهادي يتبع التصميم التالي: أولاً، شَهَادَةُ يسوع المسيح، ثم شهداء الإيمان المسيحي الذين ساروا على خطى

استشهاد يسوع؛ وأخيراً، شهداء ملكوت الله الذين وإن لم يُعلنوا إيمانهم المسيحيّ جهاراً، ينتمون إلى الملكوت الذي بشر به المسيح، لأنهم قد ضحوا بحياتهم من أجل الملكوت بوصفه الحقيقة ومحبة الله والفقراء.

١ - يسوع المسيح: السرّ الذي منه يستقي الاستشهاد ذروته وأسمى معانيه

إنّ موت يسوع يسمّح لنا بقراءتين متميّزتين: إمّا هو عقابٌ للتّجديف وإهانة الشريعة، أو لدفع الثمن من أجل تحرير وخلص العالم. إنّ الجماعات المسيحية الأولى حاولت أن تعمّق نظرتها الدينيّة والخلاصيّة لحياة يسوع ومصيره، فكانت تنظر إليه كالبارّ المتألّم والنبيّ المضطّهد والمقتول والشهيد. فهو كان يُدعى "الشاهد الأمين والصادق" (رو ١/٥)؛ لذلك يظهر يسوع نموذجاً (prototype) للشهيد: فهو قد تحمّل المخاطر بشجاعةٍ وحافظ على وفائه الجذريّ لرسالته ولأبيه وللطريق التي اختارها. وقد اتّجه حراً وبحزمٍ إلى أورشليم للمواجهة النهائيّة للموت (لو ٩/٥١). إنّ نصوص الجتسمانيّة والآلام تُظهر قوّة يسوع في قلب الخطر الكبير: التسليم المطلق والخاضع على الصليب هو انتصارٌ ضدّ تجربة اليأس. من هنا كثرة تشابيه يسوع في العصر الرسوليّ: "مُهان ولا يردّ الإهانة، متألّم ولا يهدّد" (١ بط ٢/٢٣). لذلك بشكل عام فإنّ الشهيد لا يدافع عن حياته ولكن عن قضيتته التي هي قناعته

الدينيّة ووفاءه لله. من هنا قول القديس أوغسطينوس: "ليس الألم بل القضية التي تصنع الشهداء الحقيقيين. وهذه القضية لا يدافع عنها إلا بالموت". إن الاستشهاد يأخذ معناه الكامل من قيامة يسوع من بين الأموات: "من خسر نفسه يحفظها حياة أبدية". يبقى للشهيد أن يتمتع بتمجيده في ملكوت الحياة الخالدة.

٢ - شهداء الإيمان المسيحي: إتباع المسيح

جمّع يسوع في بشارته العناصر الأساسية للاستشهاد: "انتبهوا، لأنّ الناس سيُسَلِّمونكم إلى المحاكم، ويجلدونكم في المجمع، ويسوقونكم إلى الحكام والملوك من أجلي.... ويُبغضكم جميع الناس من أجل اسمي. والذي يثبت إلى المنتهى يخلص" (متى ١٠/١٧-٣٦). إنّ أتباع يسوع يُوجب المشاركة في حياته، الأمر الذي قاد المسيحيين في القرون الأولى إلى الاستشهاد، لأنهم كانوا يواجهون صراعاً أليماً: الله أو القيصر. فاختاروا، على غرار الرسل، أن يشهدوا ليسوع المسيح الربّ والإله الأوحّد. وبإعلانهم هذا يكونون قد ارتكبوا جريمةً ضدّ الامبراطور إذ لم يعترفوا بألوهيته. أمّا الآن فنجد العديد من المسيحيين الذين يتبنون إجراءاتٍ سياسيةً متّصلةً في الإيمان والإنجيل. فنرى مثلاً شهداء من الكراذلة والأساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين، الذين لغيرتهم الإنجيلية اختاروا أن يقفوا إلى جانب الفقراء لتحريرهم والدفاع

عَنْ حَقُوقِهِمْ، مُسْتَنْكِرِينَ كُلَّ أَشْكَالِ الْهَيْمَنَةِ عَلَيْهِمْ وَالِاسْتِبْدَادِ بِهِمْ وَالْحَطِّ مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِمْ. لِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ اضْطُهِدُوا وَخُطِفُوا وَعُدِّبُوا وَقُتِلُوا؛ فَهُمْ أَيْضاً شُهَدَاءُ. إِنَّهُمْ بِبَسَاطَةِ شُهَدَاءِ الْإِيمَانِ الْعَمَلِيِّ الَّذِي يَنْبَغُ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ وَمِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْفُقَرَاءِ. فِي هَذَا الْإِطَارِ يَقُولُ الْقَدِيسُ توما الأكويني فِي جَوَابِهِ عَلَى السُّؤَالِ إِذَا مَا كَانَ الَّذِي يَمُوتُ مِنْ أَجْلِ الْوَطَنِ هُوَ بِمِثَابَةِ شَهِيدٍ: يُمَكِّنُ لِلْخَيْرِ الْبَشَرِيِّ أَنْ يُصْبِحَ خَيْرًا إِلَهِيًّا إِذَا كَانَ مُرْتَبِطًا بِاللَّهِ، وَبِالتَّالِي يُمَكِّنُ لِكُلِّ خَيْرٍ بَشَرِيٍّ أَنْ يَكُونَ سَبَبَ اسْتِشْهَادٍ إِذَا كَانَ مُرْتَبِطًا بِاللَّهِ.

٣ - شهداء ملكوت الله

هناك العديد من الناس الذين يرتبطون في عمليات التغيير الاجتماعي من أجل مزيد من المشاركة والعدالة للجميع. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما القيمة اللاهوتية لأولئك الشهداء؟ وهل ينبغي أن ندعوهم شهداء؟ يقول أوريغانوس: "من يشهد للحقيقة إن بالكلام أو بالعمل يحق له أن يدعى شهيداً".^١ ويقول القديس توما الأكويني: "المسيحي هو من كان للمسيح، ليس لأنه يؤمن بالمسيح، بل لأنه يصنع أعمال الفضيلة بروح المسيح".^٢ إن الاسم الحقيقي لله هو عدالة ومحبة وسلام.

١ . In John II: PG 14, 176

٢ . Thomas D'Aquin. Commentaire des Sentences", II, q.124.

مِنْ هُنَا إِنَّ الْأَمَانَةَ الْحَقَّةَ لِلَّهِ تَفْتَرِضُ الْأَمَانَةَ لِلْحَقِيقَةِ وَالْمَحَبَّةِ
وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ وَلِكُلِّ الْفَضَائِلِ؛ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ لِأَجْلِ هَذِهِ
الْقَضَايَا هُوَ شَهِيدٌ حَقٌّ وَشَهِيدٌ مَلَكَوتِ اللَّهِ.

٤- قِيَمَةُ الْاسْتِشْهَادِ

مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الْاسْتِشْهَادَ يَمْلِكُ قِيَمًا بَارِزَةً: بَدَايَةً إِنَّ
لِلْاسْتِشْهَادِ أَهْمِيَّةَ أَنْتَرُوبُولُوجِيَّةٍ: مَا يُعْطِي الْوُجُودَ كَرَامَةً لَيْسَ
الْتَرَكِيزُ عَلَى الذَّاتِ وَإِنَّمَا إِخْلَاءُ الذَّاتِ وَالْخُرُوجُ مِنْ مِحْوَرِيَّةِ
"الْأَنَا". إِنَّ الشَّهِيدَ يَدْفَعُ بِدِينَامِيَّةِ الْحَيَاةِ حَتَّى الرَّادِيكَالِيَّةِ: بَدَلِ
الذَّاتِ وَالْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. عَادَةً يُنْظَرُ إِلَى الْحَيَاةِ عَلَى أَنَّهَا أَعْلَى
قِيَمَةٌ، وَلَكِنْ مَعَ التَّضْحِيَّةِ بِالْحَيَاةِ مِنْ قَبْلِ الشَّهِيدِ يَظْهَرُ شَيْءٌ
أَعْلَى وَأَهَمٌّ مِنَ الْحَيَاةِ: الْإِيمَانُ الْمَسِيحِيَّ يَتَكَلَّمُ عَنِ اللَّهِ، الْبَعْضُ
يَتَكَلَّمُ عَنِ الْآخَرِ وَالْمَجْتَمَعُ كَقِيَمٍ عُلْيَا فِي الْحَيَاةِ، وَبِالتَّالِي كَأَسْرَارِ
إِلَهِيَّةٍ كَوْنِ اللَّهِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَسْمَى لِلْحَيَاةِ وَالتَّارِيخِ. إِنَّ الشَّهِيدَ،
بِعَمَلِهِ الْبُطُولِيِّ، يُصْبِحُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ الْحَقِيقَةِ. إِنَّهُ سِرٌّ صَانِعٌ
لِلْحَقِيقَةِ فِي الْكَنِيسَةِ، وَيُظْهَرُ قَدَاسَةً لِلَّهِ الَّتِي يُشْرِكُ فِيهَا كَنِيسَتَهُ.
الْكَنِيسَةُ لَهَا شُهَدَاؤُهَا وَالشَّهَدَاءُ لَهُمْ مَجْدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ هُنَا لَا
تَكُونُ الْكَنِيسَةُ كَنِيسَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ جَاهِزَةً لِلْمُشَارَكَةِ فِي نَفْسِ
مَصِيرِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّهِيدِ.

يَبْقَى أَنَّ أَجْمَلَ مَا قِيلَ فِي الْاسْتِشْهَادِ هُوَ فِي رِسَالَةِ الشَّهِيدِ
الْقَدِيسِ إِغْنَاطِيُوسِ الْإِنْطَاكِيِّ إِلَى أَهْلِ رُومَا: "إِنِّي أَكْتُبُ إِلَى
جَمِيعِ الْكَنَائِسِ وَأُبَلِّغُ جَمِيعَ النَّاسِ أَنَّي سَأَمُوتُ طَوْعًا فِي سَبِيلِ

الله، إذا لم تحولوا دون موتي... أناشدكم أن لا تعطفوا عليّ عطفاً في غير وقته. دعوني أصبح طعام السباع... إني لحنطة الله، فتطحني أنياب السباع، لأصير للمسيح خبزاً خالصاً. فالأولى أن تتملقوها (الأسود) لتصير لي قبراً... عند ذاك سأكون تلميذ المسيح حقاً...؛ "اسألوا المسيح من أجلي لكي أصير ذبيحة لله... إذا تألمت صرت معتق يسوع المسيح، وسأبعث فيه من الموت حراً... عسى أن أنعم بالسباع المعدّة لي، وأرجو أن تهجم عليّ بسرعة، وسأتملقها لتتهمني بسرعة... وإذا أحجمت عني ولم ترغب فيّ، فأضطرّها إلى التهامي اضطراراً... إليّ النار والصليب، وجماعات السباع، وتمزيق الجسم برُمته، حسبي أن أحظى بالسيد المسيح".^٣

إن مفهوم الاستشهاد، كما هو اليوم في الكنيسة، يعني القبول الحرّ للموت في سبيل الإيمان، قبولاً لا يتضمّن بالضرورة المشاركة في قتال ما، كما هو الحال مثلاً في الجندي. "الإيمان" يشمل أيضاً الأخلاق المسيحية، كما على سبيل المثال في حالة القديسة ماريا غوريتي التي طُعنّت في سنة ١٩٠٢ من قبل فتى من أسرة قريبة، لأنها دافعت بقوة ضدّ مضايقاته، وهي الآن مكرّمة كشهيدة. "الإيمان" يمكن أن يعني إمّا مجمل الإيمان المسيحيّ، أو حقيقة جزئية من الإيمان والأخلاق المسيحية.

٣. قوشاقجي يوسف ١٩٩٠. "أغناطيوس الأنطاكي الأسقف الشهيد"، موسوعة المعرفة المسيحية، دار المشرق، بيروت، ٢٧-٢٩.

الموت "في سبيل الإيمان" ينبغي أن يُقبل بشكلٍ واعٍ، حتى وإنه يجب التمييز بين "الاستشهاد" و "معمودية الدم". من وجهة نظر الكنيسة، لكي يكون هناك استشهاداً اليوم، يجب إستبعاد حالة الموت في القتال. فسؤالنا هو ما إذا كان مفهوم الشهادة يجب أن يَسْتَبْعِدَ بالضرورةٍ ودائماً حالة الوفاة في قتالٍ في سبيل الإيمان المسيحي ومقتضياته الأخلاقية. لهذا السؤال معنى هامٌ بالنسبة للحياة المسيحية والكنسية، لأن الاعتراف "باستشهاد" المسيحي خلال القتال يفرض على الكنيسة بأن توصي هذا القتال كمثالٍ يَسْتَحِقُّ أن يَحْتَدِي به سائر المسيحيين.

الخاتمة

نتيجةً لما وَرَدَ نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ إِنَّ الشَّهِيدَ هُوَ مَنْ يَتَحَمَّلُ الموتَ العَنيفَ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ أَوْ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ، أَوْ بِسَبَبِ حَقِيقَةٍ إِيْمَانِيَّةٍ، أَوْ أَخِيرًا بِسَبَبِ الْمَضْمُونِ الْحَقِيقِيِّ لِكَلِمَةِ اللَّهِ: الْحَقِيقَةُ وَالْعَدَالَةُ. مِنْ الْوَاضِحِ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنَّ هُنَالِكَ حَاجَةٌ لِمُضَامِنِ التَّعَرُّفِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْعَدَالَةِ ضِدَّ الْآلِيَّاتِ الْإِيدِيُولُوجِيَّةِ (الوهم)، وَالتَّعَصُّبِ (تفاقم الذاتية) وَالثَّوْنِيَّةِ (خطأ في معرفة الله). الْعَدَالَةُ وَالْحَقِيقَةُ يُشَكِّلَانِ الْحَدَّ الْأَدْنَى الَّذِي مِنْ دُونِهِ الْمَوْتُ الْأَكْثَرُ عُنْفًا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُسَمَّى اسْتِشْهَادًا.

السؤال الوحيد يبقى أن نعرف إذا كان من الممكن أن نَجْمَعَ

الموت الحرّ في سبيل الايمان والموت في قتال من أجل الايمان تحت مفهوم واحد للاستشهاد، لأنّ بين هذين النوعين من الموت تشابهاً واسعاً وعميقاً. في أيّ حال، فإنّ تحديد الاختلاف بين الموت في سبيل الايمان في قتال والموت الحرّ من أجل الايمان صعبٌ جدّاً. ففي الحالتين قبولٌ صريحٌ وحازمٌ للموت، في إطار نفس الدافع المسيحيّ. في كلتا الحالتين يكون الموت مشاركةً في موت المسيح، وهذه المشاركة، كونها فعلٌ محبّةٍ وشجاعةٍ مميّز، تَضَعُ الإنسانَ المؤمنَ في خدمةِ الله. حتّى حين يكون الموت أثناء النضال من أجل العقيدة المسيحيّة، فهو يُعتبرُ شهادةً مؤمنةً لقرار لا تحفُّظ فيه ويشمل كلَّ وجودِ الإنسان، وذلك انطلاقاً من نعمةِ الله الفاعلةِ في خِصْمٍ أعمقٍ عَجَزَ داخليٌّ وخارجيٌّ، والتي يقبلُها الإنسانُ بكلِّ حرّيّة. وهذا ينطبِقُ أيضاً على الموتِ في أيّ معركة، لأنّ من يُحارب، كأبٍ شهيدٍ، يختبرُ ويعاني حتى النهاية، من خلال اختبارهِ الداخليّ، قوّة الشرّ.

الاستشهاد في الإسلام

الأخ فادي كميد

عَرَفَ المشرقَ العربيَّ وفي فتراتٍ طويلةٍ من تاريخهِ حركاتٍ إستشهاديَّةٍ تَأَجَّجَتْ بعد نكبةِ فلسطين (١٩٤٨)، وأخذت حيزَ الدِّفاعِ عَنِ الأَرْضِ المَحْتَلَّةِ وضدَّ الدولةِ العِبريَّةِ. إنَّ لهذه الحركاتِ الاستشهاديَّةِ طابعَ الدِّفاعِ عَنِ الأَرْضِ كما يَزَعُمُ بعضُ المسؤولينَ العَرَبِ، وَلَكِنَّها تَوَسَّعَتْ لِتَشْمَلَ حَقِيقَةَ الفِكرِ الإِسْلامِيِّ، وهي صِراعٌ بَيْنَ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ، ومركزها الشرق، وبين الغرب المسيحيِّ. بما أننا وعلى سبيلِ الحِصْرِ نَكْتُبُ هذه المِقالَةَ كَتَكْرِيمٍ مِّنَّا للشهداءِ الذينَ ماتُوا في مَحِيْمٍ "نهر البارد"، وكونِ العَدُوِّ الإِرهابِيِّ قَدْ أَطْلَقَ عَلَيَّ نَفْسِهِ إِسْمَ "فتح الإسلام"، فَقَدْ قَرَّرنا البَحْثَ في مَوْضوعِ الاستِشهادِ في الإِسْلامِ. خاصَّةً وأنَّ فِعْلَ الاستِشهادِ أو مَعْنَى الشَّهادَةِ يَحْمِلُ في واقِعِنَا المِعاصِرِ إِرْباكَاً وتَشويشاً، لا بَلَّ دُعرًا.

الشهادة في اللغة كما لدى صحاح الجوهري: خبر قاطع، وأشهد بكذا أي أحلف. المشاهدة: المعاينة. استشهدت فلاناً: أي سألتُهُ أن يَشْهَدَ. وفي لسان العرب، الشهيد: الحاضر، الشهادة: الإخبار بما نشاهده، واستشهدوا شهيدين من رجالكم: أي أشهدوا شاهدين. الالفت هنا، أن ألفاظ الشهادة

لم ترد في القرآن بِمَعْنَى القتل في سبيل الله، بل بمعناه اللغوي. يقول العلامة الطباطبائي^١: "الشهداء شهداء الأعمال، أمّا الشهداء بمعنى المقتولين في معركة القتال فلا يعهد استعماله في القرآن، وإنّما هو من الألفاظ المستحدثة الإسلامية". من هذه الآيات: "... وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ..."^٢، "كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"^٣.

وقد تمّ التوسّع في لفظة الشهيد، لتدلّ على المقتول في سبيل الله، فيقال استشهد أي قُتِلَ شهيداً، وتشهد أي طلب الشهادة. ويُقال في وجه التوسّع، كما عن الأنباري: "أن الشهيد سُمِّيَ شهيداً، لأن الله وملائكته شهود له بالجنة، وقيل سُمِّوا شهداء لأنهم مِمَّنْ يستشهد (يطلب منهم أداء الشهادة) يوم القيامة مع النبيّ على الأمم الخالية". ويقول الكسائي: "سُمِّيَ المقتول في سبيل الله شهيداً لقيامه بشهادة الحقّ في أمر الله حتى قُتِلَ". وقيل كما عن لسان العرب: "لأنه يُشهد له ما أعدّ الله له من الكرامة

١. هو السيد محمد حسن ابن السيّد الطباطبائي ولد في مدينة تبريز عام ١٩٠٣م. سافر الى النجف عام ١٩٢٤ حيث درس الفقه والأصول لمدة ١١ سنة. بعدها عاد الى تبريز حيث مارس التدريس. كان له دور كبير في نجاح الثورة الإسلامية والتصدي لنظام الشاه. أهمّ مؤلفاته: "تفسير الميزان في تفسير القرآن". توفي عام ١٩٨٣.

٢. سورة الطلاق ٢

٣. سورة البقرة ١٤٣

بالمقتل، وقيل: لأن ملائكة الرحمة تشهده" (بمعنى تُشاهدُه وتَحْضِرُ فِعْلُهُ). ورغم أن الدلالة الأصلية للشهيد هي المقتول في سبيل الله، إلا أنه تَمَّ بحسب بعض الروايات التوسُّع في معانيها لتشمل مَنْ يموت بحوادث عارضة: كالغرق والحرق وصاحب الهدم والمقتول ظلماً أو دفاعاً عن عرضه أو ماله.

ولا بدّ هنا، من التمييز بين مبدأ الشهادة ومفهومه.

فالمبدأ، ينظر إلى الشهادة، كقيمة ذاتية، تتبع أو تلازم، الإيمان الصادق والعميق بعقيدة وجود أو نظام حياة، أو الولاء لجهة أو جماعة أو فرد. وهذا لا ينحصر بالمجال الديني، بل يتعداه ليشمل كلَّ صُورِ الموت الإرادي، الملاصقة لكلِّ علاقة وتفاعل إنسانيين. حيث يبدو فعل الموت الطوعي، أحد أرقى أشكال التعبير الإنسانيِّ ومجال خصب لتحقيق الذات وتجاوز الموانع القاهرة، وشكل حياة يحيها الإنسان بموته: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"، "...اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...". مبدأ الشهادة، بهذا المعنى، هو مبدأ أخلاقيٍّ كامن في الإنسان، يجسّد صدقه وإخلاصه وحبّه. وهو مطلب إنساني، يفترضه استمرار وبقاء وقوّة كل النظم العلائقية، المعبرة عن أنماط الوجود والتفاعل الإنسانيين، كالعائلة والقبيلة والعشيرة

٤ . سورة آل عمران ١٦٩

٥ . سورة الأنفال ٢٤

والمجتمع والوطن والدين والمذهب. والإسلام، بهذا المعنى، وكأي دعوة دينية أخرى، كان يؤسس لمعنى الشهادة في حديثه التأسيسي (أو التدشيني) الأول، كطريق أساسي لحفظ الدين وانتشاره في قلب الجزيرة العربية، وسبيل لتثبيت العقيدة، وطريق لاختبار الإيمان وصدقه، ومدار للتوكل على الله والثقة به، ووسيلة لتمتين عصبية أو رابطة دينية تُراحِم عصبية الدم والنسب المستقرّة. من الآيات القرآنية، الدالة على ما ذكرنا: "وَكَايْنٌ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ"٦، "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ...٧، "الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"٨.

أما مفهوم الشهادة، فلا ينظر في قيمة الاستشهاد الأخلاقية، بل ينظر في حقيقته ومعناه، داخل نظام دلاليّ خاص ونسق ثقافيّ محدّد. فلا يُلاحظ مستقلاً، بل داخل شبكة معانٍ مُتزامنة، تُحقّق بمجموعها وببنية تمّوضعاتها الداخلية حدث الاستشهاد. ولا يُفهم أيضاً، كمعنى ثابت، بل كحقيقة تاريخية، تحمل أبعاداً ودلالات ودوافع وأثاراً متعدّدة ومتغيّرة، بتعدّد وتغيّر مُرتكزات الواقع.

٦. سورة آل عمران ١٤٦

٧. سورة التوبة ١٦

٨. سورة التوبة ٢٠

من البديهيّ القول هنا، أن الإسلام لم يطلب الشهادة لنفسها، بل شرّع الجهاد بالنفس والمال. مما يعني أن الشهادة ثمرةً عليا أو محصلةً نهائيةً لفعلٍ أو سلوكٍ غائي، إسمه الجهاد أو القتال في سبيل الله، الذي غايته المثلى: "لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر (أو الذين كفروا) هي السفلى"^٩. لذلك لم يُفرد المسلمون (الفقهاء بالتحديد) في مباحثهم، بحثاً مستقلاً للشهادة أو القتل في سبيل الله، بل ألحقَ بباب أحكام الجهاد، لكونه من آثاره ونتائجه وعوارضه.

الجهاد مأخوذ من الجُهد بمعنى التعب والمشقة، أو من الجَهْد بمعنى الطاقة. والمراد به القتال لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الدين. وقد اتفقَ جميع الفقهاء على أحكام الجهاد العامة. فعن ابن القيم الجوزية: "كان القتالُ محرماً ثم مآذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم القتال ثم مأموراً به لجميع المشركين. وقد استقرَّ أمر الكفار (كلّ من هو غير مسلم) مع الدين بعد نزول سورة براءة على ثلاثة أقسام: محارِبين له وأهل عهد وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قِسمين: محارِبين وأهل ذمة".

إذاً، نحن أمام دلالة مركّبة لفعل الاستشهاد، لا تعكس الدلالة الروحية فقط، بل تعكس حال المنظومة السياسيّة التي تسيّر وتنظّم شؤون العنف ونظام العلاقات الدوليّة بين المسلمين

و غير المسلمين، وأمام فهم ثابت للنص الديني ومقاصده، الذي لم يتغير منذ فترة تأسيس المذاهب الفقهيّة. وأمام جمود عقائديّ في تسمية كلّ من هو غير مسلم بالكافر، وأمام وضع حقوقيّ للآخر غير المسلم في بلاد المسلمين (أهل الذمّة)، بل وأمام معضلة معالجة الخلافات الداخليّة بين المسلمين، حيث يحمل أيّ خلاف، أهليّة التطوّر إلى جهاد واستشهاد متبادل. بعبارة أخرى، يحيل مفهوم الاستشهاد، إلى نظام التفكير الدينيّ، أو بالأحرى إلى العقل الدينيّ، الذي يُنتج مبادئ وقواعد فهمه لنفسه وعلاقته بالعالم.

للسهيد منزلة عالية في الإسلام، كما وله العديد من المكافآت. ومكافآت الشهيد التي وُصِفَت في أدب الجهاد الإسلاميّ تبدو جميلةً جداً، بالرغم من أنه لشائع جداً في الديانات الأخرى التركيز على المكافآت الجنسيّة التي يحظى بها الشهيد. لكن هناك مقطع شائع في تاريخ الطبري يقول: "عندما قضى إخوتك في المعركة وضع الله نفوسهم في عصفير خضراء، وهي تذهب إلى أنهر الفردوس، تأكل من إنتاجها، ثم تضيء الشموع الذهبية في ظل عرش الله عندها يدرك الشهداء حسن ماكلهم ومشربهم وجمال راحتهم فيقولون: "هل يعلم إخواننا ما فعل الله لنا حتّى يكرّسوا هم أيضاً أنفسهم للجهاد ولا يهربوا من المعركة" فيجيب الله العليّ العظيم: "سأخبرهم عنكم". كما وأنّ نصوص أخرى تحدّد أماكن وجود الشهداء واصفين جمالها وجمال خضارها. إنّ هذه التقاليد تصف

الفردوس دون أيّ ذكر للمكافآت الجنسيّة مركّزين على الغنى والجمال والراحة، كما وأنّ للعلاقة مع الله أهميّة كبرى لكن التّقليد يخصّ المسلمين فقط بهذه المعاملة. إنّ أحدًا لا يقرأ الأدب الجهاديّ أو الإستشهاديّ يستطيع أن يتجنّب الوصف الجنسيّ في الجنّة حيث النسوة جميلات جدًّا ورائحتهنّ كالمسك، كما وأنّ الشهيد يُرفع مئة درجة في الفردوس ويجلس في ظلّ عرش الله.

"الشهيد لموته في سبيل الله ينجو من سؤال منكر ونكير في القبر، ولا يقف عند البرزخ، وينال أعلى درجات الجنّة، ويكون قريباً من العرش. وقد رأى النبي محمّد، كما في حديث له، أن أجمل دار في الجنّة هي دار الشهداء. وفي يوم القيامة ستكون الجراح التي أصابت الشهداء في جهادهم مضيئة، ورائحتها كالمسك. ولا أحد من أهل الجنّة يتمنّى أن يعود الى الدنيا إلاّ الشهيد لأنّه لما يناله من أنواع النعيم في الجنّة، يتمنّى لو يُقتل في سبيل الله عشرات المرّات. والشهداء تغفّر لهم كلّ ذنوبهم، فلا يحتاجون لشفاعة النبيّ، بل هم يصبحون شفعاة لغيرهم.

إنّ للشهيد عند الله سبع خصال:

- يُغفر له في أول دفعة.
- ويرى مقعده في الجنّة.
- ويجار من عذاب القبر.
- ويأمن من الفزع الأكبر.

- ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها.
- ويُزوّج إثنين وسبعين زوجة من الحور.
- ويشفع في سبعين من أقاربه.^{١٠}

بعد هذا العرض حول أهميّة الإعتبار الذي يوليه الإسلام للاستشهاد والتشعبات بين الماضي والحاضر، وبما أن الاستشهاد هو بدرجة أولى شهادة، فالسؤال الذي يسأل: كيف تُقبل هذه الشهادة؟ هل الاستشهاد بوضعه الحالي يُهدي إلى الإيمان؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال ليست بسيطة لأنّ الدراسات التي تعالج موضوع الاهتداء للإسلام قليلة جداً. أما القصص التي تعالج الاهتداءات في الغرب فهي بمعظمها إهتداء للصوفيّة، وإنّا بذلك لا ننفي كون الاستشهاد في أساس تلك الاهتداءات ولكن ذلك لا يبدو جلياً.

لكنّ شهادة الشهداء والاستشهاد ليس لإهداء الناس إلى الإسلام لكن لإهداء المسلمين الى قضية سُميا، أو لإظهار الأهميّة والبطولة للذين يشاركون وهم مستعدّون للموت في سبيل الإسلام. إنّ أساس هذا الميل هو الإسلام التقليديّ، بحيث إنّ الاستشهاد عند الخارجين عن الدّين كان عاملاً بسيطاً في كل الاستشهادات. بحيث أنّ الاستشهاد كان مفيداً لإظهار الدعم المذهبيّ أو لدعم قضية في الإسلام. لهذا السبب، قد يكون

١٠. نقلا عن كتاب أ. جوزف قزي "هذا هو الإسلام" ص. ٦٨٢.

للإستشهاد في الإسلام صفة باطنية خاصة أكثر من المسيحية أو البوذية، أي لدعم المؤمنين المسلمين أكثر منه لرد الآخريين إلى الدين الإسلامي.

السؤال الذي يطرح أخيراً: ما هو مستقبل الاستشهاد الإسلامي؟

يرتبط الإسلام اليوم وبشكل واضح بالتطرف الإسلامي، وفي واقع الإسلام، السني خاصة، فإن التعاون حميم وسيستمر حتى تخف التعاليم الإسلامية الراديكالية. حالياً هذان الأمران ليسا بواردين، بالرغم من أنه منذ العام ٢٠٠١ يعاني التعصب الإسلامي بسبب إيديولوجياته المتعلقة بالجهاد الذي وحتى الآن ما زال يعالج بعض مشاكله^{١١}، نؤكد أنه طالما وجدت حركات مقاومة إسلامية في العالم، وطالما التطرف الإسلامي يستمر بالسعي ليقم أمة إسلامية تواجه غير المسلمين، فإن المسلمين، وخاصة المتطرفين، لن يعيشوا في بلد على أساس المواطنة والعيش المشترك، وبالتالي لن يتوقف الاستشهاد. حتماً لن يعتبر كل المسلمين الناس الذين يموتون لهكذا أسباب شهداء لكن البعض سيفعل حتى تستمر هذه الحركات الاستشهادية، وتجبر المواطن على تحمل الذعر الخوف والهلع.

١١. للمناقشة راجع فريال مهنا، إشكاليات الجهاد في عصر المعلوماتية ص. ١٢٥.

القسم الثاني

مقابلات مع بعض أهالي شهداء الجيش

إعداد:

الأخ شربل يوسف
الأخ سلوانس



الشهيد نقولا فهمي نعيمة^١

قصدنا بلدة حمّانا الواقعة في محافظة جبل لبنان، قضاء بعبدا، بهدف لقاء عائلة الشهيد "نقولا نعيمة"، فإذ بنا نصلُ إلى منزلٍ والديه اللذين استقبلانا بحرارة، بدون أن يخفوا عيونهم المغرورة بالدموع. دُخولنا المنزل جعلنا نشعرُ بصمتٍ رهيب، لا بل بالأحرى بحزنٍ سادَه صمتٌ غابت عنه ضحكة الحبيب منذ فترة. وبعد تعارفٍ بسيط، قصدنا جميعاً منزل الشهيد "نقولا".

استقبلنا كلٌّ من زوجته السيّدة "غالية" وابنه الأكبر "فهمي" (١١ سنة)، دخلنا فقرأنا على ملامح السيّدة "غالية" حُزنَ فقدان الحبيب مُطعمًا بفخر الشهادة الكبيرة. ومن أولى من زوجته لنستهلَّ معها الحديث، طارحين عليها السؤال:

١. مَنْ هُوَ "نقولا" الزوج؟

كانت معاملته لي جيّدة جدًّا، حنونًا، لا يرفض لي طلبًا رغم الظروف الصعبة التي مررنا بها، عصبيًّا قليلًا، ولكنه كثير الطيبة على أهله، عليّ وعلى ولديه وعلى الناس جميعًا. رغم جسمه

١. راجع ملحق الصُور الأوّل، ص ٢١٨

الضخم والقويّ، كان بريئاً، ولديه نوع من الطفولة في قلبه. بالنسبة لي كان كل شيء في حياتي.

٢. ماذا عن "نقولا" الأب؟

كان يحبّهما كثيراً، حنوناً عليهما، يقسو عليهما أحياناً بحكم أنه والدهما وبحكم تربيتهما. كان مستعداً "إنو يشيل من قلبو حتّى يطعمي ولادو". كان بالكاد يأخذ مصروفه من المعاش والباقي كلّهُ للعائلة. كان متعلّقاً كثيراً بابنه الصغير "فادي"، كيفما ذهب يرافقه. ولا يزال فادي حتّى الآن لا يذكر والده أمامي، ربّما مراعاةً لمشاعري، فالاثنان، "فهمي" و"فادي"، يخبئان شيئاً ما في قلوبهما ولا يخبرانني به. ومرّة سألت ابني الكبير "فهمي" لمن اشتاق، فجاوبني: "اشتقت للبابا". أنا أحاول أن أذكرهما به دائماً، وأردّد أمامهما أننا نعيش من فضل والدهما، وأنه أوصلنا إلى ما نحن عليه، وأمن لنا كل شيء، فنحن نعيش من فضله ومن خيرهِ.

٣. ماذا عن حياته الاجتماعية والدينية؟

ليس له عدوّ، ما كان يكره أحداً ولا أحدٌ يكرهه. قبل أن يصل إلى البيت كان يذهب إلى بيت أهله يطمنن عن أمّه ووالده، يقبل يديهما، وفي طريقه إلى البيت يساعد كل من التقاه في دربه وكان بحاجة إلى المساعدة. لم يكن اجتماعياً بمعنى أنه لم تكن لديه زيارات كثيرة. ولكن هذا لا ينفي أنه كان خدوماً، يعطي

دون حساب. فمرةً كنّا معاً في بيروت، بغية سحب المعاش فلم نتوفّق يومها، ولم يكن في حوزتنا أكثر من ألفي أو ثلاثة آلاف ليرة لبنانية، فمنحها إلى شحاذٍ يجلس بجانب الطريق، قائلاً لي: "الله بيعوّض". كان كريماً على أهله وعلى بيته وعلى كلّ الناس. لا أرى فيه شخصياً صفات سيئة. كان مؤمناً كثيراً، فعندما استشهد أحضروا لي أغراضه وثيابه، كانت مليئة بصُور القديسين، وكان مُدرِكاً أنّه لن يتمكّن من المشاركة بالقدّاس كلّ أحد بحكم خدمته العسكريّة، لذا كان يطلب منّي دائماً المشاركة في الصلاة، فيقول لي: "غاليه، روجي اسمعي قدّاس وشاركي بالصلوات إنتِ والولاد". أنا أقول إنّه كان مؤمناً أكثر منّي.

٤. ماذا كانت تعني له الخدمة العسكريّة؟

تزوّجت به وهو متطوّع في الجيش، كان يحبّ هذه المؤسّسة كثيراً. لم يكن يتدبّر من شيء. روحه الوطنيّة قويّة، ففي حرب نهر البارد غاب حوالي الشهر، ولكن في كلّ مرّة يأتي فيها إلى المنزل كان يخبرني عمّا فعلوه وأنهم سيَقضون عليهم. علماً أنّه لم يكن يخبرني بالأمر والأحداث التي تجري أمامه في تلك المعركة، فكلّ ما عرفته عنه جاءني من أصدقائه بعد استشهاده. كان يحبّ قائد الجيش كثيراً، وكان مثله الأعلى في الوطنيّة.

٥. هل كان يُرَدَّدُ على مَسْمَعِكَ أقوالاً في الوطنيّة أو في الاستشهاد؟

كان لديه أغنية يرَدِّدها دائماً كلّما اجتمعنا:

بعد الرحلة الجبّارَه

حيناً كن تاني زياره

حتّى نشوف حباب القلب

سبقنا جناح الطيّاره.

كان يقدرّ الجيش كثيراً، فضلاً عن أنّ المؤسّسة العسكريّة هي مُعيل لهذه العائلة.

٦. ما كانت نظرتَه للوضع السياسيّ في لبنان؟

كان يتمنّى أن يكون للبنان رئيس قويّ يُعيدُ إليه عافيته، ويمنح كرامةً وعيشاً كريماً للبنانيين. ولطالما رَغِبَ أن يأتي سياسيون جدُّد، شبابٌ واعد بيني الوطن بحبٍّ وتعاون. كان يتعدّب كثيراً من الوضع السيئ السائد في لبنان، ومن غلاء المعيشة، مردّداً لي: "اشكري ربّك يا غاليه، عتّا معاش، بعدنا أحسن من غيرنا بكتير". كثيراً ما فكّر بالسفر.

٧. هل أتى إلى البيت أثناء الحرب في نهر البارد؟ هل تكلمتم على الهاتف؟

حُجِرَ الجيش في ٢٠ أيار ٢٠٠٧، ومن هذا التاريخ حتّى

٢٠ حزيران جاء حوالي الأربع مرات إلى المنزل بصورة سريعة. يصل ليلاً ويغادر في صباح اليوم التالي. تكلمت معه مرّاتٍ عديدةً على الهاتف، وكان يقول لي دائماً أن أصلي له، وأن أضيء له شمعةً، خصوصاً عندما كان يموت أحد العسكريين أمامه. أوّل مرّة جاء فيها المنزل كان قد مرّ وقتٌ طويلٌ بدون أن يحلق ذقنه. وأحياناً كنت أشعر أنه يائس. حينَ كَلَّمته نهار الاثنين، قبل استشهاده بيوم، قال لي: "مشتقلكن، يا غاليه، مشتاق للولاد كثير"، فقلت له: "شوباك صَوْتَك مش عاجبني؟"، فقال لي: "نفسيتي تعبانه، ما عم نام ولا عم ناكل، تعبانين". هذه كانت المرّة الأخيرة التي سمعتُ فيها صوته.

٨. هل كان يشعر أن سيُسْتَشْهَد؟

نعم، بعد مرور سبعة عشر يوماً على حجز الجيش، جاء البيت نهار الجمعة. كُنّا سنَبني حائطاً فذهب وأحضر الحجارة وجهّزها في الخارج، وغسل السيارة، وزار العائلة كلّها وأصدقائه، ودّعهم قائلاً: "يَمَكِن ما إرجع". ثم عاد إلى الخدمة بالسيارة، وكان كلّما اتّصل بي يعتذر منّي لأنّه أخذها وتركني من دونها. فكنْتُ إزاء ذلك أقول له: "معليش، حبيبي، بُكرا بترجع"، وكان يجاوبني: "الأ يا غاليه، يمكن ما إرجع". لم أتوقّع يوماً أن أرى زوجي شهيداً، كنتُ أشاهد التلفزيون، وأتبع الأخبار بخوف، ولكنني لم أتصوّر أبداً أنني سأرى صورة زوجي بين صور أولئك الشهداء.

٩. ماذا أخبرك عن نهر البارد؟

كان خائفًا، وبنظره كان المكان جحيماً، وفي كل مرة يغادر فيها البيت كانت تتملكه فكرة أنه قد لا يعود إلى البيت. أخبرني رفيقه في الجيش أن "نقولاً" قبل استشهاده بأسبوع، كان يمشي هو ورفيقه، وكان هذا الأخير يفكك الألغام ونقولاً يسير خلفه، فانفجر لغم أودى برفيق زوجي، فحمله نقولاً على يديه بلا رجلين ولا يدين مشوّهاً. فلم يستوعب الفكرة كثيراً. كانوا يقولون له إنه جبان، لذا كان يطلب وضعه في فرقة للمقاتلة ليبرر أنه إنسان شجاع. وكانت قد جاءتهم التعليمات أنه يُمنع عليهم الصعود إلى سطح المبنى، تحسباً من "التقنيس"؛ لذا نتيجة الاندفاع للمقاتلة وتأکید الشجاعة والدفاع عن الوطن، والغضب، نتيجة موت العديد من رفاقه أمامه، لم يعد يفكر لا بأهله ولا بعائلته وأولاده، فاندفع نحو السطح فإذا به يموت قتيلًا من قبل فتح الإسلام. مات وهو يضحك، هذا ما قاله لي رفيقه. فحين انصاب، أنزله رفيقه، فقال له: "يا علي انصبت بإيدي"، بينما الإصابة كانت في خاصرته. وعندما تقوّه بهذه الكلمات خرج الدم من فمه، ثم ابتسم ومات.

١٠. كيف ومتى عرفت باستشهاده؟

كنت ما زلت ضمن دوام العمل، فاتصلوا بي من سكنة الجيش وسألوني إن كنت زوجته. وحين جاوبتهم، سألوا عن والد "نقولاً"، فهمي نعيمه. وبدون أن أفكر للحظة أن زوجي قد

استشهد، سألتهم: "إيه بس هُوي بعيد عني. خير انشالله! حدا صرلوشي؟ زوجي صرلوشي؟". فقال لي المتصل: "اعطيني حدا من حدك؟" فجاوبته أن لا أحد بقربي. وأقفل الخط في وجهي. فذهبت إلى صاحب الأوتيل طالبةً منه أن يصحبني إلى عمي. ونحن في منتصف الطريق، اتصلوا ثانيةً طالبين أحدًا للتكلم معه. لا أدري ما الذي حصل، ولكنني أذكر أنني كنت أبكي وأصرخ وأعطيتُ الهاتف لصاحب العمل. كان الجميع يقولون لي إنَّ ما من مكروه أصابه، وإنَّه سيعود، حتى والدته بدأت تردّد على مسمعي أنه مصاب وهو سيعود قريبًا. وأحسستُ حقًا بصعوبة الموقف حين طلبوا مني صورة "تقولاً".

١١. هنا يشارك في الحديث الابن الأكبر للشهيد، اسمه "فهمي" وله من العمر ١١ سنة:

نهار الجمعة كان عيد مولد أخي "فادي"، جاء والدي المنزل. وفي مساء اليوم عينه طلب من جدتي أن تغسل له بدلتته العسكرية إذ كانت ملطخة بالدماء. من يومها لم أره ثانيةً. ويوم استشهد كان لديّ إمتحانات في المدرسة، وحين انتهت الدروس، اصطحبتني المعلّمة إلى منزلها ولم تدعني أعود إلى المنزل. تناولت الغداء في منزلها، وبعد الظهر ناداني السائق وكانت المعلّمة بصحبته، فقال لي إنَّ والدي مُصاب. عند وصولي إلى المنزل، كان الجميع يلبس الأسود، ولم أدرك ما الذي يجري إلى أن أخبرتني جدتي ووالدتي أن والدي قد

استشهد.

آخر مرة حضرَ معي إلى المدرّسة، قال لي: "انتبه لإمّك، انتبه لستك وجِدك، انتبه لحيّك، وما تعزّين".

كانَ دائماً قبلَ أن يأتِي إلى المنزل، يتّصلُ بنا عبر الهاتف ليخبرنا بعودته. ويوم وصوله كُنّا نتناول الغداء معاً، نذهب إلى الدكان لشراء الحاجات. وكنتُ إذا نظرتُ غرضاً ما ورغبتُ به، كان يشتريه لي مباشرةً بدون أن يقول لي أن لا مال لديه.

قبل وفاته كان يطلب إليّ دائماً أن أكملَ دراستي لأنّه لم يتِمَّكن من التحصيل العلمي الكافي بسبب الظروف الحياتية. وكان يرغب كثيراً أن يراني طبيباً، وأنا سأحقّق له حلمه هذا.

كنتُ عندما أعود من المدرسة وأجده في المنزل، أركضُ إليه، أغمره، ألعبُ معه. في الفترة الأخيرة، بعد استشهاده، كنتُ أعودُ إلى المنزل فلا أجد غير الصُور، فتأتي إليّ الذكريات يوم كنتُ أُقبلُهُ ويوم كُنّا نلعب معاً ونتعارك، فأبدأ بتقبيل الصُور.

١٢. فادي نعيمه (٩ سنوات) الابن الثاني للشهيد، تحدّث هو أيضاً عن والده

كنت أذهب معه إلى "شوار الأحمر"، نقطع الحطب ونحضره إلى المنزل. وفي إحدى المرّات وقعت "الحطبة" عليّ، فقلت "لبابا": "ليه وَقَعَت الحطبة عليّ؟" كان حنوناً، يؤمّن لي طلباتي، كُنّا نذهب إلى مدينة الملاهي، وغالباً ما كُنّا نذهب جميعاً إلى

البحر. كنتُ أَلعب معه، نتعارك على الأرض. كنتُ أرافقه دائماً في زيارته. سألني مرّةً: "إِذَا مِتَّ شو بتعمل؟" فأجبتُه: "بروح بقعد على قَبْرِكَ".

١٣. ماذا تقولين (زوجة الشهيد) للشباب الحزبيين، وللسياسيين في لبنان؟

أقول لهم أن يحبوا لبنان، فالمسؤولون يتجاذبوننا ويتلاعبون بنا من أجل مصلحتهم الخاصة، وفي النهاية جميعهم يضحكون علينا. كان "نقولاً" يميل لأحد الشخصيات، ولكنه كان يعي أن واجبه العسكري يفرض عليه التقيّد بفرائض المؤسسة العسكريّة. حرام أن يركض أحدٌ ما خلف السياسيين، فهم رغم سقوط كلِّ هؤلاء الشهداء لا يزالون يتصارعون على السلطة. لا أحد يهتمّ لنا، يبحثون عنّا فقط يوم الانتخابات وبعدها لا أحد منهم يتعرّف علينا. وبسبب خلافاتهم استشهد زوجي واندلعت الحرب. أنا لستُ لبنانية، ولكنّي أحبُّ لبنان أكثرَ من بلدي، أمضيتُ فيه أكثرَ من ١٣ سنة. كنتُ أفكرُ بالسفر، ولكن الآن فإنّ زوجي قد استشهد على هذه الأرض، وأنا أريد لأولادي أن يبقوا هنا مرفوعين الرأس بوالدهم الشهيد.

١٤. ما هي ظروف حياتكم اليوم؟

لقد اهتمت بنا المؤسسة العسكريّة ولا تزال. وسعت إلى تلبية

حاجاتنا الماديّة والمعنويّة على حدّ سواء. ومن الضمانات التي وعدتنا بها قيادة الجيش، تأمين شقّة لي ولأولادي.

١٥. كيف تملئين الفراغ الذي أحدثه غياب "نقولا" في بيتك ومع أولادك؟

كان يتكلّ عليّ في كلّ الأمور الخاصّة بالمنزل، فكان يسلمني معاشه ويترك لي مسؤوليّة التصرف وتأمين كلّ ما يلزم. من هذه الناحية لم أشعر صراحةً بفراغ معيّن لأنني كنت أحمل هذا العبء عنه بسبب غيابه الطويل أحياناً عن المنزل. أمّا من الناحية العاطفيّة تجاه ولديّ، فقد كنت أصرخ بهما أحياناً عندما يعذّبانني، أمّا الآن فرادت عاطفتي تجاههما ولا أجروء أن أرفع يدي على أحدٍ منهما.

أمّا أنا فهناك فراغ كبير في حياتي الشخصية، فحين تضيق الأمور في وجهي، أذهب إلى والدته أو أبدأ بالكلام مع صورته قائلة: "ليه تركتنا، ليه فلّيت، نحنا شو عملنا لك؟ أنا والأولاد بعدنا بحاجة إليك". ثمّ أعود وأقول أن لا ذنب له لكّي أعاتبه، فهذا نصيبه. في الفترة الأولى من وفاة "نقولا" إنهرت كثيراً وبدأت بتناول الكثير من الأدوية إلى أن أصبت بتسمّم من جراء الدواء، أمّا الآن فلا أتناول إلاّ دواءً واحداً فقط. صلّيت كثيراً إلى الرّب ليقويني، لأبقى مع ولديّ إذ لم يعد لديهما أحدٌ سواي. في اليوم الأوّل من افتتاح السنة الدراسيّة "عزّت عليّ الدني"، فحين عاد الولدان من المدرسة جلسنا وحدنا إلى المائدة، في حين

أنه في ما مضى كان "نقولاً" يجلس معنا. وسوف تمرّ عليّ لحظات كثيرة صعبة كفترة الأعياد، وعيد زواجنا.

١٦. هل تعتقدون أن استشهد "نقولاً" راح سدى؟

لا لم يذهب دمه هدراً حتى وإن لم يفعل السياسيون شيئاً لهذا البلد، فهو ضحى بذاته من أجل هذه الأرض، في وجه جماعة إرهابية أرادت خراب لبنان والسوء لنا ولعيلاننا. مات "نقولاً" وهو يدافع عن لبنان. غداً كلنا سنموت ولن يذكرنا أحد، بينما هو سيذكر اسمه على مدى أجيال كثيرة.

عادةً حين يُتوفى شخصٌ ما في المنزل تشعر برهبة الموت، أما أنا فأشعر دائماً أن "نقولاً" معنا.

١٧. ماذا ستقولين لولدك عن أبيهما حين يكبران؟

إذا استمرّيتُ بإخبارهما عنه كما أفعل الآن، حين يكبران سيكونان قد حفظا كل شيء. فهما يعرفان لماذا استشهد والدهما. كما وأنني لا أزال أحتفظ بكل حاجاته: ثيابه العسكرية، أوراقه، صورته، وكل الأمور التي تتعلق به، كل هذه أحتفظُ بها لولدينا. وحتى ولو لم أخبرهما شيئاً فإن الحدث قد طبع في ذاكرتهما.

بعد استشهد "نقولاً" بحوالي الأسبوعين، كان ابني "فهمي" في النادي فناده أحدهم باليتيم، فقلت له أن يقول دائماً: "البابا مات شهيداً، وأنا برفع راسي بالبابا". لا أريد لابني أن يحني

رأسه أبداً، بل أن يُقيه مرفوعاً.

١٨. هل تفتخرين كونك زوجة الشهيد؟

طَبَعًا أفتخر بأنّي زوجة الشهيد. فالجميع يطلبون منّي أن أقدر الفخر الذي تركه لي زوجي كونه مات شهيداً. وأنا أفعل حقاً، ولكنّ في داخلي حرقّة كبيرة. قبل وفاته بيومين، اتّصلتُ به، فقال لي: "يومين تلاته ومنخلص، يا غاليه؛ وافتخري إنّو زوجك مغوار"، فقلت له: "إلي الفخر حبيبي إنّك مغوار، وألله يحميك".

تراني أحياناً أتساءل: هل مصير الإنسان الصالح أن يذهب باكراً عن هذه الدنيا؟ لا أدري! ولكنّ "نقولاً" كان لا يزال بعمر الشباب، وهو صالح أمام الناس، فهل هذه رحمة الله؟ ولداه في أمسّ الحاجة في هذه المرحلة من حياتهما إلى والدهما. ولكنّي أعود وأقول: إنه لولا نعمة الله لما استمرّ أهل الشهيد في هذه الحياة.

أنا صراحةً أفتقده كثيراً، وأتأسّف على شبابه.

أقول إنّ الجيش قد انتصر وزوجي استشهد في سبيل الوطن، ولكنّي لم أشفِ حرقتي لأنّهم لم يُمسكوا بـ"شاكر العبسي". منذ حوالي الشهر تقريباً اتّصلوا بي من وزارة الدفاع. وحين ذهبت إليهم، استقبلني عسكريّ عند المدخل وقال لي إني سأسمع خبراً جيداً. وعند خروجي قلتُ له إن أحداً لم يُخبرني شيئاً. فأخبرني

حينها أنه تمَّ اكتشاف شاكر العَبسي. حقاً شعرت في تلك اللحظة بفرحةٍ كبيرة. ولكن عندما علمت في ما بعد أنه هارب أحسست بحسرةٍ كبيرة، إذ يمكن لهذا الإنسان أن يُعيد ما فعل في نهر البارد، وحينها سنخسر جنوداً أكثر، وسيخسر لبنان أكثر.

١٩. ما الذي تطلبينه من الدولة كونك مواطنةً لبنانيةً وزوجةً شهيد؟

أنا لا أريد أيّ شيءٍ لنفسي، ولكن أطلب من الدولة أن تحمي ولديّ وتؤمّن لهما حياتهما. فزوجي قد استشهد في سبيل الوطن، فأتمنى على هذا الوطن أن يبقى بجانب عائلة الشهيد.

٢٠. شقيقة الشهيد السيّدة "جميلة نعيمه دانيال"، علّقت على استشهاده أخيها قائلة:

أنا أقول إنه إن لم يتمّ القبض على "شاكر العَبسي" فإن موت أخي ذهب سدى، وكذلك الحال بالنسبة لباقي الشهداء. وقبل تكريم الشهداء يجب أن يقبضوا على "شاكر العَبسي"، فحينها يكون التكريم الحقيقي لشهدائنا.

٢١. تركنا للسيّدة ماري نعيمة، والدّة الشهيد أن تقول كلّ ما تبغي، فقالت:

أنا لست فقط أمّ الشهيد "نقولاً"، بل أم لكلّ الشهداء،
فال ١٦٨ شهيداً هم جميعهم أولادي. أنا أمهم وهم جميعاً
أولادنا.

أولاً، أنا أفتخر بابني لأنه استشهد فداء الوطن، فداء الشعب
اللبنانيّ. وأتمنى أن ينتصر الجيش حقاً عند العثور على "شاكر
العبسي". وأنا أرفع رأسي، كذلك جميع أفراد العائلة يرفعون
رؤوسهم فخراً بالشهيد "نقولاً نعيمه". وعسى الله يجعل من
قافلة الشهداء هذه خاتمة الشهداء في لبنان وفي الجيش اللبنانيّ.

وأقول لـ"نقولاً": إنّ الحسرة كبيرة في قلبي، ولكنني أفتخر
به شهيداً؛ رحل بطلاً وليس رخيصاً هو الذي جبّل بدمه
تراب طرابلس والشمال. نحن لبنانيون، والوطن هو أعلى ما
لدينا.

٢٢. وأخيراً سألنا زوجته: ماذا تقولين لـ"نقولاً"؟

أقول له كلمة واحدة تكفي عن ألف: "إشتقتُ، وأولادو
اشتاقلوا". إشتقتُ أن يلاطفنا أنا والأولاد. أتشوقُ أن أراه
يدخل من الباب حاملاً الـ sac على ظهره. المنزل فارغ في
غيابه. يقولون إنّ الولد يُعوّض عن الرجل، لا! فلا أحد يُعوّض
عن أحد. قد أتمكّن من أن أعوّض على ولديّ حنان والدهما،
ولكن من يُعوّض عليّ حنان زوجي. وأطلب منه أن يبقى إلى
جانبي وإلى جانب الأولاد، يرسم لي الطريق ويرشدني إلى ما
يجب أن أقوم به.

٢٣. شعر كتبه السيِّدة "جميلة نعيمة دانيال" تُهديه إلى شقيقها الشهيد "نقولا نعيمة"

إلى أخي الشهيد نقولا

يا نهر البارد شو عملت فينا
 إلنا زمان كثير ما بكينا
 قُتلت البطل والبطل مغوار
 ذوقنا العلقم مع الكينا
 يا نهر البارد فيك بحر الأسرار
 ونحننا لأسرارك ما فينا
 ويا هـ البطل بكّرت بالفلّه
 رح إلّمحك ع طول على التلّه
 متل القمر كل ما هليت
 بيحلا السهر وعيون إمك تقول شو هـ الطلّه
 متل العَلَم كل ما برفّ
 قلب ولادك بشوفتك بهِفّ
 وخيّي نقولا يلي سرقنو كان متل النار
 ليش يا نهر البارد بنارك رميتو

مش عارفو هاك الفتى المغوار
براس الطليعه يكون مع كلّ طلقة نار
كان همّوينفّذ المطلب
ويرجع عَلم يخفق فوق رواينا

الشهيد مارون الياس الليطاني^١

واقترَبَ وَقَعُ رِجْلِيهِ مِنَ الْبَابِ، وَإِذَا بِالْبَابِ يُفْتَحُ، فَعَيْنَانِ تَغْلِقَانِ. عَرَفْنَا حِينَهَا مَا يَنْتَظِرُنَا فِي الدَّخْلِ. مَشَى أَمَامَنَا مَشِيَّتَهُ الْعَسْكَرِيَّةَ وَرَأْسُ طَقَطَقَهُ الْأَلْمُ وَكُنْفَيْنِ أَحْنَى الْحَيْنِ انْتِصَابَهُمَا. "أَنَا يُو" هَكَذَا قَالَهَا مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَمَا قَالَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي عَيْنِيهِ عِنْدَ الْبَابِ. سِرْنَا خَلْفَهُ مُتَوَجِّهِينَ نَحْوَ مَجْلِسِهِمْ حَيْثُ سَلَّمْنَا عَلَى مَنْ حَمَلْتَهُ أَمْسَ عَلَى يَدَيْهَا طِفْلاً وَالْبَارِحَةَ ضَمَّتَهُ رَجُلًا وَالْيَوْمَ وَدَّعْتَهُ شَهِيدًا.

"الياس الليطاني" و"حنان الليطاني" اليوم يبكيان ابنتهما ولا يستوعبان الصدمة. "الياس الليطاني" رفض الكلام في شفتيه، ولكن نظراته كانت طيلة تلك الساعتين والنصف تُخبرُ أَلْمًا يَمَلُّ حَيَاتِهِ. أَمَّا "حنان الليطاني" والدّة الشهيد فلم تقبل الكلام إلاّ مَعْنَا واستهلّت الكلام قائلة: "مَا قَبِلْتُ إِحْكِي مَع وَلَا مَجَلَّهُ وَلَا جَرِيدَهُ وَلَا تَلْفِزِيونَ إِلَّا أَنْتَو. لَمَّا عَرَفْتُ إِنَّكُن رَهْبَان، عَرَفْتُ إِنَّو مِش جَابِينَ تَتَاَجَرُو بِدَمِ ابْنِي أَوْ بِقِصَّتَو، مِشَان هِيكَ قَبِلْتُ". وَكَانَتْ كَلَّمَا تَحَدَّثْتُ وَأَرَادْتُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مُسْتَمْعِيهَا جَالَتْ عَيْنَاهَا ببطءٍ شَدِيدٍ، فَتَشَعَّرَ أَنْ قَدْ ثَقُلَ الزَّمَنُ مَسِيرَهَا. وَكَانَتْ فِي

١. راجع ملحق الصور الثاني، ص ٢٢٣

كُلِّ جَوْلَةٌ تَنْظُرُ إِلَيْنَا وَتَخْتُمُ الْجَوْلَةَ بِ"مارون" الشامخ بوجهه المضيء البهّي على الحائط المواجه لمكان جلوسها، فتعرف أنها جعلت من تلك الكرسي محبستها المؤبّدة أمام صورة حبيبها، وقبل انتهاء كل جولة كرّت سبحة لآلىء على وجه غير الألم تعبيره. شرعنا بأسئلتنا رغم أننا شعرنا بصغر ما نوّد معرفته أمام حجم ما نوّد قوله.

١. كيف كان مارون الطفل؟

على هذا السؤال فاضت دموع "السّت حنان" حيث عادت إلى الماضي المخبّي خلف جفنيها وأخرجته للعلن:

كان يحبُّ أهله كثيراً، ولم أشعر "إنو عزّبني شي يوم". كان زكياً جداً، وكان يحظى بمحبّة الجميع. ماذا أقول عنه؟ لم يكن يلعب كثيراً مع الأولاد لأنني لم أكن أريده أن يتعلّم أشياء "بلا تهذيب"، فكان ينزل في بعض الأحيان ليلعب في الملعب إلى جانب المنزل، في عين الرمانة حيث كنا نقيم، ولكن كان يأتي كلّ مرّة باكياً ويخبرني أنّ أحداً ضربه. فكنت حينها أطلب منه أن يكون هو أيضاً قوياً فيدافع عن نفسه أمام من يعتدي عليه. "إيه حبيبي، بدّي ياك تطلع بطل"، "وبالآخر طلع بطل" (وسكتت مطلقاً دموعها بغزارة).

كان يحبني كثيراً. حين كان يأتي أولاد أنسابه ليلعبوا معه، كان يصرخ بهم قائلاً: "الماما نايمة". وإذا ما ناله العطش في الليل، لم يكن يقبل أن يوقظني، فيقوم وحده ويشرب، فكنت أقول له:

"ليش ما بتوعيني، يا ماما؟"، وكان جوابه: "لا! ماما حرام! ماما دودو". كان يحبني كثيراً "وأنا كنت معلقة فيه كثير"، كما أنه كان يحب إخوته كثيراً.

كان يحب المدرسة كثيراً، وكان يأخذ معه من البيت كل ما أراد المعلمون أن يشرحوه في المدرسة؛ وصدق مرة أن كان الشرح عن الشعر المفتول الأشقر، فما كان به إلا أن أخذ أخاه الصغير "مايك" وكان عمره سنة ونصف إذ كان يتصف شعره بالصفات التي يريدها، فذهبتُ معه يومها إلى المدرسة وأبدى المدير لي فرحه وإعجابه بابني.

٢. كيف كان في فترة المراهقة؟

كانت تجمععه صداقة بفتىً اشتهر بمسلك غير مرضٍ، حتى إن مدير المدرسة حذّرني من صداقة ابني لذلك الشاب، فافتنعت أنا بالموضوع وانتظرت عودة "رورو" إلى البيت فباشرتة بالموضوع، طالبةً منه أن يتعد عنه، فسألني عن السبب فقلت له "بركي نزعك!". فأجابني: "وبركي أنا عملتو منيح!". وأكمل قائلاً "هل طلب منّا يسوع نبتعد عن الأشخاص المش مناح؟ أو نقرب منن ونساعدن تيسيرو مناح؟" فقلتُ في سريرتي ما لي وله، لا أريد أن أعلمه الحقد أو ما شابهه. وبالفعل أكمل صداقته معهُ، وبعد فترة أوقف ذلك الشاب التدخين ونجح في امتحاناته الرسمية، وكل ذلك كان بفضل "رورو".

٣. وفي عمر الشباب؟

كان محبوباً كثيراً من الجميع، من كل أصحابه ورفاقه في الجامعة وأقربائه. وهذا لأنه لم يكن يكره أحداً. كان رصيناً جداً في حياته. لم يكن يرضى أن يُحكى بالسوء على أحد أمامه، فكان يقول للمتكلّم: "خَلِّيك أحسن منو، خَلِّيك إنت منيح". حين أتذكر أعماله لا أصدّق أنّه استشهد. كما أنّه كان يحبّ وطنه كثيراً ولم يرضَ قط أن يسمع ما يسيء لوطنه.

كان ينطلق باكراً إلى الجامعة وذلك ليقوم بحجز المقاعد الأولى له ولرفاقه، كان يدرس "Biochimie" وكان في السنة الثانية حين تقدّم إلى الحربيّة ونجح رغم أنّه كان يحبّ أن يصبح طبيياً، ولكننا كما الجميع، شجّعناه على الحربيّة، وسرعان ما عشّقها كثيراً، وأحبّ خدمته إلى حدّ الموت شهيداً.

لم تكن لديه علاقات وصدقات كثيرة، فقد كان يختارُ أصدقاءه "على الطليّة" كما يُقال، أمّا في الجامعة فقد تطوّرت علاقاته وزادت، وفي الحربيّة أكثر فأكثر. كان مرحاً بطبعه وجدياً في الوقت عينه، كان عنده لكلّ وقت حكم، كان صاحب قلبٍ طيبٍ جداً، أتفاجئ كثيراً حين يُخبرونني عن "مارون" البطل الذي فعل كذا وكذا، فقد كبر على غفلةٍ منّي. "إني كان قدّيس ما بيقدّر يئزي حدا"، حتّى إنه كان يشاهد الرسوم المتحرّكة، كما أنّه كان إضافةً إلى الأفلام الحربيّة، يُحبّ أفلام الصغار، حتى حين أصبح ضابطاً كان قلبه كقلب الطفل.

حينَ أتكلّم عنه لا أعرف ما أقول "حتى ما يزعل منّي، عَ طول خايفي، كلّ ما بدّي قول شي بتطّلع بصورتو وبسألو شو بدّك ياني قول عنّك، يا ماما"، فيقول لي: "مِتل ما بدّك، يا ماما". كما أنّني لا أحبّ أن أُمسّ له حاجياته. كلّما أردتُ فعلَ شيءٍ أو قولَ شيءٍ، أخاف. إنّني ضائعة، لا أعرف ما عليّ أن أفعل. حينَ يريدون لمس أغراضه لا أدعهم. "يُقبّرني كان يملّي البيت!". كان يدخل يحملني "ويدور فيّي بالبيت". كان يملأ البيت بأغراضه، أنظرُ اليوم فأتخيّلُ بذلّته العسكريّة هنا وشنطته هناك، أفتقده كثيراً. كان يأتي من "الدورات" حاملاً الشهادات التي ينالها فأقول له ممازحة: "في شي من وراها؟" (أي مصاري)، فكان يجيبني: "الدمّات عَ حسابك يا إمّ مارون، شو بدّك طلّبي، بدّك دمّ منعطي دمّ"، "وعطاني دمّاتو (وأجهشت بالبكاء) يقبر قلبي حبيبي".

لم يكن يُميّز بين رفاقه طائفيّاً، فقد كان لديه أصدقاء من جميع الطوائف. كان لديه رفيق درزيّ أخبرني مؤخّراً أنّ "مارون" قد أهداه في إحدى المرّات مسبحة العذراء مريم، وقد تركّها هذا الشاب عند شقيق زوجي كتذكّار من "مارون". كما علّمت أنّ ابني قد منح صليبيّاً لصديق له مُسلم.

حينَ التّحقّق بالجيش كنتُ أقول له: "يا ماما هيدي (مسبحة العذراء مريم) سلاحك"، وحينَ بدأتُ حرب "نهر البارد" قلتُ له مراراً: "يا ماما، أوعا تقتلُ حدّا، بس إذا فاجأك حدّا، ما بعرف،

عمول شي، حمول المسبحة بإيدك وهيي بتخلصك، هيدي سلاحك". قبل استشهاده بأسبوع، كنت أحاول تعليمه صلاة الروح القدس، فبات يُردّد من ورائي، ولكنني عدتُ وقلتُ له: "شو عم نضحك ع بعضنا؟ مش رح تحفظا هلق بهالسرعه. خلص! بس يصير عليك شي قول يا روح القدس خلصني، وهووي بيخلصك ولو ما بتعرف هيدي الصلا". لم يكن يكتفي ببيت واحد من المسبحة، بل كان يصرّ على تلاوتها بكاملها.

في آخر الشهر المريمي أقمنا زياح العذراء كي تحمي "رورو"، وفي ٢ حزيران أقمنا زياح قلب يسوع وفي اليوم نفسه انتقل. "الله أخذ لي ابني، يخليني شوفو قديس بحياتي (قبل مماتي)". أقول بأن ابني قديس وفق تصرفاته معنا ومع الجميع، ووفق محبته الكبيرة للجميع.

٤. كيف كانت نظرتة للمؤسسة العسكرية؟

كان يحبها كثيراً، وهو صاحب اندفاع كبير للخدمة العسكرية، واحترام كبير للقيادة العسكرية؛ باختصار، كان مُخلصاً جداً لعسكريته. هو الصغير بين رفاقه، ولكنه كالأب في الآن عينه. بعد استشهاد "مارون" قال الجنود إنهم لم يشعروا يوماً أنه يتصرّف معهم كمسؤول، بل كأخ لهم. كما وأخبرنا العديدون من العسكريين أنه أنقذهم في الحرب حين أصيبوا وقد خاطر بحياته مرّات عدّة ليخلصهم. بعد استشهادِهِ أَحْضَرُوا لي ساعته هذه التي أضعها الآن، وكانت مضمّحة

بالدم. كما جلبوا لنا محفظته مملوءةً صُورَ قديسين. وأخبرني أحدُ رفاقه في الحرب، أنه، أثناء تنفيذهم بعض المهمات كان يقول لهم: "رُجِعُوا! رُجِعُوا! إِنْتُمْ عِنْدُكُمْ وِلَاد، أَنَا أَعزَب، خلو المهمة عليّ أنا. خلّوني قِدام". "شِفْتُو إبني كيف كان؟". تراني اليوم أُلومُ وأُعَاتِبُ الربَّ لِأَنَّهُ أَخَذَهُ، لماذا لم يَحْمِه؟، "ليش رَبْنَا مَا يَبْتَرِكُ المنيح عَ الأرض تِيحَارِبِ الشَّرِّ وَالخَطِيئَة؟". المسيح قال أبعِد عني هذه الكأس، هو الاله، وأنا لو كان سألني لَطَلَبْتُ أَنْ يُعِيدَ هذه الكأس عني.

٥. كيف كانت نظرتَه لِأحزاب اليوم؟

لم يكن متحزبًا لِأحد، كما أَنَّهُ لَمْ يَكُن يُحِبُّ الأَحزَاب. لِطالَمَا وَعَى أَهميَّة انتمايَه لِلمؤسَّسَة العسكريَّة. وما سَمَحَ يَوْمًا أَنْ نَضَعَ شِعَارًا أَوْ لَوْنًا لِحزب أَوْ صِوْرَةً لِزَعِيم، حتَّى إِنَّه كان يَضْحَكُ عَلى الجَمِيعِ قَائِلًا: "شورح يَنْفَعو كُن الأَحزَاب وَالسياسيِّين؟". وكانت هذه حاله حتَّى قَبْلَ دُخُولِهِ المؤسَّسَة العسكريَّة.

٦. فِي أَيِّ مَرَكزٍ كان قُبَيْلِ اسْتِشْهادِهِ؟

كان آخر مرّة في مغاوير البحر؛ قام بدورة مغاوير وسافر إلى أميركا حيث خضع لدورة أُخرى ونجح فيها بتفوق. بعد استشهاده كتب رفاقه الأُميركيّون الذين كانوا معه في الدورة: "إِذَا نَحْنُ الأُميركان فَخُورين فِيكَ هَالقَدِّ، فما هي حال ابنا"

وطنك ودولتك"، والأشخاص أنفسهم صَنَعُوا "أساور" لـلـيـدِ عَليها تاريخ ولادته وإسمه وتاريخ استِشهادِهِ، وقد أرسَلوا لـ"مايك" (أخ الشهيد) أوَّل قطعة، كما وأنَّ كلَّ واحدٍ مِنْهم يَحْمِلُ واحدةً منها. "نقَهروا عليه كثير كانوا يحبُّوه".

بعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ أميركا طَلَبْتُ منه: "يا ماما، فَرَجِني شي صُورَه مِنْ يَلِّي تَصَوَّرْتُنْ هونيك". فَضَحِكَ وَأجابَني: "بعدين بتشوفيهُنْ". بعد استِشهادِهِ ظَهَرَ أخوه الصُور، والآن أَتَكَلَّمُ مَعَهُ في الصورة وأقول له: "ليش يا ماما ما فَرَجِيتَني هَنِّي قَبْلَ ما تَسْتَشْهَدُ حتَّى إنْبَسِطَ فيك يا حبيبي؟". أحضر معه مِنْ أميركا أغراضًا كثيرة: بذلات، كاميرا فيديو، وكاميرا ديجيتال، ولكنّه لَمْ يَسْتَعْمِلْ أيًّا منها.

٧. كيف عرفتم أنه سيذهب إلى "نهر البارد" وماذا كانت ردة فعلكم آنذاك؟

لم يخبرنا قط أنه تم استدعاؤه. آخر يوم أمضاه مع الأميركيين الذين كانوا في زيارة إلى لبنان، أتى إلى البيت في وقت متأخر من الليل، وكنت أسمعُه كلَّ الليل يتكلم على الهاتف. عند الساعة الخامسة صباحًا استيقظ والدُه معه وقال له: "بعملك نيسكافية؟"، فقال له: "لا! بدِّي روح هلق". سمعته يقول: "باي"، فرسمتُ له إشارة الصليب وأنا لا أزال في الفراش. في اليوم الثاني إتصل عسكريُّ وسأل عنه فقلتُ له إنه ليس هنا، فقال لي: "أنا من عسكريتو، وأنا مش قادر إنزل، علقانين نحنا

وفتح الإسلام وهني عم بيدبحونا". وكان صوته يرفف على الهاتف. حاولت حينها الاتصال به، ولكن كان هاتفه مقفلاً. حدث كل ذلك نهار الأحد الواقع فيه ١٧ أيار، حيث ذهبت كالعادة إلى القُدَّاس، وحين عدت وجدت رقم هاتفه بين الاتصالات الواردة إلينا، فاتصلت به وأخبرته بأن عسكرياً قد اتصل به، فقال: "عرفت"، ثم أخبرته أن سائقه قد أتى أيضاً، فأشار إليّ أنه علم بالأمر. فسألته حينها عن الذي يجري في الشمال فأجاب كالعادة: "ما في شي، يلا بدك شي؟ بعدين بحكيكي".

شاهدنا التلفاز طيلة فترة الحرب متابعين الأحداث. فسألته عما يجري فقال "ليش في شي؟ بكن شي؟ أنا هون نتبهو ع حالكن". فقلت له: "آخذينكن ع الشمال شي؟"، فأجابني: "لا، لا! نتبهوا ع حالكن، أنا هون". كان في "نهر البارد"، ولكنه لم يخبرني كي لا أقلق عليه. كنت أسمع أصوات إطلاق النار والدبابات، ولكنه عمد دائماً إلى طمأنتي بإخفاء الأمر عني بقوله إنه في الشمال وليس في "نهر البارد".

أتى يوماً إلى البيت، وأحضر عصفورين معه، سألته: "يا ماما، شو هودي؟". فقال لي: "يا ماما، هودي عصفورين زغار، جبتن معي من هونيك، من الشمال، كانوا خايفين من الأصوات. خليهن. بكرأ أنا بس إجي باخدهن على السكنا معي". ولم يعد ليأخذهما معه! بعد استشهاد "مارون" مروا به من هنا، حينها بدأ

العصفوران يزقرقان على الشرفة، دون أن أعرف إن كانا يُغنيان فرحاً أم حزناً. "أوقات بعصبٍ منن، ما فيّ شوفن، بزعل بس شوفن، برجع بقول يا عمّي خليهن. رورو جابن خليهن. ما بعرف؟ ضايعة بحياتي مش عارفه شو بدّي أعمل".

لم يخبرنا قط ما كان شعوره هناك. سألته مرّة: "يا ماما، عم بتخافو؟" فقال: "شو عم بتقولي؟". ثمّ طرحتُ عليه السؤال: "يا ماما، عم بتشوفون لفتح الإسلام؟". فكان يُغيّر الحديث قائلاً: "يالّا شو عاملي أكل".

أتى "مأزونيّة" واحدة إلى البيت، كنتُ أجري حينها فحوصات طبيّة، فسألني: "في شي؟" قلت له: "لا"، فأكمل قائلاً: "ما تخافي ما بكي شي". يومها لم يشأ النوم في البيت، فطلب من والده أن يوصله، وشعرتُ أنّه ذاهب، ولكن ليس بحماسته المعهودة. ذهبتُ معهما إلى جونه، علماً أنّه كان ممنوعاً التجول في ذلك اليوم. حين وصولنا، كانت مجموعة من الشباب العسكريين واقفين، فودّعنا "مارون" للمرّة الأخيرة قائلاً: "نّبها ع حالكن، ما تشغلولي بالي، رجّعوا دغري ع البيت". فقلتُ له: "يا ماما، نحنا رايجين ع البيت، إنت رايج ع الجبهه، إنت انتبه ع حالك". فردّ أحد العسكريين: "لا يا ست، سيدنا بطل ما بينخاف عليه". قلتُ له: "انشالله". كانت هذه المرّة الأخيرة التي شاهدته فيها. إتصل بي يوم السبت عند الساعة الثامنة صباحاً، ومن حينها لم أسمعهُ ولم أره، ولم أدرك أنّي لن أراه ثانية.

٨. كيف تَقَبَلْتِ أَنَّ ابْنَكَ فِي الْحَرْبِ، وَهَلْ كُنْتِ تَشْعُرِينَ أَنَّهُ سَيُسْتَشْهَدُ؟

تَقَبَلْتُ الْأَمْرَ بِشَكْلِ عَادِيٍّ لِأَنَّهُ حَدَثَ قَبْلَهَا وَأَخَذُوهُ إِلَى الْجَامِعَةِ الْعَرَبِيَّةِ، "وَكَثُرَ خَيْرُ اللَّهِ خَلَّصَ، وَلَا مَرَّةً فَكَّرْتُ إِنِّي مُمَكِّنٌ يَسْتَشْهَدُ. مَا كَانَ عِنْدِي هَالشعور".

حِينَ أَخْبَرُونَا بِإِصَابَتِهِ لَمْ أَرُدْ أَنْ أُصَدِّقَ الْخَبَرَ. اتَّصَلْتُ يَوْمَهَا "مَايِكَ" (شقيق الشهيد) بِوَالِدِهِ وَسَأَلْتُهُ: "حِكِيكُنْ مَارُونَ الْيَوْمَ؟" قَالَ لَهُ وَالِدُهُ: "إِيه، اتَّصَلْتُ الصَّبْحَ وَكَانَ مَنِيحًا، كَثُرَ خَيْرُ اللَّهِ". حِينَهَا أَخْبَرَ "مَايِكَ" وَالِدُهُ أَنَّ "مَارُونَ" قَدْ أُصِيبَ فِي الْمَعْرَكَةِ. فَصَرَخَ الْيَاسُ (وَالِدُ الشَّهِيدِ) "شَوْ؟". فَقُلْتُ لَهُ: "شَوْ فِي؟ مَا تَصْرُخُ، مِتْصَاوِبٌ أَوْ مَخْطِرٌ مِشْ مُهَمِّ، الْمَهْمُّ يَكُونُ طَيِّبٌ، فَقَالَ لِي "الْيَاسُ": "مَارُونَ مِنْصَابٌ بِرَاسُو". فَقُلْتُ لَهُ: "مَعْلِي مِشْ كُومَا؟ الْمَهْمُّ يَكُونُ طَيِّبٌ"، كُنْتُ رَافِضَةً أَنْ أَتَقَبَّلَ خَبَرَ اسْتَشْهَادِهِ.

٩. عَلَى أَيِّ جَبْهَةٍ كَانَ يَحَارِبُ؟

كَانَ عِنْدَهُمْ مَهْمَةٌ وَأَنْهَوْهَا بِنِجَاحٍ، "وَمَشَّطُوا كَذَا بِنَايَةٍ". وَكَانَ يَلُوحُ لِلجَرَفَةِ وَهُوَ لِابْسِ الدَّرْعِ وَالخُوذَةِ. فَأُصِيبَ حِينَهَا بِرِصَاصَةٍ قَنَاصٍ دَخَلَتْ بَيْنَ جِبَالِ الدَّرْعِ عَلَى شِرْيَانِ الْقَلْبِ. لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ.

كان ابني وديعاً ومُتواضع القلبِ مثل يسوع. كُلَّ العَسْكَرِيِّينَ في السَّرِيَّةِ يُحِبُّونَهُ. في أحدِ الأيَّامِ أَعْطَتُهُ أُخْتُهُ "كريب" لِيَأْخُذَهَا مَعَهُ، فَقَالَ لَهَا: "بَدِّكْ تَقَسِّمِيهَا ٧٢ قِطْعَةً، الكَلَّ بَدَّنْ يَأْكُلُوا". فَقُلْتُ لَهُ: "مَامَا عِنْدَكَ ٧٢ عَسْكَرِي؟"، فَلَمْ يُجِبْنِي. وَمَرَّةً أُخْرَى أَعَدَدْتُ لَهُ وَلِإِخْوَتِهِ قَالِبَ gâteau، فَسَأَلْتُهُ إِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهُ مَعَهُ فَقَبِلَ، وَلَكِنِّي سَرَعَانِ مَا أَدْرَكْتُ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ كَثِيرًا هَذَا النُّوعِ مِنَ الحَلْوَى، فَقَالَ لِي: "فِي كُتَارِ غَيْرِي بِيَأْكُلُوا، العَسْكَرِيِّينَ بِحُبِّهِ كَثِيرٌ". يُقَالُ إِنَّ الدِّينَ مُعَامَلَةٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ. فابْنِي "مَا بَتَّعَرَفَ شُو دِينُو، لَا مَسِيحِي وَلَا مِسْلِمٍ". كَانَ مَعَ الكُلِّ سَيَّانٍ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ عَلَى التَّلِفُونِ قَائِلًا: "إِيهِ خِيِّي"، فَأَقُولُ لَهُ مُمَازِحَةً: "يَا إِمِّي مِين خِيَّكَ؟ مَا خِيَّكَ هُون!". فَيَجِيبُ: "نَحْنَا كِلْنَا إِخْوَهُ". حِينَ كَانَ يَأْتِي مَعَ رِفَاقِهِ الَّذِينَ أَجْهَلُ طَائِفَتُهُمْ كَانَ يَقُولُ لِي: "شُو بَكِي عَم تَغْمِزِينِي؟ إِيهِ هَيْدَا دِرْزِي، بَدِّكَ تِحْكِي عَلَيْهِ، حَكِي مَعُو قَوْلِيلُو، وَهَيْدَا مِسْلِمٍ بَدِّكَ تَقَوْلِيلُو شِي قَوْلِيلُو، هَيْدَا خِيِّي كَمَا نِ كِلْنِ إِخْوَتِي. نَحْنَا مَا عَنَّا تَفْرَقَهُ".

١٠. ما هي ظروف حياتكم اليوم؟

"انْقَلَبْتُ فَوْقَانِي تَحْتَانِي، رَافِضَهُ الدِّينِي كِلَّا بِحَيَاتِي، حَتَّى إِيمَانِي تَزْعَزَعُ". كَانَ يَشَارِكُ دَائِمًا بِحَضُورِ الذَّبِيحَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَلَكِن حِينَ سَافَرَ إِلَى أَمِيرْكََا قَالَ لِي: "يَا مَامَا، عَم بَفْتَقِدُ لِلْقُدَّاسِ، هُون الكِنَائِسِ حَلُوهُ كَثِيرٌ بَسْ مَحُولِينَا لِمَتَاحِفِ. بُرُوحِ حَتَّى قَدَّسْ بِلَاقِي الكِنَيْسَةِ مَسْكَرَهُ، بَرَكَعَ وَبَصَلِّي مِنْ بَرًّا". يَوْمَ دَخَلَ الحَرْبِيَّةَ

أرسل إليّ رسالة يقول فيها: "أنا مشتغل لكن كثير، بس فاقد كثير للقدّاس، بسمع صوت الجرس من بعيد بس ما فيني أقدّس". حين كان يأتي إلى البيت في "المأزونية"، كان يطلب منّي أن أوقظه باكراً نهار الأحد كي يذهب إلى القدّاس، بالرغم أنّه "تعبان كثير". كان يحبّ أن يركع بعد المناولة ويصلي في الكنيسة، ويجلس دائماً في المقدمّة كي يتابع القدّاس. حين عاد من أميركا ذهبنا جميعاً إلى القدّاس لنتحتفل بعودته، قام ليّعترف، فبقّي حوالي نصف ساعة واقفاً خلف المذبح مع الكاهن، "فصرت إضحك لما رجع محلّو، نكزتو، فقّلي مليح روقي، هلّق نحنا بالكنيسة". وحين خرّجنا ضحكنا قائلة: "نص ساعة إعراف؟ إدبش عامل خطايا بأميركا؟". فكان جوابه: "مليح ستّ شهوّر ما بدّن نص ساعة إعراف؟". وبدأ يضحك.

الشموع التي أضأناها لـ"رورو" حين كان في "نهر البارد" تكفي لخلاص الجيش كلّه. سألوني مرّة إذا كنتُ نادمة على شيء في حياتي، فأجبتهم بأن قبل استشهاده "رورو" لم أكن لأندم على شيء، وكنت أقبل أن أعيد حياتي كما هي، ولكن بعد أن استشهد "رورو"، لا، فقدتُ أتمنى لو أنني لم أولد، إنني نادمة حتى لأنني تزوّجت، لأنه كان هو حياتنا كلها، من هوي وزغير لحتّى كبر، كان يضلّ يقلي: يا ماما بدّي يضلّ راسك مرفوع فيي. وفعلاً من ورا صيتو هيدا بيقولولي ارفعي راسك بابنك، بس أنا مش قدراني، كسرلي ضهري رورو بمشي وحاني ضهري، مش قادره ارفع عيني، مش قادره واجه حدا. إجا لعنا

كثير تلفزيونات وراديوات بس أنا رَفَضْتُنْ كِلْن، ما قَبِلْتِ إِلَّا
إنتو إحكي مَعَكُنْ لِأَنْكُنْ رهبان، ولأَنْكُنْ مِش عَم تاجرو بالخبر
وتسابقوهُنْ عليه".

١١. هل استشهد ابنك سدى؟

أنا من النوع الذي لا أَجْرَحُ أَحَدًا، ومارون، لم يكن يُحِبُّ
أَنْ أَتَكَلَّمَ بِالسَّوْءِ عَلَى أَحَدٍ، لذا سأَحْفَظُ بكلامي. ولكني
سأقول كلمةً واحدةً لِلْمَسْئُولِينَ "مِش كِرْمالنا نحنا ولكن
كِرْمال دَمَّ الشُّهَدَا ودموع هَالْأَطْفَالِ يَلِّي عَم بِنْتَادِي بِيَاتْهَا"،
أناشِدُ الْمَسْئُولِينَ أَنْ يَنْظُرُوا لِصَالِحِ الشَّعْبِ. وَأَقْلَّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ
يفعلوه لِتَكْرِيمِ الشُّهَدَاءِ، لَيْسَتْ الدَّرُوعُ وَالْأَوْسِمَةُ، وَلَكِنْ أَنْ
يَجْرِفُوا "نَهْرَ الْبَارِدِ" وَيَضَعُوا مُجَسَّمًا تَذْكَارًا لِأَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ.
"هَيْدَا إِذَا مَطْبُوتَ بَدْنُ يَكْرَمُوهُنْ مِش يَرْجَعُوا يِرْدُوا يَلِّي قَتَلُو
وَلادنا". أَمَّا بِالنَّسْبَةِ لِشَاكِرِ الْعَبْسِيِّ، كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَسْئُولِينَ
السياسيين هو شاكر العبسي. أَنَا آخِرُ هَمِّي إِنْ مَاتَ "شَاكِرُ
الْعَبْسِيِّ" أَوْ بَقِيَ حَيًّا، ففِي الْحَالَتَيْنِ لَنْ يَعُودَ ابْنِي إِلَيَّ. "شَوْ فِكْرَكَ
الشَّيْطَانِ هُوِي اللَّي إِو قَرُون؟ كُلِّ وَاحِدٍ بِيَقْتُلُ هُوِي شَيْطَانِ،
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هُوِي شَاكِرِ الْعَبْسِيِّ".

١٢. هل تقبلين أن يدخل ابنك مايك إلى الجيش؟

لقد سألوا "مايك" إِنْ كَانَ يَقْبَلُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الْجَيْشِ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يُوَافِقِ الْآنَ لِأَنَّهُ يَوَدُّ أَنْ يُكْمِلَ دِرَاسَتَهُ أَوَّلًا.

أَتَمَّنِي أحياناً لَوْ أَنَّ "مارون" تَزَوَّجَ فِي أميركا "تا شِفْلُو شي وَاكْد، وَلَوْ حَتَّى زواجِ مَدِينِي"، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا يُخَالِفُ تَعَالِيمِ الْكَنِيسَةِ. وَلَكِنْ حَرَقْتِي تَجْعَلُنِي أَتَمَّنِي أَنَّ يَكُونُ عِنْدَهُ وَاكْد، "تا أَعْطِيهِ شَهَادَاتِي، شَيْ مِنْ رِيحَتِي، أَعْطِيهِ غَرَاضِي، وَخَبَّرُو عَن بَيِّ الْبَطْلِ. مَا لِحَقَّ ٢٥ سَنَةً مَا لِحَقَّ. شُو بَدِّي أَعْمَل، بَخْبِرْ كُنْ لِحَدَّ الـ ٢٥ بَعْدَيْنِ لَأْ، مَا صَارَ أَكْبَرَ مِنْ هِيكَ حَتَّى خَبِرْ كُنْ. يَا رَيْتُو عَمَلِ رَاهِبِ حَتَّى يَا رَيْتُو عَمَلِ نَاسِكِ وَلَا مَاتِ، كَانَ أَهْوَنَ لِي، إِمُّو لِمَارِ شَرِبَلِ مَا تُعْزِبْتِ أَدِّي لِأَنَّ كَانَتْ عَارْفِي إِنْوِ إِبْنَهَا عَ الْقَلِيلَةَ بَعْدُو طَيِّبٌ".

١٣. ماذا تقولين لأهالي باقي الشهداء؟

إِنْ كَانُوا مَتَلِي فَأَقُولُ لَهُمْ: "اللَّهُ يَصْبِرْ كُنْ"، "بَسْ مِشِ الْهَيْئَةَ رَحَ يَصْبِرْ بِنِي، صَرَلِي خَمْسَ أَشْهُرٍ كُلَّ يَوْمٍ عَمَّ زَيْدٍ عَن يَوْمٍ". وَلَكِنِّي أَتَمَّنِي أَلَّا تَذْهَبَ دِمَاءُ أَوْلَادِكَ الشَّهَدَاءِ هَدْرًا.

١٤. ماذا تقولين للعسكريين الذين أنقذهم ابنك

ولعائلاتهم؟

ماذا أقول لهم؟ "الحمد لله على سلامتن". أنا أعتزُّ بابني لأنَّه خَلَّصَهُمْ وَأَبْقَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ وَعَائِلَاتِهِمْ. سَأَلْتُ عَسْكَرِيًّا عَمَّا إِذَا كَانَ صَحِيحًا أَنَّ ابْنِي زَحَفَ حَتَّى يُخَلِّصَهُ حِينَ أُصِيبَ، فَقَالَ لِي "نَعَمْ، ابْنِكَ خَلَّصَنِي". فَأَكْمَلُ الرَّائِدَ قَائِلًا: "إِبْنِكَ بَعْمَرُو مَا زَحَفَ، عَ طُولِ رَأْسُو مَرْفُوعٌ".

قَرَأْنَا لَنَا الْخُورِي مَرَّةً مَقْطَعًا مِنَ الْإِنْجِيلِ عَنِ يَسُوعَ حِينَ كَانَ عَلَى الصَّلِيبِ وَطَلَبَ "شَرْبَةَ مِي"، تَأَثَّرْتُ كَثِيرًا بِالنَّصِّ، لِأَنَّهُمْ أَخْبَرُونِي أَنَّ "رُورُو" قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ طَلَبَ "شَرْبَةَ مِي"، أَعْطَاهُ الْعَسْكَرِيُّ مَاءً شَرِبَ، وَبَعْدَهَا خَرَجَ وَحَصَلَ مَا حَصَلَ. قَالُوا لِي أَيْضًا أَنَّهُ حِينَ أُصِيبَ "صَلَّبٌ" يُدَوِّ عَلَى وَجْهِهِ وَوَقَعَ. "أَنَا مَا بَعْرِفُ شُو عَمِلِ، عَمَّ بِسَمْعِ سَمَعِ. وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ نِمْتُ السَّاعَةَ الثَّلَاثَةَ وَصَحَوْتُ عِنْدَ الرَّابِعَةِ إِلَّا رُبْعَ فَصَلَّيْتُ لِلْعَدْرَاءِ قَائِلَةً: "دَخِيلِكِ صِرْلُو ١٥ يَوْمَ بِالشَّمَالِ، وَلَا مَرَّةً خَفِيتُ عَلَيْهِ. يَا رَيْتِنِي هَلَّقَ حَدَّو حَتَّى شُوفَ شُو عَمَّ يَعْمَلِ". عَلِمْتُ بَعْدَهَا أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَإِذَا سَأَلُونِي: مَاذَا تَتَمَنَّى طَلَبًا وَاحِدًا فِي حَيَاتِكَ وَاللَّهِ يَحَقِّقُهُ لَكَ؟ أَطَلَبُ أَنْ أَعْرِفَ مَا كَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ لَفْظُهَا قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ. تَرَانِي أَحْسِدُ الْعَدْرَاءَ مَرِيمَ لِأَنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَحْمِلَ ابْنَهَا بَعْدَ أَنْ مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ، أَمَا أَنَا فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْعَلَ؛ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكُونَ بِجَانِبِهِ، أَمَا أَنَا فَلَا.

أَعَجَبْتَنِي حِكْمَةُ قَالُوهَا مَرَّةً: أَعْظَمُ مَا فِي الْحَيَاةِ هُوَ أَنْ يَبْذُلَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ وَطَنِهِ، وَلَكِنَّ الْأَعْظَمَ هُوَ أَنْ يَبْقَى مِنْ أَجْلِهِ. كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَبْقَى "مَارُون" حَيًّا يَخْدُمُ وَطَنَهُ، "مَا بِيَسُوى" إِنَّمَا يَكُونُ بَطْلًا وَيَبْقَى عِ الْأَرْضِ؟ مَا بِيَسُوى إِلَّا يَسْتَشْهَدُ حَتَّى يَعْمَلُوا كُلَّ هَالْهَرَجِ؟"

١٥. ماذا ستقولين لـ "رورو"؟

بعد صمت طويل وبكاء أجابت:

"اشتقتك كثير كثير كثير (باكية). اشتقت لطلتك، يا ماما. يا ماما، الحياة هي وقفة عز ونحن اليوم فيك منعتز". "رغم إنو كل هالأشعار هني إبر مورفين حتى يسكنوا وجعي". لا أحد يشعر بما يجري في قلبي. "حابي كثير كثير شوفو".

أما أخوه "مايك" (٢١ سنة) فقد قال للشباب الحزبي اليوم:

لقد كنت واحداً منهم، أما اليوم، بعد استشهاده أخي "وعيت على الشي يلي عم بيصير". وأتمنى أن يعي الجميع "إنو مش رح يجيهُن شي من هالطريق، ويلحقوا شخص هامو نفسو ومصلحتو فقط، ما حدا بيقدر يرجع شهيد".

أما أخته "كريستي" فرفضت الكلام بعد أن بدا التأثر والحزن العميق على وجهها وفي عينيها.

نيكول كفوري رفيقته في الجامعة قالت:

كنا معاً في الجامعة. كان مجتهداً جداً، يدرس كثيراً ويساعد الكل. "ما كنت تلحق تسألو سؤال حتى كان يقعد ويشرحلك كلّ الدرس". كان يحب رفاقه كثيراً، يتصل بالجميع ويطمئن عليهم.

"مارون" من الشبان القلائل الذين نجد فيهم كل الصفات الرجوليّة، والأهمّ أنه كان يضحّي كثيراً من أجل الذين يحبهم. "هيك كان يرتاح وينبسط إنو يشوف الكل مبسوطين ومرتاحين". لم يكن يحب أن يظهر لأحد أنه حزين أو عنده

مُشكِلة ما. مهما كانت المشكلة صعبة، كان يُحاولُ أن يعالجها وحده دون أن "يعتلّ همّو حدا".

مرة كان هناك صبيّ يبيعُ الورود، وكان معه الكثير منها، فطلبَ من "مارون" أن يشتري منه وردة، فطلبَ "مارون" من ذلك الصبيّ أن يقترب منه: "إديش حقها الورده؟". فأجابه الصبيّ: "٥٠٠ ليرة"، فقال له "مارون": "خود هيدي عشرة آلاف ليرة وروح ع البيت ارتاح اليوم ما بقا تشتغل، وخلي الوردات معك وبكرا بيعهن".

هذا هو "مارون الليطاني"، ابن الخمس والعشرين سنة، الذي انضمَّ إلى قافلة شهداء الجيش اللبناني الشريف. وقد قيلَ بحق إنَّ البريء وحده يستطيعُ أن يفدي. أمّا للسيدة "حنان" فنقول: ربّما لم تكوني مع ابنك كما كانت العذراء على الصليب لتحمله بين ذراعيك، ولكن فليطمئن قلبك المجرّح فإنَّ العذراء قد حملته عنك.

الشهيد باسم عزيز أحمد^١

حينَ وَصَلْنَا إلى بلدة عين الزيت، قضاء عكَّار، سألنا عن منزل أهل الشهيد "باسم أحمد". وحينَ وَصَلْنَا إذا برجلٍ يُلَوِّح بيده ليرشدنا إلى المنزل المقصود. أوقفنا السيَّارة، وإذا به يستقبلنا. إنَّه السيِّد "عزيز أحمد" والِد الشهيد. رجلٌ مثقلٌ بالحزن، نظراته تذهب بك إلى عالمٍ آخَرَ، حيث اللامحدود، تَجْعَلُكَ ترى خفايا نفسه المتألِّمة. كَلِمَاتُهُ تسرق منك جُرأتَكَ وَتَجْعَلُكَ صَغِيرًا أمامَ كِبَرِ تَضْحِيَةٍ يَعْتَرِفُ الجَمِيعُ أَنَّهَا كبيرة.

صَعَدْنَا الدرج فإذا الباب مَفْتُوح، تَسْتَقْبِلُنَا السيِّدة "بديعة" والِدَة الشهيد، تلك السيِّدة التي تَعَبَتْ مِنَ البكاء الذي جَعَلَ مِنْ عَيْنَيْهَا مَسْكِنًا، وَلَكِنْ ليس لها بعد غياب ابنها سواه رفيقًا ومُعزِّيًا. حنانها يَحْمِلُكَ إلى عالم الأمل الذي يَظْهَرُ بِصِيصًا تَخْنُقُهُ حَسْرَةٌ قَدْ لَا تُطْفِئُهَا الأيَّام.

بعد التحيَّة وتبادل الأحاديث المُقتَضِبَة جدًّا، كان لا بُدَّ لنا من أن نَدْخُلَ صِلْبَ المَوْضُوعِ مُدْرِكِينَ الواقع الأليم، والمشاعر المَجْرُوحَة التي سَوفَ تَظْهَرُ مَعَ كُلِّ سَؤالٍ يَحْمِلُ في طَيَّاتِهِ عَوْدَةً

١. راجع ملحق الصُّور الثالث، ص ٢٣٥

بالوالدين إلى ماضٍ يتمنيان لو أنه يعود. بدأنا بطرح الأسئلة تاركين للوالدين حرية الجواب، وغالباً ما تقاسمنا الأجوبة على كل سؤال طرّحناه عليهما بكل عفوية.

١. من هو "باسم أحمد"؟

باسم "أحمد" ابن "عزيز أحمد" و"بديعة ابراهيم أحمد"، من مواليد عين الزيت - عكار، تتألف العائلة من ٨ أشخاص: خمسة شباب وثلاث بنات. إثنان متاهلّتان وشاب متزوج، ومع استشهاد باسم أصبحت العائلة ٧ أولاد. وهو الرابع بين إخوته.

٢. طفولته

الأب: عندما كان لديه سنتان أخذ طعاماً فأصيب بالحساسية، وقضى خمسة أيام في مستشفى عكار ولم يتمكن الأطباء من تشخيص مرضه. فقررت أن أخرجه من المستشفى على مسؤوليتي. فأخرجته وذهبت به إلى الدكتور "الجمالي" المتعاقد مع الجيش، في عيادته في مستشفى مسعود، حين رآه تفاجأ إذ كانت حالته خطيرة، فأمر بأن يخضع لعملية جراحية لسحب الماء من روابه وقضى بعدها في المستشفى حوالي الأربعة أيام ثم تعافى.

بعد أن نال شهادة الرابع متوسط (brevet)، تعلّم الإلكترونيك، ثم دخل الجيش لخدمة العلم. بعدها قرّر أن

يدخل في سلك الدولة. حاولنا في البداية أن ندخله كشخص متخصص، ولكنه لم يتوفَّق في الدورة الأولى. المهمّ تثبّت في الجيش في اللواء السابع. ثم وجدوا أنّه محترم ومحبّ فأخذوه. وكان مركزه في كفرشخنا. في الفترة الأخيرة جاء اللواء السابع إلى القلمون، فكان يتّصل بوالدته طالباً منها أن تقوم بالسعي اللازم بغية إعادته إلى كفرشخنا. في الآونة الأخيرة نُقلَ إلى بَطْرَام - الكورة حيث كان من المفروض أن يشارك في الدورة، فكانَ عليه أن يؤمّن الدورية من جهة ومن جهة أخرى أن يشارك في الدورة، وفي صباح اليوم الثاني استشهد.

الأم: كان يريد أن يصبح سائقاً في الجيش، بينما أنا لم أكن أريد له هذا. كان إنساناً نشيطاً، مرحاً، قوياً، كريماً. كان إذا ما طلبوه ترك كل شيء حتّى وإن طلبوا منه الموت فهو كان ليّليّ الطلب. وحين نقلوه من كفرشخنا، إتّصلَ بي قائلاً: "دخيلك يا إمّي عمليلي واسطة وطلعيني من هون، الدني ضيقة بوجي". فقُلْتُ له: "يا إمّي، المنطقه كلها مسيحيه ونحن عايشين بيناتن، وأحلا جو جوك". فقال لي: "الدني يا إمّي ضيقة بوجي، مدري شو بني، دخيلك يا إمّي مني مبسوط". وكان هذا الحديث قبل استشهاده بيوم واحد.

كان محبباً، وذكيّاً، وحنوناً عليّ وعلى والده. أحسّ مرّة أنّ أحوالنا صعبة، فذهب واستدان مليون ليرة، فأعطى منها والده وأعطاني، وجلب لنا الهدايا على الأعياد. واشترى هاتفاً، ولم

أكن أدري من أين له المال. فطلبتُ من والده أن لا يطالبه بشيء. وقال لي: "ما بدّي شي غير إنك تكوني مبسوطه إنتِ وببّي". فقلتُ له: "يا ماما، ليه عمّ تعمل هيك؟". فقال لي: "إنتِ شو بدك! أنا بدّي إياكن تكونوا مبسوطين إنتِ وببّي وإخوتي". ولم نكن نعلم أنه استدان مليون ليرة من المصرف. بعد استشهاد، ذهب أخوه العسكري ليحصل على راتبه، فقالوا له: "خيك الشهيد طلب قرضاً بقيمة مليون ليرة، إن أردت أن تدفعه فليكن، وإن لم تُرد فلن يطالبك أحدٌ به". فأخذ ابني مليوناً ودفع القرض الذي كان قد أخذه أخوه الشهيد باسم.

٣. كيف عاش فترة المراهقة؟

الأم: كان شاباً فرحاً، يحبّ الموضة، كريماً على نفسه وعلى الآخرين، يحبّ الطرب. يبغى دائماً الانفتاح على الآخرين وعلى كلّ ما هو جديد. كان كريماً، فكونه درس الميكانيك، كان يُصلح مثلاً تلفزيوناً دون أن يأخذ أجره. فقلت له: "ليه يا إمّي عمّ تعمل هيك، هيدا حقك!" فقال لي: "ارتاحي، يا إمّي، أنا ما بدّي آخذ من حدا شي". وقال له والدّه مرّة: "أنا صرفت المال عليك، وعلمتكَ حتى تحقّق مستقبلك". فجاوبه: "أنا عمّ إتعلّم وما بدّي آخذ من حدا مصاري". ماذا تريدني أن أخبرك عنه، هذه حرقتي.

٤. أين تعلّم وكيف كان وضعه في المدرسة؟

أولاً كان يتعلّم في "التلال"، إلى أن نال شهادة الرابع متوسط (brevet)، وبعدها تسجّل عند حبيب خوري لمدة سنتين، ولكن لم يكن هناك سنة ثالثة للإلكترونيك، فانتقل إلى المركز التربوي - حلبا عند حمزة الأحمد حيث نال الشهادة، وكان مجتهداً.

٥. حياته الاجتماعية وعلاقاته مع الناس؟

الأب: كان له الكثير من الأصدقاء، يحبّونه كثيراً. وما إن يأتي باسم إلى البيت حتّى يأتي أصدقاؤه إليه ليروه. في الأيام الأخيرة تغير كثيراً، خصوصاً معي، وأصبح مختلفاً عمّا كان عليه سابقاً. أصبح مرحاً أكثر، ومهما طُلب منه لا يرفض حتّى وإن كان "مفقوساً". يساعديني في أيّ عمل أقوم به، يتقرّب منّي أكثر.

الأم: يذهبون معاً وبمرحون. ولا يزالون، حتّى بعد استشهاده يزوروننا، خصوصاً صديقه... عاش بيننا، وكان يحمّسه دائماً ليدخل "الرُتبة" في بعلبك. كان يخرج دائماً مع رفاقه، ولكنّه في الفترة الأخيرة، أي آخر ثلاثة أشهر تقريباً، أصبح يلازم البيت أكثر، نراه أكثر.

٦. كيف ولماذا انتسب إلى الجيش؟

الأم: كان يحبّ الجيش، والجميع هنا يرغب الانضمام إلى الدولة. لديّ ابن أصغر من باسم دخل الجيش مقتدياً بأخيه،

وهو يقوم بدورة تمرير في المستشفى العسكري. جميعنا للدولة. إن كان نائماً في السهرية، لا أتمكن من النوم إن لم أراه في فراشه. كنا نذهب إلى رجل يدعى سمعان الشيخ ويُلقب "أبو طوني"، يعمل في سكنة صربا بغية التوسط لباي من أجل أن ينجح في الإلكترونيك، فحُضِعَ باي للدورة الأولى ولم يتوفَّق فيها، فذهبتُ إليه ألوهُ، عندها رأت ابنته باي فقالت لي: "شو هالملاك! منين جايتيه". كان يطلب مني دائماً أن أقوم بواسطة تمكّنه من دخول الرتبة في شهادة الإلكترونيك، لكي يكون مع رفيقه في بعلبك. إن دخلتَ مدينة ليس فيها جيش يحميها تشعر بالخوف والقلق، وإن دخلتَ مدينةً كان فيها الجيش موجوداً تشعر بالأمان، لأنّ الجيش هو الأمان.

الأب: إن باي قضى فترة خدمة العلم لمدة سنة، بعدها تمّ تثبيته. وقد انتسب إلى الجيش سنة ٢٠٠٦. أشرف مؤسسة هي مؤسسة الجيش. الجيش يخدم وطنه وشعبه، ويموت شهيداً. والحقّ ضمن هذه المؤسسة موجود، والإنسان يدخل إليها بشرف ويخرج منها بشرف.

٧. ما كانت نظرة "باي" للمؤسسة العسكرية؟

الأب: كان يحبّ العسكر كثيراً، فقد كان يصحب معه غالونات الزيت ليوزعها على رفاقه. وكان يقول لي: "نحننا بالجيش يا إمّي كلنا إخوي".

الأب: عندما استشهد باي كان الضابط المسؤول عنه مصاباً

في المستشفى العسكري فأصرَّ هذا الأخير أن يتَّصِلَ بنا ليعزِّبنا بالرغم من أنه كان بالكاد يتكلَّم.

٨. ما كانت نظرتَه لأحزاب اليوم؟

الأب: في ضيعتنا لا أحد يحبُّ الأحزاب، وما من حزبٍ دخله بالرغم من كلِّ الأحداث التي وقعت في هذا البلد، وفي منطقة الشمال وعكَّار خصوصاً، علماً أنها تمَّت محاولات عديدة لإرغامنا على الانضمام إلى الأحزاب، وطوّقونا مُهدِّدين بأننا إمَّا أن ننضمَّ إليهم ونحارب معهم وإمَّا نحن ضدَّهم. نحن ضدَّ الحزب أيًّا كان اتِّماؤه أو هويته؛ فالدولة اللبنانية موجودة، والجيش اللبناني موجود. فباسم كان عسكرياً وتوجَّهه عسكري، من هنا لم يكن له أيُّ انتماء لأيٍّ من الأحزاب.

الأم: في ضيعتنا لا يدخل الأحزاب أحد. ونحن نكره كلَّ مَنْ يدخلها، وإن علمنا أنَّ أحدًا دخل حزباً بعدنا عنه. فنحن لا ولن نرضى أن يدخل أحدًا حزباً ضدَّ الجيش اللبناني، وضدَّ وطنه لبنان. والذي قضى علينا هم الأحزاب ومَنْ وراءها، سواء أكان لبنانياً، سورياً، وأياً كان. في النهاية وحده الله يأخذ الحقَّ.

عندما هاجموا المصرف، أذاعوا النبأ على شاشات التلفزة عند الساعة الثامنة صباحاً، وأنا لم أكن أدرك أن باسم ذاهب في دورية. فخفت كثيراً لأنني مدركة أن ابني سائق الضابط وأن اسم المركز الذي ذاعوه هو نفسه حيث يخدم باسم. وبِتُّ حائرةً ضائعةً من حينها، حاولت الاتصال مرَّاتٍ عديدة رغبةً

التحدّث إلى ابني لأطمئنَّ عليه، وكانوا يجيبونني في كلِّ مرّة أنّه ذهب في مهمّة وليس موجوداً، بينما هو قد استشهد الساعة الثامنة صباحاً.

٩. هل كان يفكر أنّه سيموت شهيداً؟

الأم: لم يفكر مطلقاً ولا مرّةً واحدة أنّه سيموت شهيداً.

الأب: في إحدى المرّات، كان لا يزال حديثاً في الجيش أرسلوه سائقَ شاحنة إلى بعلبك، فوصلني الخبر أنّه كان يقود الشاحنة بسرعة كبيرة. فقلت له: "يا ابني، ليه عملت هيك، معك عسكريّه وضابط، ليه عم تعمل هيك؟". فجوابني: "يا ابي، ما كنت حاسس عَ حالي إنّي مسرع". لم تكن الدنيا تساعه.

١٠. كيف تلقّيتُم خبر الاستشهاد؟

الأب: كانت الكهرباء مقطوعة، فذهبت إلى صهري وعندما أذاعوا نشرة الأخبار لم يُعلنوا أيّاً من أسماء شهداء الجيش. أمّه قلقة عاجزة عن النوم، وأنا مطبق على صدري شاعرٌ أنّ هناك شيئاً ما، ولكن لا أحد يخبرنا عنه. في العاشرة مساءً طشت نتيجة القلق والخوف والتعصيب، فذهبتُ أتمدّد قليلاً لأرتاح. عندها رنَّ الهاتف فدعوني لأجيبَ فإذا بامر السريّة يسألني إن كنتُ والده، وعندما أجبته قال لي: "العوضِ بسلامتك"، ثمّ سألني: "ما معك خبر؟". فقلتُ له: "لا، من وين معي خبر!".

أمّا عن ظروف استشهاده فقد عرفنا أنّهم كانوا يقومون بدوريّة على طريق القلمون، وإذا بهم يفاجأون بكمينٍ نُصِبَ لهم عند مفرق قلحاتا، فتمّ ضربهم بصاروخ RBG، ولكن باسم مات برصاصة قنّاص في رأسه.

١١. كيف هي ظروف حياتكما بعد غياب "باسم"؟

الأب: الحياة صعبة بغياب باسم. أتخايله دائماً قادمًا. والأولاد كلّهم يوانسون أمهم: "يا أمّي، نحنا قدّامك، طوّلي بالك، الله هيك بدّو". فأنا لحظة تلقيت الخبر غَضبتُ، وصرّختُ. صحيح أنّ ابني استشهد فداءً للوطن، وهذا فخر لي، ولكن كلّ هذا لا ينفي جرحي الكبير، ولكنني أسلمّ أمري لله.

الأم: إبني راح شهيد الوطن، ولو لم يميت ابني وغيره من أفراد الجيش، لكان لبنان قد قُضيَ عليه!

١٢. ماذا تقولان للسياسيين في لبنان؟

الأب: أطلب للسياسيين غسيل دماغ، والأفضل أن يُوتى بفوج آخر من السياسيين، فوج محترم، عنده نظرة مستقبلية واعية وواعدة للبنان. نحن أبناء هذا الوطن ونريد أن نعمل لصالحه وليس لصالح السوريين أو الأميركيين أو اليهود، ولا لأيّ دولة أخرى. ها هي سويسرا تعيش متنعمّة لا تقوم على أرضها حروب. بينما لبنان كلّ الحروب عبر التاريخ وقعت على

أرضه. سياسيوننا، آخر همّهم الشعب. عليهم أن يعوا أنّ المال لا ينفع بشيء، وعليهم أن يدركوا أنّ الله سيحاسبهم يوماً، لذا وجبَ على السياسيين أن يكونوا بمثابة الأب الذي يحضن أولاده. النواب والوزراء هم من يخرّب هذا البلد.

الأم: على السياسيين أن يكونوا قدوةً للشعب. حرام قتل الأرواح! يجب أن يشعروا بأولاد غيرهم كما يشعرون بأولادهم. ولا تتمنى أن يكون هنا مُخيم، ولا تتمنى أن يكون هناك فلسطيني. وفي ما يخصّ شاكر العبسي، أتمنى أن يعلّقوه بعُنقه. فهم الذين هربوه يوم أصابوا الشيخ في رجله.

الأب (تعليقاً على جواب زوجته السيدة بديعة): مرّوا بالحاجز بحجّة أنّ الشيخ منصاب، وشاكر العبسي كان محتبباً بينهم، فهربوا به. وإلاّ فكيف يمكنه أن يهرب؟ ومن أين؟ فهو ليس فريداً من نوعه ليختفي.

١٣. ماذا تقولان للشباب الحزبيّ في لبنان؟

الأم: الله يحاكم كلّ حزبيّ، الله يجازي كلّ من يؤذي إنسان وكلّ من لا يحبّ لبنان، بل يفضّل مصلحته الشخصية. قد يكون السياسيون مظلومين، وذلك بسبب ضغط مفروض عليهم. فمن تُهدّد حياته قد يكون مضطراً لحماية نفسه بأيّ وسيلة. ولكن أيّ حزبيّ يريد أن يؤذي لبنان فالويل له. أولادنا يموتون في حين أنّ السياسيين يحافظون على أولادهم في الخارج، كما أنّ الجيش يحمي هؤلاء السياسيين بحياته.

١٤. هل تفخران بأنكما والدا الشهيد؟

الأم: أكيد! فهو شهيد الوطن، وأنا أفخر بنفسي أنني والدة الشهيد. ما من أم تتمنى لابنها الموت، ولكن هذا لا يمنعني من أن أفخر؛ فهو كان يدافع عن وطنه. ولو لم يُستشهد هذا العدد من الجيش لربما كان قضي على لبنان بأكمله.

الأب: بالتأكيد هناك افتخار وعز. فالله اختار لابننا أن يموت شهيداً. والشهيد يسافر إلى الجنة، فهو لم يسرق ولم يفعل أي سوء، بل كان يدافع عن قضية شريفة.

١٥. هل إن "باسم" كان ليفتخر بأثمه شهيداً؟

الأم: أكيد! فهو لم يخف الموت يوماً، خصوصاً أنه كان مُصرّاً على أن يكون سائقاً رغم ممانعتي خوفاً عليه فكنت أقول له: "يا أمي، دَخيلك ما بدّي ياك تموت". وكان يجاوبني قائلاً: "إذا بدّي موت، إنتِ بدّك تُردّيني!". إذاً فهو دخل الجيش ليخدم وطنه، ولم يفكر بالموت.

الأب: أنا أكيد أن الإنسان له عمره، وما أن يأتي أجله حتى يترك الدنيا ويموت، وأنا مقتنع بذلك. كل أبناء ضيعتنا في الجيش، ينتمون إلى الدولة والوطن. فالذي يسافر نعتبه قدمات لأننا نعتبر أنه إمّا سيتبع بعض المنظمات غير الصحيحة، وإمّا قد يسرق ويفعل المستحيل ليحصل على المال، وإمّا لن يراه أحد بعد. بينما ابني في سلك الدولة يبقى أمامي، إذا سار في طريق

غير صحيح يمكنني أن أنصحه وأرشده. هذه هي قناعتنا بأن المال لا يصنع من الإنسان شيئاً، المهم أن يعيش الإنسان ويموت بشرف، هذا هو مبدأنا.

١٦. هل كان استشهاد "باسم" سدى؟

هنا يتدخلُ خال الشهيد، السيّد "زيدان ابراهيم" قائلاً: أتمنى أن تكون قافلة الشهداء في لبنان قد انتهت، ولكنّ هذا الوطن يبقى بحاجةٍ دائمةٍ إلى شهداء، خلال كلِّ عشر سنوات تجري حربٌ على أرضه. فحكّامنا ليسوا صالحين.

على حكّامنا أن يحبّوا بعضهم بعضاً وأن يتعاونوا بعضهم مع بعض. وعلى لبنان في جميع فئاته أن يكون موحّداً، فنحن نريد لبنان؛ وهذا لبنان نعتبره بيتاً فيه عائلة يتعايش أفرادها بعضهم مع بعض على اختلافهم. ومهما يكن الذي يحاول أن يتدخل في شؤوننا ويريد أن يفتننا، أكان سورياً أو أميركياً أو يهودياً، فنحن اللبنانيين علينا أن نعيش بعضنا مع بعض، ونزع منا كلَّ تحزّبٍ وكلَّ طائفيةٍ. اللبناني، أكان مسلماً أو مسيحياً، المهم أن يكون صالحاً، يُرضي ربّه، ويسير بتعاليمه، يعيش بسلام. المشكلة أنّ السياسيين في هذا البلد يتاجرون بنا، وخطأ اللبنانيين أنّهم ينحازون للزعماء. ما الذي يمنعني أن أعيش مع غيري إن كان صالحاً، يأخذ بحقّ ويعطي بحقّ، هذا ما نريده: أن نكون لبنانيين. المادّة هي التي تخلق التشرزم حتّى في الفئة الواحدة، فالذي يشدّ نحو سوريا هدفه المادّة، والذي يشدّ نحو أميركا

هدفه المادة. فالمسيحيون لديهم عدّة زعماء، والسنة والشيعية كذلك الأمر، والحال نفسه مع باقي الفئات والطوائف. من هنا على المسيحي والسني والشيعي وغيرهم أن يكونوا واحداً، أن يكونوا لبنانيين.

١٧. كيف اهتمّت المؤسسة العسكرية بكم بعد استشهاد
"باسم"؟

الأم: اهتمت بنا كثيراً، لا بل اهتماماً عظيماً. وهي أشرف مؤسسة، لم تتركنا لحظة. وأنا اليوم كلما أرى عسكرياً اعتبره ابني، لأنه يخدم وطنه.

خال الشهيد: لدى شقيقتي تسعة أولاد، ومن بينهم أبناء في الجيش. فسألوها ما الذي تريده من المؤسسة العسكرية. لديها ولد في اللواء الخامس، فطلبت منهم تحسين وضعه لكي يطمئن بألها عليه، وكان لها ما تمت. كما ولديها ولد آخر نال شهادة البكالوريا القسم الثاني، كان لا يزال عسكرياً، فطلبت منهم ترقية فتم الأمر. وفي أسبوع التعازي، أرسلت المؤسسة العسكرية آية عسكرية مع جندي ليسألوا هذه العائلة عن كل ما ينقصها. بالختصر: "اللحم اللي ع كتافنا من الدولة".

١٨. لو عدنا بالتاريخ إلى الوراء، وطلب "باسم" الانتساب إلى الجيش وأنتما مدركان أنه سيموت أتقبلان طلبه؟

الأب: أنا أقبل، فهذا هو القدر. ونحن لا نستطيع أن نحكم

على ربنا؛ فالولد قد يموت وقد لا يفعل. ولكن الإنسان يتحسّر على ما لديه فكيف لو كان ابنه. وتبقى هذه الوفاة أشرف من غيرها.

الأم: من الممكن أن أشدّ به كي لا يذهب كونه ابني، والقدر سيتم إن كان في البيت أو في الجيش. ما من أمّ تتمنى أن يموت ابنها ولا حتى أن ينجرح. ولكن إذا عرفت أن ابني سيموت فأفضل أن يموت شهيداً لأنّ الاستشهاد في سبيل الوطن فخر لنا.

١٩. إذا رغب أحفادكم الانتساب إلى الجيش هل تقبلان؟

الأم: طبعاً أقبل. فابني الصغير من بعد ما استشهد أخوه دخل الجيش، فقد كان مجتهداً.

الأب: نحن نوّمن بالقدر، وإن أراد الربّ أن يأخذه يفعل إن كان في البيت أو في الجيش.

٢٠. ماذا تقولان لأهالي باقي الشهداء؟

الأب: نقول لهم كما نقول لأنفسنا: الفخر والصبر والاعتزاز.

خال الشهيد: إن ابنهم لم يمّت ضالاً ضائعاً في السوء، بل استشهد في سبيل قضية شريفة، هي الصون عن شرف وطنه لبنان.

٢١. ماذا تقولان لـ "باسم"؟

الأم: أقول له: "يا إمّي، الله يسكنك بالجنتّه، إنت ضحيت تجاه

وَطَنَكَ".

الأب: "الله يسكنك جناتو، ويمحي عنك كل ذنب، إنت ملاك، الله اختارك". وأقول له أن يطلب لنا من الرب أن يمحو ذنوبنا، فهو قريب منه ويسمع له.

٢٢. كلمة أخيرة؟

الأم: الله يصلح هذا الوطن. والذي يبغي له الشر الله "يعزله" والذي يبغي له الخير الله يساعده. وأنا رفضت أن يعلّقوا صور ابني على الجدران والسيارات، إذ إنّ السياسيين وحدهم يعلّقون صورهم، وأنا لم أرد أن أوازي ابني بهؤلاء الذين يضحكون علينا، ويسعون إلى مصالحهم الشخصية.

الأب: أطلب من الزعماء أن يعوا في أنفسهم. وأدعوهم أن يتركوا المجال لجليل جديد يحمل الآمال للبنان، ويعمل من أجل خيره. أن يمشوا تحت لواء الوطن دون ميول خارجية.

خال الشهيد: أتمنى أن نضع أيدينا بأيدي بعضنا، ونكون قلباً واحداً؛ فالسياسيون لا يفضّلوننا على أنفسهم، وهم من يُخرّب هذا البلد ويسبّبون الطائفية والتعصب والمشاكل.

الشهيد فراس محمد صوفان^١

ما إن بَلَّغْنَا الحَيَّ حَيْث يَقْطُنُ أَهْلَ الشَّهِيدِ "فِرَاسِ صَوْفَانَ" حَتَّى لَاقَانَا شَقِيْقَهُ "حَسِيْنَ" يُرْشِدُنَا إِلَى مَدْخَلِ الْمَنْزَلِ. رَافِقَنَا، فَاِذَا بَوَالِدِ الشَّهِيدِ السَّيِّدِ "مُحَمَّدِ صَوْفَانَ" يَنْتَظِرُنَا خَارِجًا، مُعْتَذِرًا عَنِ غِيَابِ وَالِدَةِ الشَّهِيدِ لظُرُوفِ طَارِئَةٍ. وَبِكُلِّ رُوحٍ مِضْيَافَةٍ اسْتَقْبَلْنَا السَّيِّدَ "مُحَمَّدَ" مُرَحِّبًا بِصَوْتِهِ الْخَافِتِ خَافِيًا جُرْحًا عَمِيْقًا تَلَمَّسْنَاهُ تَنْهِيْدَةً تَحْمِلُ مَعَهَا وَجَعًا بَاتَ رَفِيْقَ أَيَّامِهِ. وَلَكِنْ مَا إِنْ تَتَحَسَّسُ ذَاكَ الْحَزْنَ، حَتَّى تَشْعُرَ بَعْدَهُ بِأَنَّ هُنَاكَ إِنْحِنَاءً أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ الْعَظِيْمِ، وَإِنْحِنَاءً أَمَامَ إِرَادَتِهِ. وَلَكِي لَا نَطْوِلُ فِي جِدَالِ الصَّمْتِ الْمُخِيْفِ، كَانَ السُّؤَالُ الْأَوَّلُ:

١. مَنْ هُوَ فِرَاسُ صَوْفَانَ؟

هُوَ الْإِبْنُ الثَّلَاثُ مِنْ عَائِلَةٍ تَتَكَوَّنُ مِنْ ١٠ أَوْلَادٍ: ٦ شِبَابٍ وَ ٤ بَنَاتٍ. وَهَمَّ حَسَبُ التَّسْلُسِلِ: أَحْمَدُ - حَسِيْنَ - فِرَاسُ - جَمَالُ - هِشَامُ - عَمَّارُ - رُوَيْدُهُ - أُسْرُ - آثَارُ - مَهْيُ. أَنَا وَالِدُهُ أُدْعَى "مُحَمَّدَ" وَوَالِدَتُهُ اسْمُهَا "زَيْنَةُ مِسْلِمِيَّةٌ". كَانَ ذَكِيًّا وَمَرْضِيًّا.

١. رَاجِعْ مَلْحَقَ الصُّوْرِ الرَّابِعِ، ص ٧٣٧

عندما خرج من المدرسة، دخل المؤسسة العسكرية وخدم فيها ستة أشهر، ثم مدد أربعة أشهر.

٢. طفولته

طفولته حلوة، بالمدرسة ذكيّ. كان عمره ١٠-١١ سنة يخلّص المدرسة ويذهب لمساعدتي في صيد السمك على البحر، كنت أقول له: "يا ابني، ليه جيت؟" فيجاوبني: "ماعليك، لا تعتل همّ الدراسه". كذلك خلال خدمته العسكريّة. هوايته البحر. ويتميّز بأنّه خدوم، لا يعاكسني، الناس كلّهم يحبّونه حتّى رفاقؤه. لم يكن يسمح لأحد أن ينزعج منه. ولا يزال أصدقائه حتّى اليوم يحضرون صوراً له على الكومبيوتر، ويحضرونها لي. محبوب، معاملته حلوة مع العائلة.

٣. كيف عاش عمر المراهقة؟

"كان رايق"، سبحان الله، يقولون الشاب التايب حبيب الله، وهذه هي صفاته المعروف بها في المنطقة. كلّ من تسأل عنه بالمنطقة يقول لك ذلك، كان لديه الكثير من الأصدقاء خصوصاً آل عيد، فيذهب إليهم في المنزل ومنه إلى الخدمة.

٤. كيف كان في المدرسة؟ أين تعلّم؟

كان في المدرسة ذكيّاً وناجحاً. كان يتابع دروسه المدرسيّة في مدرسة المقاصد حتّى الصفّ الخامس، بعدها انتقل إلى مدرسة

السلام حيث نال شهادة الرابع متوسّط (Brevet)، بعد ذلك دخل الجيش وقضى مدّة الخدمة الإلزاميّة.

٥. كيف كانت حياته الاجتماعيّة؟

كانت لديه صداقات عديدة، وما من أحد اشتكاه في يومٍ من الأيام. يوم العيد تدافق رفاقه وتجمّعوا حول قبره ممّا اضطرّنا إلى التراجع وترك المكان لهم. كانوا يحبّونه، كان عريساً. مرّة ذهبت إلى مركز الجيش في عندقت - عكار، وعندما علموا أنّي والد الشهيد "فِراس" جاء الجميع يسلمون عليّ ويعبرون عن محبّتهم له. فقالوا لي إنّه كان محبوباً.

٦. هل رغب منذ صغره دخول الجيش؟

كنت أتمنّى له أن يكون ضابطاً، هو أو أحد إخوته، وفي الوقت عينه كانت له الرغبة بذلك، فهو يحبّ الحياة العسكريّة.

٧. ما كانت نظرتّه للمؤسّسة العسكريّة؟

كان من المفروض بعد أن يتمّ خدمة العلم أن يتابع دروسه. ثمّ قرّر أن يكمل دراسته من خلال المؤسّسة العسكريّة. كان لديه ذكاء حاد، يجعله مُستغنياً عن أيّ مُساعدة حتّى في المواد التي قد تجعلك تضطرّ أن تجلب مُدرّساً خاصّاً لابنك. ففي الأمور الحسائيّة مثلاً كان قادراً على أن يتمّ أيّ عملية حسائيّة في ذهنه سريعاً ودون استخدام الآلة الحاسبة. رغم قلة درسه، فإنّ ذكاءه

كان يجعله مجتهدًا كفاية في المدرسة وعلامته جيّدة. كنتُ أنظرُ إليه وأقول سبحان الله، وأشعر أنه لن يعيش كثيرًا. حتّى هو نفسه كان لديه ربّما هذا الشعور. كانت خدمته في عندقت، وكان يطلب إليّ أن أوافق على مجيئه إلى العبدة، إذ رغِبَ بوجوده على الحاجز في بلدة العبدة. فرفضت طلبه هذا، راجياً منه أن يبقى في خدمته حيث هو.

٨. ما كان رأيه بأحزاب اليوم؟

في الفترة الأخيرة، لم نكن نتكلّم عن ذلك، كما وأنّه كان بعيداً عن الفكر الحزبيّ كلياً. ومضت فترة لم يعد أحد يأتي فيها على ذكر الأحزاب، ولم يعد لها هذا الثقل الذي كانت تتغنّى به في الماضي. أمّا الآن فأنا أنصح كلّ من لديه أولاد أو حتّى أقارب أن يُبعدَهُم عن الأحزاب، فهي لا تجلب سوى الدمار والخراب.

٩. أين كانت خدمته العسكريّة وكيف تلقّى خبرَ استِدعائه إلى الحرب؟

كان في مركز عندقت، وكان مآذوناً نهار السبت، وقال لي إنّه نُقِلَ إلى شدرا، وأنّ هذه المآذونيّة سيأخذ منها ثلاث ساعات بغية أن يحضّر بعض الصُور المطلوبة منه ليشبّت في الجيش. في اليوم التالي، صباح الأحد، كانت المعركة مندلعة، فاتّصل بالقيادة للتأكّد من الحجز العسكريّ. فأخبرني أنّهم طلبوا منه

البقاء في المنزل إلى أن يَتِمَّ استدعاؤه. وذهب عند رفاقه آل عيد. بعد قليل رأيته آتياً إلى المنزل يستعدُّ للذهاب والالتحاق بالخدمة. فاستغربتُ تصرفه فقلت له: "يا ابني، ما اتَّصلوا فيك، ولو اتَّصلوا لكان طلبوا رقمي"، فقال لي: "الأ! أنا رجعت اتَّصلت وطلبوا مِنِّي التَّحِقْ". فطلبت منه أن يجهزَ نَفْسَه ويلبس ثيابه لكي أوصله أنا وأخي "سعيد". ولما وصلنا تلاقينا بالضابط وقال له أن يلتحق بالثكنة أولاً. وعند وصولنا إلى حلبا، رأى "البوسطة"، فطلب إليَّ أن أنزله ليذهب بها. ورغبةً مِنِّي أن أطمئنَّ عليه وأوصله بنفسي إلى المركز، رجوته أن أصطحبه، فقال لي: "الطريق ممَّنْ أمين، رُجاعِ انت، وأنا بروح بالبوسطة". وفي اليوم الثاني، قبل الظهر، أخبروني أن "فiras" موجود في مشتل الزراعة. ذهبت إليه فلم أتمكَّن من رؤيته. أمَّا إخوته فقد رأوه، إذ إنَّهم كانوا يساعدون الجيش، فالجميع هنا في هذه المنطقة عمَّدوا إلى دعم الجيش اللبنانيِّ والمخاربة معه إلى أن يأتي الدعم الكافي، ويحضر المغاوير. غادروا من عنده حوالي الساعة الثامنة مساءً. وفي الساعة الثالثة صباحاً طلبتني على الهاتف أحد أقربائنا قائلاً إنَّ فرداً من عائلة صوفان قد انصاب في المعركة وهو بحاجة إلى الدم، ولكنَّه لم يعلم إن كان ابنه أو ابني. فقلتُ له على الفور إنَّه "فiras". أيقظتُ إخوته وعمه وذهبنا إلى الطوارئ فقالوا لنا إنَّه في غرفة العمليات. فلمَّحتُ لهم قائلاً: "طلبوا منَّا دمَّ لأنو منصاب، فإذا كان بغرفة العمليات، خدني لعندو حتى إسحبو دمَّ".

هناك كان يوجد رجل دركيّ يعرف أخي سعيد، فأخذه وأخبره أنّ "فِرَاس" قد استشهد. فقلتُ له: "لا تُكذِّب عليّ، إذا كان بغرفة العملياتِ خدني حتى إسحب دمّ، وإذا كان استشهد نزلني حتى شوفو". المهمّ أنّهم أدخلونا لئراهِ حوالي الساعة الثالثة والرّبع تقريباً، إذ كان موضوعاً في البرّاد. "منوحّد الله، منصّليّ ع النبي". كانت والدته بصحبتني، رغبتُ أن أعيدها إلى المنزل، ولكنّها أرادت رؤيته.

١٠. كيف تقبلتم خبر الاستشهاد؟

الحمد لله والشكر لله. أنا أوّمن بالقضاء والقدر، وربّ العالمين هو الذي منّحني إياه وهو الذي أخذه. وأحمدُ الله أنه أخذه في طريق مُشرّف. صدّقني لا تزال الحسرة تمسّ قلبي، ولكن لا يمكن إلا القول: "الحمد لله". فابني كان يدافع عن أرضه وشعبه.

١١. هل كان "فِرَاس" مُستعدّاً للحرب؟

إنّ رفاقه في الخدمة الذين هم أدرك منّي للأمر، أخبروني أنه عادةً حين تتقدّم الملائة على الحاجز، يجب على العسكري أن يكون خَلْفَهَا، بينما "فِرَاس" كان يمشي إلى جانبها. فقد كان متحمّساً بسبب موت العديد من رفاقه. هذه كانت حال كلّ العسكّر، حتى إنّ الجنديّ المُصاب، كان رغم إصابته يعود إلى خطّ المواجهة للقيام بواجبه الوطنيّ.

١٢. بعد الاستشهاد هل زاركم أحد رفقاءه العسكريين؟ وهل أخبرك عن أجواء المعركة هناك؟

نعم، كلهم يخبرون بأن المعركة كانت قاسية جداً. فالأشخاص المواجهون للجيش كانوا محترفين وليسوا مجرد هواة. وأتصور أن الجيش لم يكن مُستعداً لتلك المواجهة. ولا تدعوهم بـ"فتح الإسلام"، بل بفتح الشياطين. فالإسلام لا يقول لي أن أقتل أيّاً كان. الله يقول لي أن أدافع عن نفسي في حال اعتدى عليّ أحد ما.

١٣. هل حدثك يوماً إن كان يشعر أنه سيُسْتَشْهِد؟

لا! لم يُخبرني شيئاً. ولكن أحد رفاقه في الجيش أخبرني أن "فِراس" طلب إليه، في حال استشهد أن يرفع له السلاح ويضرب له التحية العسكرية. ويوم الدفن طلب هذا الجندي من الضابط أن يسمح له بالحضور، فأتى وضرب له التحية على المدفن وقدم له السلاح.

١٤. حسين صوفان وأحمد صوفان شقيقا الشهيد يخبراننا عن اللحظات الأخيرة التي قضياها مع "فِراس" في أرض المعركة:

حسين: أنا أخوه كنتُ معه عند مُفترق العبدة حيث كان الوضع في غاية الخطورة فقد كانت عمليات التقيص تأتي من المحيّم مُستهدفةً العبدة. أنا وأخي الصغير كُنّا موجودين معه،

وهو خائف علينا كثيراً، فطلب مِنَّا العَوْدَةَ إلى المنزل.

غَطَّى وَجْهَهُ الغبار و"الشحطار". وسألته: "يا أخي، بَدَّكَ شيء، ناقصك شيء، بجبلك شيء حتى تاكل؟"، فكانَ جوابه أن كلَّ شيء مؤمَّن. فَهَمَّ كانوا بالكاد يأكلون وقوفاً، فالوضع وضع حرب، وأحياناً لا يكون هناك وقت للراحة. لَقَدْ أَصَرَ مراراً على رَحيلي أنا وأخيه، وقال: "سَلِّملي على إِمِّي كثير".

أحمد: حينَ ذهبت إلى رؤيته في المعركة وجدته فرحاً غير خائف، فطلبتُ إِلَيْهِ أَنْ يَحِيدَ عَنِ الخَطَرِ قليلاً. فكانَ دائماً يَرْفُضُ طَلْبِي، وينصَحني أن أعود إلى المنزل. هذه كانت المرة الأخيرة التي رأيتُه فيها.

١٥. ماذا تقول (والد الشهيد) عن مخيم نهر البارد؟

المخيم محصن جداً. كان هناك الكثير من الملاجئ وطرقات تحت الأرض ونحن نعرف ذلك من وراء العمال الذين كانوا يعملون هناك داخل المخيم. والمخيم خط أحمر لا أحد يتجرأ الدخول إليه. الفلسطينيون ساهموا أيضاً في المعركة فهم الذين استقبلوا الإرهابيين وحاربوا إلى جانبهم، إذ لم يُحارب فقط ٥٠٠ مقاتل، بل بلغ عددهم ما يُقارب العشرة آلاف مقاتل.

أنا أُحِبُّ كلَّ الجيش اللبناني الذي قاتل داخل المخيم واستشهد، لأنَّه فعل ذلك ببطولة. السلاح الذي كان في حوزة الجيش لم يكن بنفس قوَّة وفعاليَّة السلاح الموجود مع الطرف

المُعادي الذي فاقهم عددًا وعتادًا.

لَمْ نَكُنْ يَوْمًا مع الفلسطينيين أصدقاء متلاحمين مع بعض، فقد وقعت مشاكل عديدة في ما بيننا. ولكن نظرًا لكبر بلدة "بنين" وكثافة سكانها فهم يتجنبونها. فالدّم في هذه البلدة غالي الثمن.

١٦. ما هي ظروف حياتكم بعدَ استِشهاد "فِراس"؟

ظروفنا صعبة قليلاً. نفتقدُ له، نشتاق لوجوده بيننا. حينَ تجتمع العائلة نشعر بفراغٍ تركه "فِراس" بعد استِشهاده. في رمضان كان يفطر معنا كلَّ يوم، حتّى وإن كان في الخِدمة، يحضر بإذن الضابط ليكون معنا على الإفطار.

١٧. كوالد شهيد، ماذا تقول للسياسيين في البلد؟

من المؤكّد أنّ جميع السياسيين لديهم أبناء؛ لذا أطلب منهم أن يفكروا بآبائهم قبل أن يفكروا بالشهداء. فآبائهم ليس أعلى من إبنِي وإبني ليس أعلى من آبائهم. مثلما هم لديهم أبناء كذلك هي الحال بالنسبة إلينا. فليفكروا بنا ولا يهملونا، فنحن أيضًا أبناء بشر. وليعملوا لصالح الوطن بشفافية ومحبة. فهم لو أرادوا حقًا مصلحة الوطن لحققوها خلال أربع وعشرين ساعة. وليفهموا أنّنا لسنا نكره في هذا البلد. وبدل أن يرسلوا أولادهم إلى فرنسا وغيرها من دُول العالم، فليبقوهم في لبنان ليدافعوا عن الوطن. نتمنى أن لا يبيعونا، نحن نريد أن نعيش في هذا

الوطن باطمئنان وحرية. نريد أن نعيش بسلام، ونريدهم أن يعملوا لشعبهم. فيجب أن نكون تحت الشرعية الدولية.

١٨. ماذا تقول للشباب اللبناني بالنسبة إلى الأحزاب؟

أنصح كل شابٍ لبنانيٍّ ألا ينضمَّ إلى حزب، لأنَّ الأحزاب آخرتها دمار، ونحن لا نريد لهذا البلد أن يُدمَّر. أنا عشت اختبار الأحزاب في حياتي، وها أنا الآن ضدَّ الأحزاب، والجيش هو حامي الوطن وهو المؤسسة الشرعية الوحيدة.

١٩. هل تفتخر أن تكون والد شهيد؟

نعم أفخر، لأنَّ ابني دافع عن وطنه، وأنا أب لكلِّ شهيد.

٢٠. هل كان "فiras" ليفتخر كونه شهيداً؟

نعم، وإلا لما كان منذ البداية أصراً على الاتصال بمركزه للالتحاق بالخدمة. لم يهرب من مسؤولية الدفاع عن وطنه.

٢١. نتيجة ما نراه الآن في لبنان، هل تعتقد أن استشهاد

فiras راح سدى؟

نحن نتمنى أن يفكروا بالشهداء ولا يضيّعوا البلد، ونريد أن يكون البلد مستقلاً وأن يعملوا بطريقة صحيحة وشفافة؛ فالله يراهم. نتمنى أن لا يكون دمهم رخيصاً لأننا نريد لبنان حُرّاً.

٢٢. كيف اهتَمَّت بكم المؤسسة العسكرية؟

قامت بواجبها. أنا خَسِرْتُ وَلَدًا وهذا لا يُعَوِّض. أنا أفتخر أن ابني شهيد؛ فالحبّ والذي يفعل الخير ألا نفتخر به؟ يكفي أن تقول شهيد الشرف، فهذه الكلمة تُلَخِّصُ كُلَّ شيء. هذه كانت حياته، ربّ العالمين اختار له هذا، ونحن نسلّم لإرادة الله ونحمده تعالى. هذا ابني "أحمد" كان عَسْكَرِيًّا وترك قبل المعركة بعِشرين يَوْمًا، والآن يريد أن يدخل من جديد. وأنا شخصيًّا طلبت من قائد الجيش أن يسمح له بالانضمام مجددًا إلى المؤسسة العسكرية. وكنت قد طلبتُ أن آتي به إلى المنطقة ليبقى قريبًا بحكم أن والد الشهيد يحقّ له أن يطلب ذلك، إلا أن "أحمد" أراد أن ينضمَّ إلى المغاوير البحريّة. وقد تمَّ تقديم الطلب في الوزارة على هذا الأساس.

٢٣. "أحمد صوفان" يخبرنا عن رغبته في الانضمام

مُجَدِّدًا إِلَى الْمَوْسَسَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ

سأدخل الجيش من جديد لأُكْمِلَ مَسِيرَةَ أُخِي الذي استشهد، فأنا سأرفع رأسي مُفْتَخِرًا باستشهاد أخي، وسأقوم بما كان ليقوم به ألا وهو الدفاع عن الوطن وعن المؤسسة العسكرية.

٢٤. ماذا يقولُ والدُ الشهيد "فِرَاس" لباقي أهالي

الشهداء؟

أقول أن يحمّدوا الله ويظلّوا فخورين بأولادهم لأنّهم ماتوا دفاعاً عن الوطن.

٢٥. ماذا تقول لفراس؟

أطلب من الله أن يسكنه فسيح جنّاته.

٢٦. الكلمة الأخيرة لـ "حسين صوفان" يُخبر فيها عن

شقيقه "فِرَاس"

فِرَاس مرح ونشيط ومهضوم، كنت أُمزح معه كثيراً. له أصدقاء كثر يُحبُّونه ويحبُّهم. بالنسبة إليّ كان أخي وصديقي. خلال شهر رمضان أحسستُ بشيءٍ ناقصٍ بيننا، وكنتُ أنزعج حين كنّا نتناول وجبة الإفطار بأكلة يحبّها، إذ يأتي إليّ ذاكرتي. صحيح أنّهُ استشهد، ولكنّه لا يزال بيننا حيّاً فينا.

أطلب من الله أن يرحمه ويرحم جميع الشهداء، وأصليّ أن لا يكون دمهم قد هدر سدى.

الشهيد يوسف حسين شومان^١

يومَ قَصَدْنَا مَنْزِلَ الشَّهِيدِ "يوسف شومان"، كَانَ هَدَفْنَا الْقِيَامَ بِحَدِيثِ إِنْسَانِيٍّ، قَدْ يَكُونُ مَلِيئًا بِالْعَاطِفَةِ، وَلَكِنَّهُ صَرِيحٌ وَوَاقِعِيٌّ. وَلَا نُنْكِرُ أَنَّهُ اعْتَرَانَا، وَلَوْ لِلْحِظَاتِ، ذَلِكَ الشُّعُورَ بِالِاخْتِلَافِ: إِخْتِلَافِ فِي الْعَادَاتِ وَالْمَفَاهِيمِ الدِّينِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ. وَلَكِنْ مَا وَجَدْنَاهُ لَدَى تِلْكَ الْعَائِلَةِ، هُوَ رُوحٌ شَرْقِيَّةٌ مُضِيافَةٌ مُحَبَّةٌ مُنْفَتِحَةٌ.

إِسْتَقْبَلُونَا، وَكَرَّمُونَا تَكْرِيمَ الْأَحْبَاءِ وَالشُّرَفَاءِ. وَمُقَابِلِ هَذَا الْوَاقِعِ تَبَدَّدَ الْقَلْقُ، وَاضْمَحَلَّ الْخَوْفُ فِي جَوْ عَاطِفَةٍ غَمَرَتْنَا فَعَلَّمَتْنَا مَعْنَى الْعَطَاءِ، مَعْنَى الْحُبِّ بِلا حُدُودٍ.

قَالُوا إِنَّهُمْ فَخُورُونَ بِوُجُودِنَا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّهُمْ يَعْتَزُّونَ بِهَذِهِ الْمُقَابَلَةِ إِذْ إِنَّهَا كَانَتْ الْأُولَى مَعَهُمْ. وَهَذَا شَرَفٌ لَنَا. وَإِذَا بِهِمْ مُنْدَفِعِينَ بِوُجُودِنَا فِي دَارِهِمْ، يُعْبِرُونَ عَن هَوَاجِسِهِمْ، يُفْصِحُونَ عَن مَشَاعِرِهِمْ، وَيَكْشِحُونَ الضَّبَابَ عَن مَشَاعِرِ حُزْنٍ بَاتَتْ خُبْرَهُمُ الْيَوْمِيَّ.

وَإِذَا بِنَا نَدَخُلُ خِدْرَ مَشَاعِرِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ عَبْرَ أَسْئَلَةٍ كَانَ لَا

١. راجع ملحق الصُّورِ الخَامِسِ، ص. ٢٤٠.

بُدَّ مِنْهَا لِتَوْجِيهِ أَشْرَعَةَ الْحَدِيثِ.

١. تعريف عن "يوسف شومان"؟

إِسْمُهُ يَوْسُفُ إِبْرَاهِيمَ شُومَانَ. مَوْلِيدُ ١٩٧٠. إِسْمُ الْأُمِّ "صَبْحِيَّةُ شُومَانَ" وَالْأَبُ "حَسِينُ شُومَانَ". كَانَ يَنْتَمِي إِلَى لُؤَاءِ الْمُشَاةِ الثَّامِنِ، كَتَبَتْهُ ٨٣. قَبْلَ اسْتِشْهَادِهِ بِأَسْبُوعَيْنِ مَنَحُوهُ رَتْبَةَ رَقِيبٍ، وَعِنْدَ وَفَاتِهِ رَفَّوهُ دَرَجَةَ أُخْرَى فَأَصْبَحَ "رَقِيبَ أَوَّلٍ". آخِرَ مَرْكَزٍ لَخْدْمَتِهِ كَانَ فِي تَلِّ الزَّعْتَرِ.

٢. مَنْ هُوَ "يُوسُفُ" الزَّوْجُ؟

كَانَ يَوْسُفُ كَرِيمًا جَدًّا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، مَعَامَلَتُهُ لِي مِمْتَازَةً. كُنْتُ أَفْتَقِدُ لَهُ كَثِيرًا حِينَ يَكُونُ فِي الْخِدْمَةِ؛ لِذَا كَلَّمَا غَادَرَ الْمَنْزَلَ كُنْتُ أَبْكِي، فَكَانَ يَقُولُ لِي: "حَسْبِي كَأَنِّي مَعَكَ، مَا تَخْلِينِي حَسَّ إِنَّكَ عَمَّ تَبْكِي". كُنْتُ أَحْسَبُ لَهُ الْوَقْتَ بِالدَّقِيقَةِ مَنْتَظِرَةً عَوْدَتَهُ حَتَّى أَرَاهُ. وَالَّذِي أَرْزَعَجَنِي بِالْأَكْثَرِ هُوَ أَنَّهُ يَوْمَ اسْتِشْهَدَ كَانَ الْيَوْمَ الْأَخِيرَ فِي خِدْمَتِهِ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَ مَفْرُوضًا أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَنْزَلِ.

٣. مَاذَا عَنِ "يُوسُفُ" الْأَبُ؟

مِنْ نَاحِيَةِ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِتَلْبِيَةِ جَمِيعِ مَطَالِبِ الْأَوْلَادِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى كَانَ يُوَجِّهُهُمْ تَوْجِيهًا صَحِيحًا، يَدْعُوهُمْ لِلتَّهْذِيبِ، كَانَ يَعْلَمُهُمْ كُلَّ مَا هُوَ صَالِحٌ. كَانَ يَرِيدُهُمْ دَائِمًا أَنْ

يكونوا الأفضّل. كان حنوناً جدّاً عليهم، فمثلاً إذا انحرّ ولدٌ ما كان ليتمكّن من النوم. في أحدِ المرّات كان ابننا "عبّاس" محروراً، فانطلقَ به إلى المُستشفى عند الساعة الثالثة فجراً تحت الثلج. في الخدمة كانوا يُمازحونه قائلين "شو ما حدا عندو ولاد متلك"، بقدر ما كان يحبّهم.

٤. كيف تصفين حياته الاجتماعيّة؟

كونه عسكرياً كان يأتي إلى المنزل تعباً أحياناً، فكان يزور أقرباءه وأصدقاءه. ما زاد على ذلك فهو كان في كتيبة احتياط، إذ كلّ ما وقع حادث أو اغتيال أو أي شيء أمنيّ كانوا يستدعونّه، وكان يُلبّي النداء حتّى ولو كان لا يكاد أن وصل. فكنتُ أقول له: "فلن إنك ما بتقدّر تروح، تعبّان ما بتقدّر تسوق" وكان يجاوبني: "هيدا واجبي". لم يكن ليكذب على أحد. عندما كان يخدم في تل الزعتر كنتُ أحياناً أطلبُ إليه أن يأتي قليلاً إلى المنزل بحيث إنّ المسافة قريبة. فلم يكن ليفعل ما أنا طالبة منه، مُردّداً: "يمكن غيري يعمل هيك، أمّا أنا ما بقدر، بيين عليّ".

٥. ما كانت نظرته إلى المؤسّسة العسكريّة؟

حين كان في المعركة اشترى بدلة عسكريّة جديدة. فقلتُ له: "يوسف! معقول آخذ معك هودي"، فقال لي: "قولي انشالله ننصّر، ورح البسهن عالانتصار".

٦. بماذا كنت تفكرين حين كان يُطلب إليه التواجد في الأماكن الخطرة أمنياً؟

كنتُ أدعو له دائماً؛ فمرةً انطلقَ ليلاً من المنزل، يوم استشهد بيار الجميل؛ كانت ثيابه لا تزال رطبةً في الخارج، وعلى عجلته بغية تلبية النداء أحضرت له هذه الثياب مع العلم أنه يملك خيارات غيرها. كان همُّه تلبيةً واجب الخدمة أيّاً كانت الظروف.

حين أدركتُ أنه في نهر البارد كنت مُنهاراً كلياً، والآن أنا أقوى مما كنتُ عليه يوم كان في المعركة. فكنتُ أدعوه أن يهربَ بدلَ أن يموتَ هناك، ولكن كان جوابه لي: "بهالوضع، كيف بدّي إترك الجيش، أنا مّتي جبان!" لا أدري؛ كنتُ نوعاً ما أشعر أنه سيُستشهد، خصوصاً حين كان يأتي المنزل يائساً، ينظرُ إلى الأولاد ولا خلق له على أحد. كان عكس طبعه. وهذا مفاده أنه رأى رفاقه يُستشهدون. ومع كلِّ هذا كان يعود إلى الخدمة بجديّة وقوّة وإصرار.

٧. هل كانت لديه أقوال في الوطنية أو في الاستشهاد؟

كان يردُّ دائماً: "يَلِّي بيجي من الله ما أحلاه"، إذ كان يعتقد أنه لن يحدث إلا ما كتبه الله.

٨. ماذا أخبرك عن الوضع في مخيم نهر البارد؟

كنتُ كلِّما كلّمته أقول له: "يا يوسف مش خايف!" وأبكي.

فيقول لي: "إنتِ قَوَّيْنِي، وإذا أَلله كَاتِبِي بَدِّي إِسْتَشْهِد. ما تقولي قَدَّام الولادِ إنو في قواص، ولا تَبِكِي. أنا هَلَقَ عَمِ إِحْكِيكِي، يمكن بعدان لأ".

٩. هل كان كل شيءٍ مؤمناً لهم في المعركة؟

كل شيءٍ كان مؤمناً، إلا أن نفسيتهم كانت تعبة. يومَ كان يأتي إلى المنزل، كُنتُ أنظف له ثيابه، وأحاول أن أمسح له "حذاءه العسكري" من التراب، فكان يقول لي: "لا تمسحيه قد ما خبرك إنتِ ما بتعرفي الوضع الأنا فيه".

١٠. ما كان رأيه بالوضع السياسي في لبنان؟

كان يتمنى لو أن المسؤولين يشعرون قليلاً بهذا الشعب، ويمنعون عنه الحروب، فقد تعب الناس من المعارك، ولكي تتمكن الأجيال اللاحقة من العيش بسلام بدون طائفية.

١١. كيف علمتِ بخبر الاستشهاد؟

كان قد أخبرني أنه سيأتي المنزل في اليوم التالي، وطلب مني أن أجهز الأولاد. كان سيغادر الخدمة عند الساعة ١٢ تقريباً ليصل إلى المنزل عند الساعة ٣:٣٠ بعد الظهر. كان مجرد خبر جيئة إلى المنزل يفرحني. أعدت له الطعام الذي يحبّه، أنظف له أركيلته حتى وإن كانت نظيفة. عند الساعة الثالثة كلمته، ثم أخذت الأولاد للتنزه قليلاً على الطريق بهدف أن يمرّ الوقت

ليأتي اليوم التالي ولنستقبل "يوسف". وبينما كنا نتمشى، كان الناس يمرّون من جانبي وينظرون إليّ بطريقة غريبة، وتساءلت عن سبب هذه النظرات. كنتُ ما زلت على الطريق، حين سمعتُ عمّي يقول لزوجته إنّ "يوسف" قد استشهد؛ حينها بدأتُ أصرخ وأبكي، ثمّ تجمّدتُ لبضع دقائق، غير مستوعبة الخبر، إذ كنتُ قد كَلَّمته منذ وقتٍ قليل. كانت الصدمة قوية جدًّا عليّ، وكنتُ أفضلُ لو أنه كان مريضًا. بينما الأولاد بدأوا ييكون وينادون: "يا بابا، إنت جايي لعنا ع بُكرا". لا يزال "علي" حتّى اليوم يسألني: "البابا طلع ع السَمَا؟".

١٢. ماذا تقولين للسياسيين في لبنان؟

أتمنّى أن يأتي فوجٌ سياسيٌ جيّد، فنحن ضحية كلِّ ما يجري. ما ذنبي أنا وأولادي لكي يُستشهد والدهم بهذه الطريقة. أنا أقول إنّ الله كتَبَ له ذلك، ولكنّه كان في قلب النار. فهوّلاء السياسيّون لا تعني لهم الكثير نقطة دمٍ من دماء الشهداء، ولكن بالنسبة إلينا فنحن لا ننسى، ودمهم لا يغيب عن ذهننا.

١٣. ماذا تقولين للشباب اللبناني؟

أتمنّى عليهم أن يكونوا متيقّظين، بعيدين عن الطائفية، مدرّكين أنّ لبنان هو بلدنا جميعًا، مسلم ومسيحي ودرزيّ، سنعيش بعضنا مع بعض، وفي النهاية "في الله هو بي الكل".

١٤. إذا أراد ابنك يوماً الانضمام إلى المؤسسة العسكرية هل تقبلين؟

أوافق طبعاً، إذ إنه ليس أفضل من والده. ونحن جميعاً مُستعدّون لافتداء الوطن.

١٥. كيف هي ظروف حياتكم بعد استشهاد "يوسف"؟

حزن كبير، وأينما كنتُ، في السيارة أو في المنزل أو على الطريق، فالذكريات دائماً في بالي والحرقه دائماً في قلبي. لقد كان "يوسف" كلَّ شيءٍ في حياتي، كان يعاملني كطفلة وزوجة وصديقة ويقول لي: "أنتِ كلَّ شيءٍ بحياتي". لا يزعلني ولا لحظة واحدة، وإن فعل كان من رقة قلبه يقول لي "دمعتك غاليه عليّ، أنا بعتذر إذا زعلتِك".

١٦. هل تفخرين بـ "يوسف" شهيد الوطن؟

نعم، فهذا عزٌّ وفخري ولأولادي طوال عمري. وقد ازدادت معنوياتي مع استشهاده. ولكن في الوقت عينه أبكي على أمورٍ كثيرة تجري في حياتي، متمنيةً لو أنه كان بقربي لما كنتُ تعرّضتُ لكلّ هذه المشاكل. ومن ثمّ أعودُ فأقتنع أن هذا حكم الله علينا.

١٧. هل تعتقدين أن دمه راح سُدى؟

ما يعدّ بني أن زوجي استشهد، ولا يزال البلد على ما كان

عليه. فهم قيد إعادة إعمار نهر البارد، وإعادة إسكان الفلسطينيين فيه، بينما أعتقد شخصياً أن ليس هذا ما يجب أن يكون، أطلب حقاً أن لا يُعاد إعمار ذاك المخيم. وما أشعر به في قلبي يدفعني ربّما إلى تفجير نهر البارد بنفسي إذا رأيتُه عمراً. عندما أسمع الأخبار أشعر بأنني سوف أحطم التلفزيون. ما من أحد ذهب برضى كامل وبسرور تام، والعسكري هو في النهاية مأمور بأن يكون في المعركة حتى يدافع عن وطنه.

١٨. ماذا ستخبرين أولادك عن والدهم عندما يكبرون؟

أن يكونوا قدوةً بين الناس صالحين كما كان والدهم صادقاً وصاحب أخلاق رفيعة. وكان يرّد لي دائماً: "اتركي من حقك إنتِ الربحانة". سأخبرهم عن والدهم ليقبوا يعتزّون بشهادته، فيكونوا أبطالاً مثله لا يهابون شيئاً.

١٩. ماذا تقولين لـ "يوسف"؟

ستبقى حبيبي طوال عمري ولن أنساك أبداً. وهؤلاء أولاده أمانة عندي. وسأسعى جاهدةً أن يكونوا كما كان يتمنى ليفخر بهم حتى وإن كان ميتاً.

وكما كان يطلب دائماً من "عبّاس" أن يكون متعلماً ومهدباً، سأبقى أنا بدوري أرّده على مسامعه حتى اللحظة الأخيرة من حياتي.

لا أتمنى لأحد أن يفقد شخصاً عزيزاً عليه. فأنا ما جئتُ لأعيش وحيدة، بل مع زوجي، ولكن هذا أمر ربي عليّ. أنا أحترق في النهار ألف مرة عندما يسألني إبنني "وين بابا، ليش هوي عندو بابا وأنا ما عندي؟"، وكثرة الأجوبة والتبريرات لا تفيد بشيء.

بعد الانتهاء من الحديث مع زوجة الشهيد السيّدة "نسرین"، التقينا بوالدته السيّدة "صبحية" التي حاولت مع ابنها الإجابة على الأسئلة التي طرحتها عليها.

٢٠. ماذا تقولين لنا عن "يوسف"؟

ماذا سأخبر عنه، فإنني عاجزة حتى عن الكلام. "يوسف" من الشباب الحلوين، يتمنى الخير له ولغيره.

٢١. كوالدة الشهيد، ماذا تقولين للسياسيين والشباب؟

وفقهم الله وأطال أعمارهم. والله لا يجربهم. وإذا كان قد جربهم عساه يكون معهم.

هنا يتدخل الأخ ويُجيب على السؤال قائلاً:

لقد قدمنا دمًا والدمّ غالٍ، ونحن نحسب يوسف عند الله. عسى المسؤولين يسعون إلى تحسين وضع لبنان وتوحيده، فالخلاف في النتيجة لا يؤدي إلا إلى الخراب والدمار وليس فيه مصلحة لأحد. دفع الجيش ثمنًا غاليًا، وقد قلنا لرفاق الشهيد

إننا نرى "يوسف" في عيونهم. الحمل كبير على الجيش، ولكنه هو الوحيد خشبة خلاص هذا البلد، خصوصاً وإن الشعب اللبناني بأكمله انضم والتف حول الجيش الذي واجه مؤامرة خطيرة كادت تقضي على لبنان.

٢٢. ماذا تقولين لـ "يوسف"؟

أتمنى له أن يكون من أهل الله.

يتدخل الابن مجدداً قائلاً: "قوليلهن ما راح رخيص"

فتجيب الوالدة: "راح رخيص يا إمّي، راح رخيص".

الأخ: لم تذهب رخيصاً يا "يوسف"، لأن دمك ودم رفاقك أنقذ لبنان.

٢٣. هل تعتقدين أن موته راح سدى؟

الأم: "الله كبير".

الأخ: كل عسكري هو مشروع شهيد من اللحظة التي قرّر فيها أن يكون جندياً. اليهود ليسوا أعداءنا لأننا نحترم الديانة اليهودية، فعدونا واحد هم الصهاينة، ونحن كنا نفضل أن يُستشهد أمامهم وليس نتيجة طعنة من الظهر. وما رأيناه في نهر البارد هو وجه من وجوه الصهاينة وإن كانوا بتسميات مختلفة. فما دُعي بـ "فتح الإسلام" لا يمت إلى الإسلام بصلة ولا حتى لأي دين من الأديان، لأن الأديان السماوية هي لخدمة البشر،

ورسول الله يقول: "إنما الدين معاملة"، ولكن للأسف أنه تحوّل إلى خنجرٍ يُطعنُ به الإنسان. والعيب ليس في الدين، بل بالأشخاص الذين يدعون أنهم مُتديّنون، من أي طائفة كانوا. "إمّا أخُ لك في الدين، أو نظيرُك في الخلق"؛ من هذا الجانب وجب التعاطي مع الناس، فالقضايا العبادية هي علاقة خاصة تربط الإنسان بالله، فينعكس إيمانه وتطبيقه للدين من خلال تعاطيه مع الناس. فإمّا أن يكون صادقاً، وإمّا أنه يستغلّ علاقته بالله بصورة سيئة. وأولئك الذين فعلوا ما فعلوا في لبنان، القتلّة باسم الدين، فهم مجرمون ولا علاقة لهم بالدين.

على المسؤولين أن يتعاطوا بصدق مع الأمانة الموضوعية بين أيديهم (لبنان)، وأن يتخلّوا عن مصالحهم الشخصية، ويسعوا إلى مصلحة الوطن. في النتيجة، لبنان ليس فقط الطريق والعمار والمشاريع، فهناك أيضاً مصلحة البشر.

في معتقدنا الديني أنّ الذين يموتون في سبيل قضية ما تُغفر كل ذنوبهم.

٢٤. طرّحنا السؤال على أخ الشهيد: هل كنت تفضّل أن يبقى أخوك حياً أم أنّ فخر الشهادة أكبر؟

إنّ الموت هو مصير كل إنسان على الأرض، ولكن للشهادة فخرها، ونحن نفخر بالشهيد وبكل رفاقه الشهداء، لأنهم دافعوا عن قضية شريفة ألا وهي الدفاع عن شرف لبنان

وعرضه، كما حدث مع شهداء المقاومة الذين واجهوا العدو الصهيوني. وإنَّ ديننا يقول: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ شَهِيدًا"، فكيف هي الحال إذا إن كان يموت على يد أناس كفار.

إنَّ الصراع ما بين الخير والشرّ بدأ منذ خَلَقَ اللهُ هذا الكون، مع قايين وهابيل، وذلك الصراع مُستمرٌّ إلى يوم القيامة. الله سبحانه تعالى فَطَرَ الإنسانَ على الخير، فالخير هو إذا من الله، بينما الشرّ من أنفسنا. الله لا يَرْضَى لأحد أن يسير في طريق الشرّ، ولكن الشيطان ضلّلَ الإنسانَ وأغواه وحاده عن السبيل المُستقيم.

٢٥. ماذا تكلمتما أنت والشهيد، عندما التقيتما للمرة الأخيرة؟

كنا تقريباً على تواصلٍ يوميّ. فقبل يومٍ من استشهاده كلّمني على الهاتف. كان لديّ شعورٌ بالانقباض منذ اليوم الأوّل لاندلاع الحرب في مخيم نهر البارد. فكنا دائماً ندعوه إلى الانتباه على نفسه وعلى رفاقه. وكان يجيبني: "قول أله". هذه الكلمة الوحيدة التي كان يُصرُّ عليها كلّما تكلمتُ إليه. الوضع كان صعباً، وإمكانات الجيش كانت محدودة بالنسبة إلى استعداد العدو. ولكن في النهاية هذه إرادة الله عزّ وجلّ.

٢٦. أرادت والدة الشهيد أن تُعطي كلمتها وانطباعها وتعبّر عما لم تستطع أن تقوله في بداية اللقاء، فقالت:

عندما أُصيبَ، أنزلَ ثلاثة طوابق، وقبل أن تخرج روحه كان يردد ياالله ياالله ياالله، ثم قال: "يا عباس" (اسم ابنه)، وفقد روحه. الحمد والشكر لله، فهكذا أراد لنا وهذا ما كتبه هو لنا. آخر مرة أتى فيها المنزل، كنتُ جالسة أنا ووالده، فقلت له أن قد أتى "يوسف". وإذا به يدخل من الباب، ويسلم علينا ويجلس معنا، فقد كان معتاداً أن يقصد منزله أولاً وعائلته وأولاده، ومن ثم يزورنا. وحين وصل كُنّا نتناول الفطور الصباحي، فطلبنا إليه مراراً أن يأكل معنا فمانع ليذهب ويرى أولاده. في اليوم الثاني غادر المنزل، ومد تَرَكَنا انسلخَ قلبي معه، فوقفت مستندةً إلى الحائط كأنني أدركتُ أنني لَنْ أراه ثانيةً. قبل استشهاده بحوالي النصف ساعة ضجّت الضيعة، وبينما والده وأخوه كانا قد ذهبا، جاءت ابنة سلفي تستفقده، إذ كانت تعرف بالخبر وجاءت للتأكد إن كُنّا عرفنا بالخبر أم لا. هذا نصيبنا وهذا ما كتبه الله لنا، الحمد لله على وعده.

تحية وبعد

الأخ شربل يوسف

إليك تحيتي وسلامي، باسم مجلّة "الأمل"، يا أهل شهداء جيشنا الأبطال، وخصوصاً من كان لي الحظ في مقابلتهم شخصياً وجهاً إلى وجه، آملاً أن تكون كلمتي هذه عامرة بالحبّ والصدق وعرقان الجميل العميق.

إلى السيّدة غالية نعيمة، وإلى فهمي وفادي

أنتِ "غالية"! وحياتك حياته غالية! لحظة كنتُ أسير قلقي، أتساءل كيف سأطفّل وأطلبُ منك الكلام، جاءني الجواب مُعظراً بترحيبٍ جعل قلبي استعداداً وشوقاً إلى مُلاقة غالية، يطفح قلبها بالثقة والعنفوان والأهمّ بالإيمان، بالرغم من جرحها الكبير! لقد شرّعت قلبك المملوء حباً كما أمام أخ، وبكيت كما أمام صديق. كلماتك منسوجة بخيوط المحبّة الصادقة، وحديثك يلهج بالوفاء. هنيئاً لأولاد بأمّ هكذا غالية! وهنيئاً لشهيدك البطل ينظر إليك من فوق ويرعاك بعيون ملؤها الثقة أنك أنت أيضاً بطلته في معركة الحياة الصعبة. فكما رفع رأسك، إرفعي رأسه عالياً، يا غالية، وواجهي الحياة بإيمان،

وليكن الإيمان وحده سلاحك.

واحة الأبطال ما كساها الضجر يوماً، فهي تعج دائماً
بشهداء يسكرون من خمرة الوطنية التي تمنحهم نشوة الحياة
الخالدة.

وأنت يا صديقي العزيز "فهمي"، فقد أكّدت لي أن الرجولة
لا تُقاسُ بعدد السنين، فأنت رجلٌ صلبٌ بمحبّتك، قويٌّ
بعاطفتك. وقفت باكراً في باحة الرجولة، بينما تراني أنا أمامك
أحنُّ إلى ملعب الطفولة. لقد أذهلتني بحديثك عن والدك، كمن
يروى قصص الأبطال، وإنها حقاً قصة من قصص البطولة
الصعبة. فهنيئاً لك يا ابن البطل، فاحفظ عينيك دائماً شاخصتين
إلى الهدف، نحو أحلامك لتجعلها حقيقةً يفخرُ بها المستقبل.
وهنيئاً لي بصدقتك دون إذنك، فالمحبة ما اعتادت أن تستأذن
أحدًا.

ولو سُئلتُ عن الضحكة البريئة، لأشرتُ حالاً إليك، أيها
الصغير "فادي"، الكبير بفرحك. في ابتسامتك كل معنى البراءة
والطفولة التي لن تستطيع الأيام الحزينة أن تسرقها منك، ولن
تجروا أن تفعل! خلف ضحكتك البريئة أسرارٌ عبقت بها
الذاكرة لتبقى خالدة حية تتحدّى عوامل الزمان. فالحياة جميلةٌ
بضحكتك، والمستقبلُ مُفعمٌ بالأحلام التي يخشى الحاضرُ أن
يفصحَ عنها لأنها أكبرُ منه.

إلى السيّد الياس والسيّدة حنان الليطاني

حَنَانُ أَنْتِ، وَالْأُمُّ حَنَانٌ. نَظَرْتُكَ الحَزِينَةَ أَسْرَتَنِي، وَسَجَّنتِنِي في جرح قلبك العميق، وَمَنَحْتَنِي الثِّقَةَ بلغة العيونِ الدامِعة حَسْرَةً وشوقاً للابنِ البطلِ الشابِ. فَوَجَدْتَنِي غارقاً في صَمْتِي أَعْرَضَ عَلَيَّ ذَهْنِي لِقَطَاطِ حَيَّةٍ من حَيَاةِ شَابٍّ لَمْ أَلْتَقِهِ يَوْمًا، وَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ لربِّمَا كَانَ عَلَّمَنِي الكَثِيرِ مِمَّا أَجْهَلَ.

يَا أُمَّ مَارُونِ، عَاجِزٌ أَنَا أَمَامَ دَمْعَةٍ لَمْ أَرِ فِيهَا إِلَّا مَرَاةً انعَكَسَتْ فِيهَا نَظْرَاتِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ نَفْسِي. وَأَقُولُ لَكَ رَاجِيًا أَنْ تَنْظُرِي إِلَى عَيْنَيْهِ (صُورَتِهِ) بِنَظْرَاتِ أُمَّ مِلُوها الحَنَانِ، فَهَذَا إِكْرَامٌ لِبَطْلِكَ وَفَخْرٌ لَكَ.

وماذا أقولُ عَن صَمْتِ أَبٍ لَمْ يَقوَ لِسَانُهُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ الكَثِيرِ، وَلَمْ يَقُلْ حَتَّى القَلِيلِ، فَكَانَ صَمْتُهُ صَرَخَةً مَدْوِيَّةً تَجْرَحُ الصَّخَرَ وتُبْكِي الحَجَرَ الأَصَمَّ! قَتَلْتَنِي بِصَمْتِكَ أَيُّهَا الأَبُ الصَّامِتُ كَمَنْ يُحَافِظُ عَلَيَّ وَدِيعةً لَا يَسْلَمُهَا، لَوْ اضْطُرَّ، إِلَّا بِحَيَاتِهِ. أَرَجُوكَ أَنْظُرْ مَعِي إِلَى فَوْقِ، نَحْوِ العُلَى، إِفْتَخِرْ بِشَهِيدٍ أَصْبَحَ خَالِدًا فِي قَلْبِ اللَّهِ وَقَلْبِ لُبْنَانَ، لَا يُضَاهِيهِ الأَرُزُ فِي خُلُودِهِ؛ أَنْظُرِي إِلَى فَوْقِ فَمِنْ هُنَاكَ مَارُونُ يَنْظُرُ إِلَيْكَ، لَا تَكُنْ مُطَاطِئَ الرَأْسِ، بَلْ فَخُورًا كُنْ بِبَطْلِ دَخَلَ التَّارِيخَ مِنْ بَابِهِ العَرِيضِ، فَيَا أبا مَارُونِ أَخْبِرِ الجَمِيعَ مَنْ هُوَ مَارُونُ: مَارُونُ أَحَبُّ لِبْنَانَ فَمَنَحَهُ أَعْلَى مَا لَدَيْهِ، مَنَحَهُ حَيَاتَهُ. وَلَيْسَ حَبٌّ أَعْظَمَ مِنْ حَبٍّ مَنْ بَدَّلَ حَيَاتَهُ لِمَنْ أَحَبَّ! فَيَا لُبْنَانَ، هُوَذَا ابْنُكَ

ذبيحة ترضيك"، فمارون قربانٍ حيٍّ على مذبحِ الوَطْنِيَّةِ
المُقدَّسِ.

إلى السيّد عزيز والسيّدة بديعة أحمد

باسمُ هو، وَيَبْقَى بِاسِمًا إِلَى الأَبَدِ. ملائِكُ يا أُمَّ بِاسِمِ لَمْ يَعدْ
لَكَ فَقطْ، بلْ أَصْبَحَ ملائِكُ الوَطْنِ كلّه، مُتَوَجِّحًا بِإِكْلِيلِ الشَّهادَةِ
الحَمراءِ. دَمَعَتِكَ الغالِيَةِ، امزجِيها بِابْتِسامَةٍ تَلِيقُ بِ"باسِمِ"، تَلِيقُ
بِالملائِكَةِ.

يا أُمَّ الشَّهِيدِ، الشَّهادَةُ عَرشُ أَبديُّ تَرَبَّعَ عَلِيهِ "باسِمُك"، فلا
حزنَ في عَرشِ الشَّهادَةِ، ولا حَسْرَةَ في مَجْدِ الاستِشهادِ.
تَقولِينَ إِنَّهُ كانَ ملائِكًا على الأَرْضِ، فَكَيْفَ تَصِفِينَهُ الآنَ في
السَّماءِ؟ سيِّدَتِي، الموتُ لَيْسَ نِهايَةَ حِياةٍ، بلْ هوَ بابٌ مُفْتوحٌ
على مَجْدِ خالِدِ خلوْدِ اللهِ نَفْسِهِ، تَمَجَّدَ اسْمُهُ!

أمامَكَ وَقَفْتُ حائِراً: أَأَنْتِ مَجْرُوحَةٌ مِنْ فُقدانِ حَبِيبِ غالٍ،
أَمْ أَنْتِ تُخْفِينَ مِشاعِرَكَ خَلْفَ "شرفِ الاستِشهادِ"؟ وَجَدْتُنِي
أَتَساءَلُ: أَيُّهُما أَثْمَنُ، دَمْعَةٌ أَمْ مَفْجوعَةُ القَلْبِ على فُقدانِها
ابنِها، أَمْ فِعْلُ الاستِشهادِ مِنْ أَجْلِ كِرامَةِ الإنسانِ وَحَرِيَّتِهِ؟

ها أَنَا، أَتَسَلَّحُ بِإِيْماني، وَيَأْتِي الجِوابُ أَنَّ الوَطْنَ يَسْتَحِقُّ
دِماءَنَا، فَمِنْهُ هَوِيَّتْنا وَإِلِيهِ انْتِماؤُنا. والأُمَّ عِطاءٌ بِلا حُدودٍ بَلَغَ بِها
أَنْ تُقدِّمَ ابنِها فِداءً للأَرْضِ وَأَبنائِها. أَمَّا أَخلى أَبانا السَّماوي ذاتَهُ

وأرسل ابنه الوحيد ليفتديّ البشرَ مصلوباً على الصليب. "ما من حُبٍّ أعظمَ من أن يبذلَ الإنسانَ نفسه عن أحبائه". "باسمِ" أحبَّ وطنه فبذلَ نفسه من أجله.

ويا أبا باسم، عُنفوانك أدهشني، وحسّسني بأنك تُخبّي خلفه حنانَ أبٍ جرحه بادٍ على مُحيّاه. وإن أصرتَ المفاهيمَ الشرقيّةَ أن تُبقي الرجلَ رجلاً، فلن تقوى سيدي أن تُخفي عوالمَ حسرةٍ سألتَ من عينيك دمعاً خجولةً، ونبضَ بها قلبك صرخةً صامتةً ظهرت راحةً في صوتك حين تتكلّم عن شهيدك الحبيب.

يا أبا باسم، مفهومك للاستشهاد عظيم! لقد خدّمتَ وطنك جندياً صالحاً، فأورثتَ أولادك حبَّ الوطن وشرفَ المواطنة الحقة. أحترمُ عاطفتك مخفيةً، ومبدأكَ الوطني الكبير. نحن أبناء الإيمان، فتسلّح بالإيمان بالله يا "عزيزاً" على قلب الله. فالاستشهادُ أعظم فعل محبّة، والله محبّة!

إلى السيّد محمد صوفان، وإلى حسين وأحمد صوفان

ساعة دخلتُ دارك، يا سيّد الدار، أحسستُ أن "ال فراغ" لا تشفعُ به نعمةُ النسيان؛ فالأحبّاء لا يُنسَوْنَ. أدركتُ عمق الجرح من كلمات هاربة، تختلسُ مفارقَ حديثٍ تكحلل بعنفوانٍ شرقيّ، وضمودٍ لبّانيّ، ونفحةٍ إيمانٍ جعلت من "فِراس" أمثلة

فخري في ذاكرة التاريخ.

قَلَّةُ كَلَامِكَ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنْ حِكْمَةِ الْحَيَاةِ، وَصَدَى لِحَبْرَةِ
عَلَّمْتِكَ الْأَلَمَ وَالْحُبَّ. إِيمَانُكَ جَعَلَكَ تُعْطِي دُونَ حِسَابٍ
فَجَدْتَ بِابْنِكَ لَصُونَ كِرَامَةٍ وَطَنٍ عَرَفَ الْحَقَّ وَالْجَمَالَ وَالْفَنَّ
وَالْقِدَاسَةَ، عَرَفَ الْإِنْسَانَ الْحَيَّ.

وَأَنْتَ يَا عَزِيزِي "حَسِين"، تُحِبُّ أَخَاكَ الشَّهِيدَ. قَرَأْتُ ذَلِكَ
فِي نَاضِرِيكَ، وَفِي إِصْغَائِكَ إِلَى الْحَدِيثِ، وَفِي صَمْتِكَ الَّذِي سَبَقَ
عَاصِفَةَ كَلَامِكَ. كُنْتُ أُسْتَرْقُ النُّظْرَاتِ إِلَيْكَ مُنْتَظِرًا أَنْ تَقُولَ لَنَا
شَيْئًا، حَتَّى قَرَّرْتَ أَنْ تَبُوحَ بَبَعْضِ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِكَ،
وَيَتَمَاجُ بَيْنَ مَشَاعِرِكَ مِنْ شَوْقٍ وَحَيْنٍ إِلَى آخِرِ رَحَلٍ عَنْكَ إِلَى
دِيَارِ الْخُلُودِ.

تَتَكَلَّمُ وَكَأَنَّكَ تُرِيدُ مِنَ الْمَاضِي أَنْ يَبْقَى مُعَلَّقًا بِجِبَالِ الْحَاضِرِ
لِيَنْتَقِلَ بِوِاسِطَتِهَا إِلَى مُسْتَقْبَلٍ لَيْسَ بَعِيدَ. وَلَكِنْ، يَا صَدِيقِي،
الْمَاضِي لَنْ يَعُودَ. تَبْقَى الذِّكْرِيَّاتُ رَفِيقَةَ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.
فَعِشْ فِخْرَكَ بِأَخِيكَ الشَّهِيدَ، مُؤْمِنًا بِالْمُسْتَقْبَلِ وَكُنْ رَجُلَ
الْمُسْتَقْبَلِ. إِنَّ مَصِيرَ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي أَيْدِي "الَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ
يُقَدِّمُوا لِأَجْيَالِ الْغَدِ مُبَرَّرَاتِ الْحَيَاةِ وَالْأَمَلِ".

أَمَّا أَنْتَ يَا "أَحْمَد"، فَلَنْ أَقُولَ لَكَ الْكَثِيرَ، لِأَنَّ قَلَّةَ كَلَامِكَ
قَالَتْ لِي الْأَكْثَرَ. أَجَلٌ، سَتَبْقَى مَرْفُوعَ الْجَبِينِ فَخُورًا بِأَخِيكَ
شَهِيدِ الْوَطَنِ. أَرْسِلْ إِلَيْكَ تَحِيَّةً مِنَ الْقَلْبِ، يَا مَنْ قَرَّرْتَ أَنْ تَسِيرَ

على حُطَى الشَّهِيدِ مُكَمَّلًا مَسِيرَتَهُ فِي الزَّوْدِ عَنِ الْوَطَنِ، جَاعِلًا
مِنْ نَفْسِكَ مَشْرُوعَ شَهَادَةٍ.

إلى السيِّدة نسرين شومان

تُضْحِيْتُكَ، يَا سَيِّدَةَ، كَبِيرَةَ، وَحُبُّكَ أَكْبَرَ، وَلَا يُعْطِي هَذِهِ
التَّضْحِيَةَ قِيَمَتَهَا إِلَّا هَذَا الْحُبُّ. حَدِيثُكَ عَنِ الشَّهِيدِ جَعَلَنِي
أَلْتَمِسُ مَعْنَى مَا نَقُولُ: "الْحُبُّ أَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ". الْحُبُّ مِنَّةٌ مِنَ
اللَّهِ جَادَ بِهَا عَلَيْكَ، لِتُعْذِقِي بِدَوْرِكَ بِهَا عَلَيَّ مِنْ حَوْلِكَ.

لَمْ يَكُنْ لِيُوسُفَ "أَنْ يَتَهَرَّبَ يَوْمًا مِنْ مَسْئُولِيَّاتِهِ، وَهَذَا مَا
رَدَّدْتَهُ مَرَارًا، فَافْخَرِي بِهِ شَهِيدًا بَطَلًا تَحَدَّى الْمَوْتَ بِالْمَوْتِ
فَصَارَ خَالِدًا فِي حَيَاةٍ لَا مَوْتَ فِيهَا. وَافْخَرِي بِزَوْجِ أَعْطَاكَ حُبَّهُ
وَحَيَاتَهُ. أَلَا ضَمَدَ "يُوسُفَ" زَوْجُكَ بِدِمَائِهِ جِرَاحَ الْوَطَنِ وَأَعَادَ
إِلَيْهِ الْعَافِيَةَ!

وَحَدَّهُ اللَّهُ يُرِيحُ الْمُعَذِّبِينَ وَيُعْزِّي الْمُحْزُونِينَ! وَحَدَّهُ إِيمَانُكَ
قَادِرٌ أَنْ يَمْنَحَكَ الْمَزِيدَ مِنَ النُّعْمَةِ، وَالْمَزِيدَ مِنَ الْحُبِّ وَالْمَزِيدَ مِنَ
الْخُلُودِ.

وَهُنَا لَا بَدَّ لِي أَنْ أَعْبَرَ عَنْ احْتِرَامِي وَتَقْدِيرِي وَتَعْزِيَّتِي لِجَمِيعِ
أَهْلِي الشَّهِدَاءِ الَّذِينَ شَرَّفُوا وَطَنَهُمْ فِي مَعْرَكَةِ نَهْرِ الْبَارِدِ. وَلَا بَدَّ
لِي أَنْ أَشَارَ كَكُمْ فِي الصَّلَاةِ، لِأَنَّنا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ نَبْقَى فِي شِرَاكَةِ

روحية واحدة ومن هنا وَجَبَتْ علينا الصلاة من أجل شهادتنا،
لِيَبْقُوا بِدَوْرِهِمْ شُهُودًا لَنَا قُرْبَ اللَّهِ.
شهداؤكم في "بيتِ الله". إِنَّهُمْ "في قلبِ الله"!

القسم الثالث

الصليب الأحمر اللبناني

إعداد:

الأب أوغسطين عون
الأخ مارون الفغالي



الصليب الأحمر اللبناني: عطاء بلا حدود^١

الأخ مارون الفغالي

المقدمة

منذ بدء المعارك التي جرت في نهر البارد بين القوى الأمنية والعسكرية اللبنانية، وبين عناصر مسلحة في مدينة طرابلس ومحيط مخيم النهر البارد، والتي امتدت فترتها لحوالي الشهرين، كانت تُعطى التوجيهات للصليب الأحمر اللبناني لأخذ كلّ الاحتياطات اللازمة لمواكبة الأحداث، ولتكثيف الجهود على قدر المسؤوليات الملقاة على المؤسسة ومتطوعيها، لا سيما فرق الإسعاف والطوارئ، وإعطاء أفضل صورة عن أداء المتطوعين.

تعاون الصليب الأحمر اللبناني مع الهلال الأحمر الفلسطيني واللجنة الدولية للصليب الأحمر في عمليات الإغاثة والإخلاء وإدخال الإعانات الإنسانية، ونقل المرضى والجرحى إلى المستشفيات، والمدنيين الذين يعانون من حالات صحيّة صعبة إلى مخارج الخيم.

١. راجع ملحق الصُّور السادس، ص ٢٤٣-٢٤٦

كان هذا باختصار عمل الصليب الأحمر اللبناني الذي واكب أحداث "نهر البارد" الأليمة منذ فجر ٢٠ أيار ٢٠٠٧ حتى النهاية، بذل فيها أقصى جهوده، حتى إنه قدّم للوطن شهيدَيْن في ربيع عمرهما، فامتزجت دماؤهما بأرض أجدادهم، وأرواحهما صعّدت إلى العلى وهي تُرنم: "وَحَبَّه من تُرابِك من كُنوزِ الدني، بَحِبِّك يا لبنان يا وَطَني".

١- تعريف بالصليب الأحمر اللبناني

الصليب الأحمر اللبنانيّ جمعيّة مستقلة تأسّست في ٩ تموز ١٩٤٥. مُعترف بها منذ العام ١٩٤٦ كمؤسسة ذات منفعة عامة، وكفريق مساعد للجهاز الطّبي في الجيش اللبناني. اعترف بها رسمياً من اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر - جنيف سنة ١٩٤٧، وهي إحدى مكونات الحركة العالميّة للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وعضو في الاتّحاد الدوليّ لجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر، وعضو مؤسس في منظمة الأمانة العامّة لجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر العربيّة.

٢- رسالة الصليب الأحمر اللبناني

إنّ لكلّ مؤسسة ذات منفعة عامّة غايةً تصبُّ إليها لتحقق فيها شخصيّتها وهدفها. أمّا غاية الصليب الأحمر اللبناني، فتقوم على بثّ السلام ونشره وخدمة المجتمع وتخفيف آلام الإنسان بتجرّد، ومن دون تمييزٍ عنصريّ أو طبقيّ أو دينيّ أو سياسيّ.

كما يقوم الصليب الأحمر اللبناني بشكل خاصّ على بعض المرافقة الصحيّة في جميع المجالات المنصوص عليها ضمن إتفاقيّات جنيف ولصالح جميع ضحايا الحرب من مدنيّين وعسكريّين. كما أنّ هناك مساعي رامية إلى النهوض بالمستوى الصحيّ والوقاية من الأمراض والتّخفيف من المعاناة عن طريق برامج تأهيليّة وتعاضديّة حسب الاحتياجات الملموسة على الصعيدين المحليّ والوطنيّ. ويتمّ أيضًا انتقاء القوى اللازمة وتدريبهم وتعيينهم لإنجاز الأعمال المعهودة إلى الصليب الأحمر اللبنانيّ. هناك تشجيع على اشتراك الأطفال والناشئة في أنشطة الصليب الأحمر اللبنانيّ. ومن الغايات السامية، نشر المبادئ الأساسيّة للحركة الدوليّة والقانون الدوليّ الإنسانيّ بهدف بثّ السلام والتفاهم والاحترام بين الشعوب والأفراد، لا سيّما الشيوخ والشباب والأطفال.

٣- الواقع الحاليّ للصليب الأحمر اللبنانيّ

يضمّ الصليب الأحمر اللبنانيّ في صفوفه أكثر من ستّة آلاف متطوّع ومتطوّعة، كما يُعتبر الصليب الأحمر اللبنانيّ أكبر منظمة وطنية إنسانيّة في لبنان. فخدماته ونشاطاته متطوّرة، إذ تشمل الإسعاف الأوّليّ، والخدمات الطبيّة، وتعليم الإسعافات الأوّليّة، والتمريض، ونقل الدم وتوزيعه، والإرشادات الصحيّة، وخدمات المعوقين، وبرامج تثقيفيّة للناشئة، وغيرها من الأعمال الإنسانيّة. يُسهم الصليب الأحمر اللبنانيّ في تأمين

عدد كبير من "وحدة دم" كإمدادات دمٍ مطلوبة للمرضى والمصابين. ويتمّ تدريب أكثر من ٣٠.٥٠٠ شخصاً على مهارات إسعافية. كما تتمّ تغطية خدمة الإسعاف الأوّليّ والطوارئ على مدار السنة ٢٤ ساعة / ٢٤ ساعة.

أمّا الإسعافات الأوّليّة فهي تتركز على إسعاف ونقل طارئٍ للمُصابين في حوادث الطرق والجبال والحوادث المنزليّة، وإسعاف أوّليّ لضحايا النوبات القلبيّة، وإسعاف أوّليّ للأطفال في المنازل، وإسعافات أوّليّة لمراكز التزلّج، نقل الجثث وغير ذلك.

أمّا في ما يخصّ الأحداث الأخيرة في "نهر البارد"، فمنذ بدايتها ونظراً للأوضاع الميدانيّة المتلاحقة وارتفاع وتيرتها في كثير من الأوقات فقد تمّ تدعيم فرق الإسعاف والطوارئ في الصليب الأحمر اللبنانيّ بعدد من المُسعفين والسيّارات، وتضاعفت درجة الاستنفار والجهوزيّة إلى أعلى نسبة خصوصاً في مراكز الإسعاف في محافظة الشمال حيث وصلَ عدد المُسعفين المناوبين يومياً إلى ما يقارب ٥٢ مُسعفاً من ٨ مراكز من محافظة الشمال، مدعومين بـ ١٢ سيارة إسعاف مع عدد من السيّارات الصغيرة، تواكبهم غرفة عمليّات، يعملون في الميدان ويقومون بالأعمال الإنسانيّة كلّما توفّرت لهم الظروف الآمنة. كما تمّ وضع ٩٠ مسعفاً و ١٥ سيارة إسعاف أخرى كدعمٍ واحتياطٍ لتكون على جهوزيّة للتدخّل عند الطلب.

٤- المبادئ الأساسية للصلب الأحمر اللبناني

يَسْتَنْدُ الصليب الأحمر اللبنانيّ في كلِّ أعماله وخدماته ونشاطاته إلى المبادئ الأساسية للحركة العالمية للصلب الأحمر والهلال الأحمر.

٤. ١- الإنسانية

إِنبَثَقَت الحركة الدوليّة للصلب الأحمر والهلال الأحمر عَن الرغبة في إِغَاثَة جَرَحِي الحرب بدون تمييز بينهم، وهي تُواصلُ جهودها على الصّعيدين الدوليّ والوطنيّ للوقاية والتخفيف من آلام الإنسان، ولحماية الحياة والصحة وضمن احترام الكرامة الإنسانية وتعزيز التفاهم والتعاون والسلام الدائم بين جميع شعوب العالم.

٤. ٢- عدم التحيز

لا تُمَيِّز الحركة بين القوميات أو الأجناس أو الأديان أو العقائد السياسيّة وهي لا تهدف سوى إلى إزالة معاناة الإنسان وتُعطي الأُولويّة للحالات التي تتطلّب عملاً عاجلاً.

٤. ٣- الحياد

وللاحتفاظ بثقة الجميع تمتنع الحركة عن الاشتراك في أيّ أعمال عدائية أو في مجادلات متعلّقة بالمسائل السياسيّة والدينيّة والعرقية والمذهبيّة.

٤. ٤- الإستقلال

تتمتع الحركة بالإستقلال، ورغم أن الجمعيات الوطنية تعمل كأجهزة مساعدة للسلطات العامة في ما تضطلع به هذه الاخيرة من نشاطات إنسانية، وتخضع للقوانين السارية في بلادها، فإنه يجب أن تحافظ على استقلالها التام حتى تستطيع أن تتصرف بموجب مبادئ الصليب الأحمر والهلال الأحمر في جميع المجالات.

٤. ٥- الخدمة التطوعية

تهدف الحركة إلى توفير الإغاثة التطوعية بدون أن تسعى إلى تحقيق أي ربح مادي أو معنوي.

٤. ٦- الوحدة

لا توجد أكثر من جمعية واحدة فقط للصليب الأحمر والهلال الأحمر في كل بلد ويجب أن تكون خدماتها متاحة للجميع وشاملة لجميع أنحاء البلاد.

٤. ٧- العالمية

تشمل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر العالم أجمع، وتتمتع كل الجمعيات بنفس الوضع في ظلها وتلتزم بنفس المسؤوليات والواجبات بصدد التعاون في ما بينها.

٥- شهداء الصليب الأحمر اللبناني

٢ نيسان ١٩٨١، هذا التاريخ يفتتح قافلة شهداء الصليب الأحمر والهلال الأحمر اللبناني، وحتى الآن تنتهي القافلة بتاريخ ١١ حزيران ٢٠٠٧. ستّ وعشرون سنة مرّت، ستّ وعشرون مرّة أحيّا الصليب الأحمر والهلال الأحمر اللبناني ذكرى شهداء له. خمسة عشر شهيداً بذلوا دمهم في سبيل الإنسانية وخدمة الآخرين. وإنّ الذكرى، وإن كانت تمر سنوياً ولها في قلبنا مكانة مميّزة وطعم مرّ، إنّما نحييها لنستذكر شهداءنا ونصبرّ قلبنا وقلوب الأهل المحيّن على مدى ٢٦ عاماً.

٦- تحية إلى شهيدَي نهر البارد

قضايا العشرين يوماً الأخيرة من حياتهما يسعفان الجرحى ويساعدان أهالي مخيم "نهر البارد" في نزوحهم ونقل مرضاهم والجرحى؛ بعد سنوات طويلة من التطوّع والعمل الإنسانيّ الميدانيّ، طوى بولس جوزف معماري وهيثم ميشال سليمان سني شبابهما وورد العمر ورَحلاً وهما في الميدان الذي أحياه. فإثر قذيفة أصابتها وهما يقومان بأعمال الإغاثة كعادتهما، استشهد بولس وهيثم لينضمّا إلى قافلة شهداء الواجب الإنسانيّ الذين سقطوا في صفوف الصليب الأحمر اللبناني في خلال أكثر من عدوان أو هزة أمنية تعرّض لها لبنان.

فاضت منازل عكار بالدموع والغضب وهي تودّع شأبيها

الذين استشهدوا على تخوم مخيم "نهر البارد"، شهيد الصليب الأحمر اللبناني المسعفين "بولس معماري" من بلدة الشيخ محمد رئيس مركز حلبا، و"هيثم سليمان" من بلدة جديدة، الجومة.

واحتفلَ بالصلاة لراحة نفسيهما بمواكب جنازية حاشدة تدفقت فيها المشاعر وعلا فيها التصفيق من الجميع مع الزغاريد، ورُشَّت الورد والأرز في وداعهما، وأحاط بنعشيهما زملاؤهما والمسؤولون في الصليب الأحمر اللبناني من كل لبنان.

في بلدة الشيخ محمد، استقبل نعش الشهيد معماري استقبال الأبطال عند مدخل البلدة حيث ارتفعت الزغاريد وأطلقت المفرقات النارية، واصطفت النسوة على طول الطريق من مدخل البلدة وحتى منزل الشهيد، وسط صيحات الغضب وإنهمار الدموع من الزملاء والأصدقاء.

في بلدة جديدة الجومة أقيم عرس إحتفالي في استقبال الشهيد هيثم سليمان وسط الزغاريد ونثر الورد والأرز، فيما حملت والدته صورته وسارت مع والده ميشال متكئين على الأصدقاء أمام نعش ابنهما الشاب إلى مثواه الأخير.

حديث مع عائلة الشهيد هيثم سليمان^١

في طريقنا إلى حلبا، منزل الشهيد "هيثم سليمان"، اتكلنا على الله ودخلنا. فاستقبلنا والده ووالدته وشقيقه الصغير، وقد تغيب عن المقابلة شقيقه الثاني وشقيقته.

١. من هو هيثم؟

والدته: إنني في صدد تأليف كتيّب عن حياة المرحوم "هيثم". ماذا أقول لك عن "هيثم"؟ "هيثم"، لو لم يكن عاقلاً ومهدّباً ولديه إيمان بالله، لما دخل مؤسّسة إنسانية. هيثم عاقلٌ وملاك، أنا أمّه، ماذا تريدني أن أقول لك عنه! لكن كلّ العالم يشهد أنّه ملاك. لا كذب لديه ولا احتيال. لو كان لديه مراوغة في العمل، لما كان اندفع هذا الاندفاع الذي أودى بحياته. لم يرفع صوته يوماً. إذا تخاصم يوماً مع رفاقه، ما كان يردّ عليهم.

والده: كلّ ما نقوله عن "هيثم"، شهادات مطعون بها لأننا أهله. فإذا أردتم أن تعرفوا شيئاً عن أطباعه وأخلاقه، تستطيعون أن تأخذوها من رفاقه.

الوالدة: "أنا بعرفُ إبني وبعرفُ شو مرّبايي". إذا دخلتَ غرفة نومه، ترى صورة العذراء مريم فوق سريره. في خزائنه صور

١. راجع ملحق الصّور السادس، ص ٢٤٧

القديسين. في محفظته أيقونة للمسيح، عثرنا عليها ساعة استشهاده. هذا "هيثم" التقى، الذي ما نظر يوماً في وجه أمه أو أبيه. كان يحب إخوته كثيراً.

شقيقه: منذ صغري، كنّا نذهب معاً إلى المدرسة. كان مقرباً من الجميع، وصديقاً حميماً للجميع، لكن هيثم كان كتوماً. كل ما كان يضايقه، كان يخبئه في قلبه، ما كان يوح بما يزعجه. لم يكن لديه ردّة فعل تجاه من يخطأ بحقه. أذكر أنّي عندما كنت صغيراً، كنت رفيقاً لهيثم، نبقى معاً في البيت.

والده: الذي لفت انتباهي، أنّي قد نهيتّه عن التدخين. شعرت يوماً أنه يريد أن يدخن، فقلت له: "يا إبني التدخين بيضر". لم أره يوماً يدخن سيجارة أمامي. أمّا بالنسبة إلى عمله، أميناً له، حتّى لأهله ما كان يقول شيئاً عن عمله.

والدته: عندما كان صغيراً، كان يلعب مع شقيقه. كان هيثم يركض مع أخيه حول البيت، ويلعب دور الإسعاف حتّى إنه كان يصدر منه صوت "زّمور الخطر". وظلّت هذه الفكرة في رأسه، حتّى أصبح عمره عشرين سنة، ودخل إلى مؤسّسة الصليب الأحمر.

٢. كيف كان في المدرسة؟ أين تتعلّم؟

والدته: كان هيثم عاقلاً في المدرسة، لم يكن متفوّقاً. كان محبوباً من جميع أساتذته. كان يتعلّم في المدرسة الوطنيّة الأرثوذكسيّة. عندما كانت المدرسة تنظّم احتفالاً لطلابها،

كان هيثم يُختار ليمثّل دور العريس، للطفاته. حين نجح بالـ "Brevet"، كانت هديّته التي قدّمها له أبوه، سفرة إلى فرنسا لمدة شهر. كان بارعاً في الرسم، يحب أن يرسم، فنال مرّة شهادة "فابريانو" لأنّه رسم صورة المطران بندلي، فسافر إلى إيطاليا. مرّة مزّقت له صورة من صورهِ القيّمة، وكانت هذه الصورة تخوّله أن يربح ويسافر إلى إيطاليا. وعندما علم أنّي مزّقت له الصورة من غير إرادة وكان خطأ منّي، فأخذ يبكي. لكنّ والده عوض عن ذلك بسفرة إلى فرنسا. وأنا سعيدة لأنّه سافر ولو مرّة في حياته. بعد عودته من فرنسا، صارح الفتاة رفيقته في الصّف بحبّه لها، وقد طلبنا يدها من أهلها في شهر تمّوز من السنة الماضية.

٣. هل دخل الجامعة؟

الوالدة: نعم، تخصصّ في الـ Education physique. كما نال ميداليّة في الـ Judo، وتفوّق على الجامعات في الشمال، كما تسلّم عملاً في الجامعة. كان مدير مدرسة "الليسيه" يحبه كثيراً، لذا كان يسلمه كل شيء في المدرسة، لأنّه كان يتحمّل المسؤولية كاملة.

شقيقه: حين لا يكون المرحوم هيثم في المركز، يبقى المركز دون حيويّة، لأنّه كان ينشّطه، بحركته، ومزحه المتواصل مع أعضاء الصليب الأحمر. كان هيثم يعيش كل يوم بيومه.

والدته: كان هيثم طموحاً، لا يفكّر بالماضي، بل بالمستقبل؛

لديه تفكير واسع. كان يفكر بمستقبل إخوته. قبل استشهاده، كان نهار خميس آخر مرّة رأته بها. جاء إلى البيت نهار الأحد مساءً وبسرعة. كان يقول لي أنه يهَيئ المنزل السفلي لكي يتزوج ويسكن فيه، لكنّه كان همّ إخوته يتقدّم على همّه. قال لي: "أنا يا ماما بُكرا بس إتزوج، رَحْ إسكن تحت، بس إخوتي وين رَحْ يقعدوا؟". فقلتُ له أن يفكر الآن في نفسه، ولا تهتمّ بإخوتك.

٤. كيف كانت حياته الإجتماعية؟

والدته: هيثم محبوبٌ جدًّا من الجميع. الجماهير التي أقبلت نهار دفنه إلى البيت كانت كثيرة جدًّا. كانوا يقولون: "نحننا جايين كرمال عيون المرحوم هيثم". نحن لم نكن نعرف أولئك الناس، وهو لم يكن يفرّق بين أي إنسان وإنسان أياً كان دينه أو طائفته. هذا يعني أن هيثم قد ضحّى أمام الناس وخدمهم. أنا فخورة لأنّ استشهاده كان شهادة بيضاء. لم يحارب يوماً ولم يسرق ولم يقاتل. كان على مثال السيّد المسيح الذي استشهد كرمي للناس. أنا فخورة لأنّ هيثم مات هكذا.

٥. ما الذي دفعه أن ينضمّ إلى الصليب الأحمر؟

والدته: لا أعرف من قال له. لكن هو الذي اختار أن يدخل الصليب الأحمر، هو اختار العمل الإنسانيّ. كما قلتُ لك، عندما كان صغيراً كان يمثّل دور الإسعاف. هذه الفكرة وهو صغير موجودة في رأسه، أو أن الله زرعها في رأسه.

٦. ما كانت نظرته للصليب الأحمر؟

والدته: عندما نال شهادة الفلسفة، كان عمره سبع عشرة سنة. كان يعيش في البيت بجو من الدرس. كنتُ أدرسُ معه، فيطلب مِنِّي أن أشرح له بعض الأمور، لأنِّي أنا معلِّمة في المدرسة. ولم يكن قد اختبر المجتمع. ولكن بعد أن دخل الجامعة، أصبح مجاله أوسع، إذ تعرّف إلى رفاقٍ جُدد. يذهبُ صباحاً، ثم يعود إلى البيت في وقتٍ متأخّر، لأنّه كان يعمل أيضاً في الجامعة لكي يساعد والده في القسط. كان يكلفنا قسطه في جامعة البلمند سبعة آلاف دولاراً أميركياً، ما عدا مصروفه الخاصّ، إذ يصل إلى التسعة آلاف دولاراً مع مصروفه في السنة. فكان يعودُ إلى البيتِ منهُمكاً. كما أنّ إخوته كانوا في مدارسٍ خاصّة.

٧. ما كانت نظرته إلى الأحزاب اليوم؟

والدته: لا لا لا! لم تكن الأحزاب تعني له شيئاً. كان أحياناً يسمع فيقول لي: "ليكي! بلّش هيدا يخوشق بالحكي"، أو "ليكي، هيدا والله حكي حلو". لم يكن لديه شخص معيّن لأيّ حزب، ولم يفكر يوماً أن يدخل حزباً.

شقيقه: إذا دخلت يوماً مركز الصليب الأحمر وتكلّمت عن الأحزاب أو السياسة، كانوا يسخرون منك قائلين: "شو جايبك من رواهن".

والده: أنا لم أدخل يوماً في حزب، ولا أنتمي إلى أيّ

حزب، هكذا المرحوم "هيثم" وإخوته أيضاً. لا يفضلون حزباً على آخر.

٨. كيف تقبلتم فكرة وجوده في نهر البارد؟

والده: إسأل هذا السؤال لوالده الذي كان يلحّ عليه لكي لا يذهب.

والده: ماذا يعمل في نهر البارد؟ إنه يساعد المحتاجين. هذا عمل إنسانيّ. قبل وفاته، غاب عن البيت أربعة أيام متتالية. فكان دائماً موجوداً في محيط مخيم نهر البارد، حيثما نصبوا خيام الصليب الأحمر. حين كان ينتهي من نهر البارد، كان يعود إلى عمله في التدريس. ينتهي من التعليم، يعود إلى نهر البارد. علم "هيثم" في مدرستين، ينتهي من الأولى، فيذهب إلى الثانية. في الفترة الأخيرة، كان المنزل بالنسبة له كفندق، ينام فيه فقط. كنا نراه دائماً على الطريق، ينقل الجرحى. نحن فخورون بهذا العمل.

٩. ماذا كان يخبركم عن أجواء المعركة في نهر البارد؟

والده: ما تكلم يوماً عن المعركة. كنتُ أسأله: "كم جريح نقلتو"، لم يكن يجاوب أبداً، فهو يحافظ دائماً على السرّ.

شقيقه: أنا في الصليب الأحمر، هناك شيء يسمى السريّة المركزيّة. فممنوعٌ على أيّ عنصُرٍ في الصليب الأحمر البوح بأمرٍ تخصّ هذه المؤسّسة. لم يكن يتكلم عن الأمور التي

تحدث، ليس فقط أنه في الصليب الأحمر، بل هو بطبعه إنسان كتوم. إذا سلّمته سرّاً، لا يستطيع أحدٌ بأيّ طريقة أن يعرف ذلك السرّ.

١٠. كيف كانت معنوياته أثناء خدمته في الصليب الأحمر؟

والده: كان لديه إندفاع كبير. إندفاعه قتله.

١١. هل أخبركم أنّه كان يشعر أنّه سيُستشهد؟ هل كان مستعداً للاستشهاد؟

والده: قال مرّة لخطيبته: "إذا كنتِ رِحْتِ وما رجعتِ، ديري بالكِ عَ خَيِّي". هذا ما قاله.

١٢. هل شعرتُم يوماً أنّه سيستشهد؟

والده: لو كان لديّ عشرة أولاد عسكري، لم أكن لأخاف عليهم من الموت، أكثر ممّا كنتُ أخافُ على "هيثم" من حادث سير في سيّارة الإسعاف. لأنّي كنتُ أرى بأيّة سرعة كانوا ينقلون الجرحى؛ لهذا كنتُ أخاف عليهم من حادث سير. أمّا بالطريقة التي استشهد بها، فما فكّرتُ بذلك يوماً من الأيام.

شقيقه: مرّت فترة، شعرتُ خلالها أنّه سيحصل شيء في هذا البيت. حين كنتُ أجلس لأدرس، كنتُ في وقتِ درسي أفكّر كيف سيكون عرس أخي "هيثم". وفي نفس الوقت، تنعكس

أفكاري وأرى البيت في حال حزن. لكن عندما كنتُ أفكرُ بالحزن، أفكرُ بجدّتي أطل الله عمرها، أنه سيأتي يومٌ وتموتُ فيه. لم أفكرُ يوماً أن "هيثم" أو أحد إخوتي سيموت. كنتُ أتخيّل دائماً كيف كنتُ سأهتمُ بعرسه، كيف سأنقل له باقات الأزهار إلى المطعم.

١٣. كيف تلقّيتم خبر الوفاة؟ ومتى؟

الوالد: خبرٌ مفاجئ.

شقيقه: كان امتحانٌ في المدرسة. عدتُ إلى المنزل، وارتحتُ قليلاً لأنّ الليلة الماضية سهرتُ على درسي. بعد نهوضي من النوم، تناولتُ طعامي، لكن شعرتُ بغصّةٍ مع كلّ لقمة. كانت أمّي تتنزّه خارج المنزل، وأصوات سيّارات الإسعاف كانت كثيرة. بعد أن دَخَلتُ أمّي إلى المنزل، قرأتُ على شاشة التلفاز: "مقتل عنصرين من الصليب الأحمر اللبناني". كان أخي الأكبر منّي والأصغر من "هيثم" في البيت، ألهمه قلبه وذهب إلى المستشفى. في تلك الأثناء، كنتُ أتصل على هاتف "هيثم": مُقفل. إتّصلتُ بمركز الصليب الأحمر، مشغول! في نفس النهار، حين استيقظتُ والدتي من النوم، دخلتُ غرفة "هيثم"، ورأتُ طيراً على باب غرفته، وهي تتشام من الطيور، فقالت لوالدي: "حاسّه بائو هالنهار ما رَح يَمْرُق بخير". فاحترتُ أنا ماذا أفعل. ذهبتُ على الفور عند عمّي، وقصدنا سوياً المستشفى، فرأيتُ شباب الصليب الأحمر مجتمعين. فسألتهم:

"وين هيثم؟"، قالوا لي: "ما صابو شي". فسألتهم: "إذاً مين مات؟" قالوا لي: "بولس". في هذه الأثناء، لم أعد أتحمّل أكثر، فشعرتُ بدوران، لكن سرعان ما عدتُ إلى صوابي. فقالوا لي إنَّ أخي مُصاب برجله. بعدها رأيتُ عمّي يخرج من المستشفى، فتوجّهنا إلى مستشفى آخر. وعندما وصلنا، رأيتُ أبي وأخي في السيّارة والدموع تنهمرُ على وجوههم. فسألتُ أخي هشام: "شو صار؟" فقال لي: "خَلَّص راح!". حين عدنا إلى المنزل؛ رأينا الكثير من الناس مجتمعين عندنا. أمّي لم تكن تعلم بشيء. صعدتُ إلى البيت، غمرتُ أمّي وقلتُ لها أن ترتدي اللباس الأسود.

الوالدة: لم أكن أعلم بشيء. عدتُ من المدرسة الساعة الواحدة، وأحضرتُ له الطعام، لأنَّ طعامه كان مميّزاً. فقلتُ إنَّ الساعة الثانية يأتي "هيثم" ويأكل الطعام ساخناً. صارت الساعة الثانية، والثالثة ولم يأت "هيثم". فسألتُ أخاه "هشام": "ليه خيِّك بعد ما رجع؟"، فقال أنّه ذهبَ إلى منطقة العبدّة. حوالي الساعة الرابعة، نزلتُ وتنزّهتُ مع الكلب الصغير الذي كان لـ"هيثم". فسمعتُ دوي انفجار كبير، فقلتُ: "يا ربّ، خلّص هالجيش". فصعدتُ فوراً إلى البيت، وفتّحتُ شاشة التلفاز، ورأيتُ أنّ هناك مقتل عُصريين من الصليب الأحمر. ركضتُ أدقّ الأبواب أطلب النجدة وأقول لهم: "دخلكن، ماتتُين من الصليب الأحمر، وإبني تحت". نزلتُ على الطريق، رأيتُ الكثير من الناس ينظرون إليّ ولم يقولوا لي شيئاً. كانوا يعلمون أنّ

"هيثم" قد مات، ونحن آخر من علمنا بالأمر. وبعد وصول والده وابني من المستشفى كما ذكر، علمتُ بوفاته.

الوالد: قبل ذهابه إلى الجامعة، قال لي: "أنا بدّي روح إترهب". هذا لأقول إنه كان لله حصّة كبيرة في حياته.

١٤. كيف هي ظروف حياتكم اليوم بعد رحيل هيثم؟

الوالدة: إحباط.

الوالد: "كلّ يوم عنّا نياحه بالبيت! إذا مش عبكرا، الظهر؛ إذا مش الظهر، المسا".

الوالدة: كنتُ أوقظه الساعة السابعة إلا عشر دقائق صباحاً، أمّا الآن فأنا مستفقدة لـ"هيثم"، لم أعد أوقظه صباحاً. أبخر غرفته دائماً وأصلي له. لا أصدّق أنّ "هيثم" مات!

والده: لدينا ثلاث وعشرون صورة في المنزل لـ"هيثم". والدته تبخرها كلّ يوم، وأنا أقبل الصّور كلّ يوم.

والدته: بعد موت هيثم قرأت الكتاب المقدّس خمس مرّات، لكي أحصل على جواب، هل إذا كان هيثم يراني، أو مرتاحاً في مكانه. لأنّي مشتاقة إليه كثيراً وأريد أن أعرف إذا كان يراني. قالت لي تلميذة "هيثم" إنّها رأت في منامها أنّ هيثم موجود في مكان جميل، وهو يطير الحمام الأبيض. بهذا الخبر إرتحت قليلاً واطمأننت.

١٥. ماذا تقولون للسياسيين في البلد؟

الوالد: "الله يجازيهم على أفعالهم".

الوالدة: "ما عندن ولاد؟". عندما كرم الجيش اللبناني شهداءه في جونيته، كانوا يضعون صور الشهداء، وفي الوسط كانوا يضعون صورة "بولس" و"هيثم". أتساءل: لماذا وضعتموها مع الموتى؟

شقيقه: يصل الإنسان أحياناً إلى حدود اليأس! أحياناً تراني أتمنى الموت.

والدته: لقد اشتبهت الموت قرب هيثم، لأرى ماذا يفعل الآن.

١٦. ماذا تقولون لعناصر ومتطوعي الصليب الأحمر؟

الوالد والوالدة: "الله يحمين".

١٧. هل تفتخرون أنكم أهل الشهيد؟

الوالد: إذا وجدنا من يقدر الشهادة، نعم نحن نفتخر. نحن نتمنى أن يكون هناك من يقدر الشهادة.

الوالدة: كنت أفضل أن أرى ابني عريساً، يرتدي بذلة العرس. الآن أنا فخورة لأنني أسمع صيته الحسن والجميل في كل مكان. إنني أفتخر بشهادة ابني البيضاء.

١٨. كيف وقفت مؤسّسة الصليب الأحمر إلى جانبكم بعد استشهاد هيثم؟ وهل ما زالت تُعنى بكم؟

الوالد: وقفوا بجانبنا، ولهم منّا أطيب الشكر. قدّموا ما يستطيعون. ولكن نحن قدّمنا أعلى ما لدينا. هم دائماً على اتّصال بنا. لا غُبار على مؤسّسة الصليب الأحمر.

الوالدة: فخر كبير لمؤسّسة الصليب الأحمر أن يُستشهد فيها عنصر عمره ٢٦ سنة. لكن الموت يبقى في حسرة قلوب أهله. ذهب من قلبنا.

١٩. هل تقبلون أن يدخل أحد أولادكم أو أحفادكم من جديد إلى الصليب الأحمر؟

الوالد: أخوه يُكمّل رسالته التي استُشهد من أجلها. لا مشكلة لدينا. بعد وفاة "هيثم" اختارَ شقيقه أن ينتسب إلى الصليب الأحمر.

شقيقه: كنتُ أقلد هيثم بكلّ شيء. لهذا اخترت أن أكمل مكانه الرسالة في الصليب الأحمر. فكانوا لي من الشاكرين.

٢٠. ماذا تقولون لأهالي شهداء الجيش؟

الوالد: "الله يريّح روح شهداؤن".

الوالدة: "الله يصبر قلب أمّاتن". كانوا يعرفون أنهم سيُستشهدون، دخلوا الجيش وهم على استعداد دائم: أو الموت أو الحياة.

٢١. ماذا تقولون لهيثم؟

الوالدة: بما أنه استشهد في شهر أيار، الشهر المريمي، أتمنى أن تكون نفسه مرتاحة في السماء. وأن يكون في حضن العذراء. وأن يكون من الصالحين، سعيداً في الحياة الأخرى.

هكذا أنهينا المقابلة، بدموع ذرفناها مع والدته ووالده وشقيقه. هكذا عرفنا فعلاً ما معنى الاستشهاد. ما معنى أن أمّاً وأباً فقدنا من أحبّا وربّيا. وعدنا إلى ديارنا صامتتين، متأمّلين بما قد سمعناه وعشناه، طالبين من الله أن ننعم بصلاة شهدائنا الأبرار، الذي بذلوا أنفسهم من أجل الإنسانية، من أجل محبة القريب. رحمهم الله.

حديث مع عائلة الشهيد بولس معماري^١

بعد أن وقع اختيار مجلّة "الأمل" على مقابلة أهالي شهداء الجيش اللبنانيّ في معارك نهر البارد، كانت أيضاً لشهيدَي الصليب الأحمر اللبنانيّ حصّة كبيرة بمقابلة أهلهما. فصدنا شمالي لبنان، حلبا والشيخ محمد بالتحديد، لنتقي بأهالي الشهيدين، لنجري معهم مقابلة، حتّى نتعرّف على مَنْ ضحّيّا بحياتهما ليُنقِذا أرواح من دافعوا عن شرف بلادهم.

قصدنا أولاً بلدة الشيخ محمد قرب حلبا، لمقابلة أهل الشهيد، فما إن وصلنا حتّى استقبلنا برحابة صدر. أجرينا المقابلة مع شقيقيّ الشهيد الدكتور ميشال معماري، والسيد بطرس معماري، وقد تغيب عن المقابلة والدة الشهيد لأنها ترفض فكرة موت ابنها، وشقيقتي الشهيد لأسباب شخصيّة. وقد دارت المقابلة على شكل أسئلة من ناحيتنا وأجوبة من ناحيتهما.

١. من هو الشهيد بولس معماري؟

ميشال: كان بولس ورشاً في صغره. كان قصير القامة ممّا جعل الأهل يظنون بأنّه سيبقى قصيراً. لكن في عمر الرابعة

١. راجع ملحق الصّور السادس، ص ٢٤٨

عشر، وبسرعة كبيرة، زاد طوله. لم يكن يحبّ العلم في المدرسة. حين وَصَلَ إلى صفّ البكالوريا في مدرسة القديس يوسف منيارة للراهبات، اعتقد الجميع أن النجاح سيكون حليف جميع التلاميذ في صفّه ما عدا "بولس". لم يكن يدرس إلا في الأيام التي تسبق الامتحانات، فيجلس في غرفة نومه، وينظر إلى صورة المسيح المعلّقة على الحائط. ونجح بولس متفوقاً في آخر السنة. وكان يقول لأمه: "هيدي الصورة، صورة المسيح، رح تبقى معي وين ما رحت. حتى ولو تزوّجت أو حتى سافرت رح آخذها معي". وبالفعل عندما توفي، وُضِعَت الصورة على قبره.

يومَ توفي والدي، كنتُ لا أزال أتابعُ دراستي في الخارج. فأصبح وضع البيت صعباً، ممّا منع "بولس" من الذهاب إلى الجامعة. بعدها دخل مؤسّسة الصليب الأحمر، ومكث فيها سبع سنوات. سعى إلى تأمين مصروفه، لا أعرف كيف، لأنني كنت مسافراً. من ثمّ عاد ودخل الجامعة العربيّة سنة ٢٠٠٢. ليدرس الحقوق. عمدت أمي دائماً إلى توجيهنا نحو العلم. لكن كان يداوم في الصليب الأحمر. لطالما أحبّ الصيد، كما أنه أحبّ الأولاد، والرياضة، وفيها كان دائماً الأول. دخل الصليب الأحمر، وبعد فترة قصيرة، أصبح رئيساً للفرع. أينما ذهب، يحبّ التفوق.

بطرس: أنا عاشرتُ بولس أكثر من ميشال، منذ بداية المدرسة

حتّى النهاية. كان يسبقني بصفٍّ واحد. أنا أيضًا دخلت الصليب الأحمر بعد سنتين من انضمامه إلى المؤسّسة ذاتها. حتّى الآن مضى ثماني سنوات على دخول المرحوم "بولس" الصليب الأحمر. بعد وفاة "بولس"، أشعر أنّي بتُ أفهم شخصيته بطريقة أفضل وأوضح. كنتُ أقول له أنه يجب عليه أن يعمل، في غير الصليب الأحمر، فكان يجاوبني بأنّه لا يترك الصليب الأحمر. لم يكن ليبحث عن عمل، وإذا فعل، لكان الشرط الأساسي أن يكون في بلدة عكّار، ليظلّ قريباً من الصليب الأحمر. كنتُ أقول له: "إنّ عمرك أصبح جيّداً للعمل، ألا تريد أن تجد عملاً لك؟". فكان يجاوبني: "يلاً يلاً"، وكأنّه كان يعرف أو يشعر بأنّ حياته لن تطول كثيراً.

٢. كيف كانت حياته الاجتماعيّة؟ ومع رفاقه؟

بطرس: أنا عشتُ معه، وأعرف ما كانت آراء رفاقه فيه. ما عرّفته عن حياته الاجتماعيّة جاءني عن طريق أصدقائه، وخصوصاً المنتسبين منهم إلى الصليب الأحمر. جميعهم كانوا يلجأون إلى "بولس" لحلّ مشاكلهم العائليّة. كانت شخصيته ملائكيّة، وكان ملاكاً موجود في قلبه. لم يكذب يوماً. لم يتكلّموا أمامه عنه، بل كانوا يكلموني منفرداً في غيابه. أنا لا أستطيع أن أكون مثله، كان عاقلاً جدّاً، ما كان يحبّ السهر، "ومش بعينو شي".

٣. كيف كانت أطباعه؟

كان يحبّ أن يستمع دائماً إلى أغاني حزينة، يبحث عن الهدوء. إنطَبَع وجهه بالعبوس، ممّا يجعلك تشعر بأنّه ليس سعيداً، وكأنّه حزين دائماً. كنتُ أشعر بأنّه لا يحبّ المرح. لطالما أحسّسنا أنّه حزين. لم يأبه يوماً للأشياء السطحيّة في الحياة. بالنسبة لـ"بولس" هذه كلّها كانت قشوراً. رغم هذه الطباع الحزينة، فإنّ كلّ مَنْ تعرّف إليه أحبه. الجميع أحبّوا "بولس".

٤. ما الذي دفع به للانضمام إلى الصليب الأحمر؟

بطرس: كان كلّما سمع صوت سيّارة الإسعاف، يسأل عن كيفية عملهم وماهيّته. أحبّ الخدمة منذ صغره، فالتحق بدورة في الصليب الأحمر ودخل إلى المؤسّسة. باختصار تميّز "بولس" بروح الخدمة حتّى قبل دخوله الصليب الأحمر. كان يحمل العجزة وحده، رغبةً بمساعدتهم. إذا أرادت البلدية في قريتنا أن تنظّم احتفالاً أو ما شابه، كانت تلجأ إلى "بولس" في الأمور التنظيميّة والخدماتيّة، لأنّه يعمل من كلّ قلبه وكلّ قواه، متّماً عمله حتّى النهاية. من هذا المنطلق دخل الصليب الأحمر، وأحبّه الجميع، فكان أصغر رئيس للصليب الأحمر سنّاً، في منطقة عكار.

٥. ما كانت نظرته للصليب الأحمر؟

ميشال: "كان الصليب الأحمر بدمو"، لم يكن يأتي إلى البيت. عندما كان يُسْمَعُ صَوْتُ القذائف، كانت شقيقته تطلب إليه أن يرحم نفسه قليلاً، وأن يفكر قليلاً بعائلته وبإخوته وبنفسه. فكان يجاوبها: "إنت بتعلمي، وبتحكي هالحكي! بدّل ما تقوليلي فوت ع قلب المخيم لجوا؟". غالباً ما كُنَّا نردُّ له أهميّة أن يكون لديه وظيفة للمستقبل، فكان يقول لنا: إذا وجدتم لي وظيفة بعد الصليب الأحمر، أدخل. كُنَّا نشجّعه لدخوله الأمن العام، أو الجيش أو الدرك، لم يكن يقبل. إلى أن قدّم طلباً في مجلس الخدمة المدنيّة في مستشفى الحكومة المجاور للمنزل. وعليه يصبح نظامه اليوميّ: من الساعة الثامنة صباحاً حتّى الثانية بعد الظهر في الصليب الأحمر، ومن الساعة الثالثة بعد الظهر حتّى الثامنة مساءً في وظيفته الجديدة. لكنّ الحظ لم يحالفه، إذ بعد وفاته بأسبوعين، جاء اسمه بأنّه قُبل في العمل الجديد.

٦. ما كانت نظرته إلى الأحزاب اليوم؟

ميشال: لم يكن لديه تمييز لأحد، خصوصاً وأنّ قوانين الصليب الأحمر تمنع التحيز لأحد.

بطرس: بصِفَتِهِ مَسْؤُولاً في الصليب الأحمر، كان عليه أن يقنّع بَعْدَم التحيز وإلّا ما استمرّ في رسالته. تَمَيَّزَ بالحياديّة. لم يكن يسمع أو يتكلّم أي حديث سياسيّ، حتّى إنّه لم يكن

يشاهد الأخبار.

٧. كيف تقبلتم فكرة وجوده في "نهر البارد"؟

ميشال: كنت أتكلّم إليه كلّ يوم أكثر من خمس مرات على الهاتف، فهو شخصٌ إندفاعيٌّ. فَرَضَ "بولس" شخصيَّته على الجميع منذ صغره. وأنا بصفتي أخاه الأكبر، كنت أتكلّم معه، ولكنّه لم يكن يسمع لي. لقد وَضَّحتُ له مراراً أنّه شابٌ في مقتبل العمر، وأننا في بلدٍ حيث "ما حدّا يبيحترِم حدّا"، وحيث يذهب حقّ الإنسان سُدى. ولكن بعد هذا الكلام كان يُطمئننا عن صحّته قائلاً أنّ الحرب بعيدة عن خيمة الصليب الأحمر.

بطرس: أنا شخصياً لم أكن أتّصل به إلاّ مرّة في الأسبوع، لأنّي أنا أيضاً في الصليب الأحمر. ما يخيفني هو السرعة أثناء قيادة سيارة الصليب الأحمر، فأنيّ خطأً أو حادث سير، يسبّب موتنا جميعاً. لكن كانت هناك قوّة كبيرة إلهية تكون معنا في سيارة الإسعاف. لم أكن أتوقّع لحظةً وقوع أي حادث للصليب الأحمر في ساحة المعركة في "نهر البارد"، لأنّ الصليب الأحمر يضع حدود خطأّ أحمر. أنا لديّ ثقة كبيرة في الله، فعندما يريد أن يحمي شخصاً، يحميه.

٨. كيف كانت معنوياته أثناء خدمته في هذه الحرب؟

بطرس: كان كثير الاندفاع. لم يكن يأتي إلى البيت كثيراً. لم يكن يهتمّ شيء. كان يقول: "اللي بدو يصير معي، بدو يصير مع

غيري، أنا مش أحسن من هالعسكر".

٩. هل شعرتم أنتم بأنه سيستشهد؟

بطرس: سأخبرك أمراً: منذ سنة تقريباً كان "بولس" على علاقة بفتاة. كانا متحابين كثيراً، ولكنهما انفصلا. توفي "بولس" نهار الإثنين، ولكن ليل الأحد رآته هذه الفتاة في منامها، بعد أن كانا على خلاف منذ فترة سنة. فإذا به في الحلم يأتي نحوها ويقبلها قائلاً: "أنا رايح، يلاً باي". استيقظت الفتاة الإثنين صباحاً، وأخبرت بالأمر أمها التي كانت دائماً ترفضه. فطلبت إليها أمها أن تتصل به. فسألتها الفتاة: كيف لي أن أتصل به، وقد مضى على خلافنا سنة؟ أصرت الأم على ابنتها بأن تتصل به، ولكنها لم تفعل. والمؤسف أنها علمت بوفاته في اليوم نفسه الساعة الثالثة.

وهناك شاب جاز لنا متطوع في الصليب الأحمر، قرّر أن يصعد في سيارة الإسعاف مع "بولس" مكان "هيثم سليمان" الشهيد الثاني، فمنعه "بولس" من الصعود بحجة أن لا يسقط شهيدان من القرية نفسها. قبل وفاته ببضعة أيام، سدّد كل ما عليه من دُيون طفيفة، كتعبئة الخليوي، وغيره. شعر بأن يجب أن يُسدّد كل ما هو عليه، رغم أنهم قالوا له لماذا العجلة؟ فكان مصرّاً على القيام بذلك.

نحن لم نشعر يوماً أنه سيستشهد. لم تخطر هذه الفكرة يوماً على رأسنا.

١٠. كيف تلقيتم خبر الوفاة؟ ومتى؟

ميشال: بينما كنتُ لا أزال أعمل في عيادتي لطبّ الأسنان، إتّصلتُ بي إبنة عمّي مرّتين دون أن أتمكّن من الإجابة على اتّصالها إذ كنتُ أعالج أحد المرضى. جاوبتُ عند ثالث محاولة لها للاتّصال بي. فسألتهَا إن كان هناك من أمرٍ خطير. فجاوبتني باكية، تقول لي: "بولس، ما بعرف شو بيه". سألتها عن مكانه، فقالت لي إنّه في المستشفى. تركتُ المريضَ وهَرَعْتُ إلى المستشفى، حيث التقيتُ بجمهورٍ غفير، أكثر من خمسمئة شخص أمام المبنى. دَخَلْتُ المستشفى وسألتُ عن "بولس"، فقالوا لي إنهم نقلوه إلى المستشفى الحكومي، وإلى المستشفى الحكومي لا يُرسلون إلاّ الجثث، فعلمتُ بذلك أنّ "بولس" قد توفّي. حين وصلتُ إلى المستشفى الحكومي، رأيتُ "بولس"، لمستهُ وكان ما يزالُ ساخناً، فغمَرتهُ وقبَلتهُ.

إنّ أمّي بالكاد مقتنعة بموت "بولس". نحنُ نشعر دائماً أنّه ما زالَ حيّاً. هذه القميص التي أرتديها هي له.

بطرس: كنتُ أعمل في جبيل، حوالي الساعة الرابعة والنصف. بعد وفاته بحوالي الساعة والنصف، إتّصل بي رفيقي وقال لي إنّ "بولس" محروق، وطلب منّي الحضور. حين قال لي هذا، توقّعتُ أن يكون الأمر خطيراً. طوال الطريق من جبيل إلى شيخ محمد، كنت خائفاً على "بولس"، فاتّصلتُ بشقيقي ميشال، وإذا به يبكي قائلاً لي: "خيّك راح! بولس راح!".

بَكَيْتُ بَدَوْرِي كَثِيرًا، وَأَتَيْتُ إِلَى الْمَسْتَشْفَى وَرَأَيْتُ، لَكِنْ لَمْ أَرَ "بولس" الَّذِي أَعْرَفَهُ! حَتَّى الْآنَ لَا أزالُ غَيْرَ مُسْتَوْعِبٍ مَوْتِ أَخِي.

١١. هل عرفتم من أحد كيف كانت ظروف استشهاده؟

ميشال: هناك إشاعات كثيرة حَوْلَ مَوْتِ "بولس". الخَبْرُ الْأَوَّلُ حَوْلَ اسْتِشْهَادِهِ، هُوَ أَنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ إِمْرَأَةٌ فِلَسْطِينِيَّةٌ مَجْرُوحَةٌ تَصْرُخُ لِلصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ، فَحِينَ أَتَى الصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ لِإِسْعَافِهَا، فَجَرَّتْ نَفْسَهَا. الخَبْرُ الثَّانِي هُوَ أَنَّ مَدْفِعِيَّةَ الْجَيْشِ إِنْفَجَرَتْ وَقَتَلَتْهُمَا. فَإِذَا انْفَجَرَتِ الْمَدْفِعِيَّةُ، يُمَحَى أَثْرُهُمَا، فِي الْوَقْتِ أَنْ بُولَسَ وَهَيْثُمْ لَمْ يُشَوِّهَا، بَلْ أَصَابَتْهُمَا بَعْضُ الشَّظَايَا. أَمَّا الصَّحِيحُ فَأَخَذْنَاهُ مِنْ مَتَطَوِّعَةٍ بِالصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ كَانَتْ مَعَهُ سَاعَةٌ اسْتِشْهَادِهِ. كَانَتْ هُنَاكَ خِيْمَةٌ مَنْصُوبَةٌ لِلصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ قَرَبَ مَخِيْمِ نَهْرِ الْبَارِدِ. كَانَتْ الْمَدْفِعِيَّةُ بَعِيدَةً عَنِ الْخِيْمَةِ حِوَالِ الْمِئْتَيْ مِتر. وَبَيْنَمَا كَانَ أَعْضَاءُ الصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ يَتَحَدَّثُونَ، أَتَى إِلَيْهِمْ جَنْدِي يَصْرُخُ لَهُمْ أَنْ يَسَاعِدُوهُ، لِأَنَّ كَانَ هُنَاكَ جَنْدِي مَجْرُوحٌ. فَقَالَ لَهُ "بولس" إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مَهَامِهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْمَنْطِقَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ وَيَسْحَبُوا الْجَرْحَى.

بطرس: الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْمَدْفِعِيَّةِ وَخِيْمَةِ الصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ مِئْتَيْ مِتر. حَدَثَ أَنْ سَقَطَتْ قَذِيفَةٌ "هَآوِن" عَلَى مَرْبُضِ الْمَدْفِعِيَّةِ. أُصِيبَ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْجُنُودِ، وَجَنْدِي وَاحِدٌ لَمْ يُصَبْ، فَرَكُضَ نَحْوَ خِيْمَةِ الصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ طَالِبًا الْإِسْعَافَ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ يَوْجَدُ

ثلاثة جنود على الأرض، وهو بحاجة إلى من ينقلهم معه. فعلى الفور، ركض بولس نحو الجنود دون أن يرتدي الدرع، فركض معه هيثم، فتحمّست الفتاة لتذهب معهما، فقالا لها بأن تبقى بانتظارهما. وقبل وصولهما إلى موقع المدفعية، وقع "الهاون" الثاني في وجههما، فأودى على الفور بحياتهما.

١٢. كيف هي ظروف حياتكم اليوم بعد رحيل بولس؟

بطرس: قبل موت بولس، لم نكن نعرف الحياة، كان الهمّ كيف نبنى المنازل، كنا نستخدم عقولنا فقط. الآن أصبحنا نشعر بروحنا.

ميشال: نحن ثلاثة إخوة في البيت، كأنا واحد، لم أذكر يوماً أننا تخاصمنا. بعد رحيل "بولس"، لم أعد أشعر بشيء، لم أعد أفرح بشيء. كل ما أتمناه هو أن ألتقي "بولس" لأنني مشتاق إليه.

١٣. ماذا تقولون للسياسيين في البلد؟

بطرس: لا نقول لهم شيئاً. نحن أقوى منهم، هم يسرون كالحواريف. نحن لم نتبع أحداً؛ هم يتبعون. صحيح أنهم كبار لديهم مال، ومسؤولون عن الدولة، لكنهم صغار. ونحن الكبار.

ميشال: كان بولس يحبّ أغنية "بحبّك يا لبنان يا وطني بحبّك". ماذا أقول للسياسيين، أقول لهم أن يعرفوا قيمة هذا البلد، وقيمة شعبه. الشعب اللبناني أينما يذهب يبقى قوياً. في

الجامعات، اللبنانيّ هو الأوّل في العلم وفي التهذيب. أينما كان اللبنانيّ يُعرَف بين كلّ الشعوب أنّه لبنانيّ من تهذيبه وشطارته، ومن لباسه وطريقة كلامه. لماذا كلّ العالم يفتخر باللبنانيّين، والسياسيّون هنا يدمروننا، ويقتلوننا؟ يجب أن يعرفوا فقط قيمة هذا البلد وهذا الشعب. حرامّ عليهم، الشعب اللبنانيّ هو أكثر شعب ناضل وتعذب.

١٤. ماذا تقولون لعناصر ومتطوعي الصليب الأحمر؟

بطرس: أقول لشبّان الصليب الأحمر أن يبقوا على اندفاعهم، ويبقوا واحداً مع الجميع ليتحصّن الوطن.

ميشال: شبّان الصليب الأحمر يكملون رسالة "بولس". بعد وفاة "بولس"، تشجّع الباقون للعمل بعزم ونشاط مُتَشَبِّهين به، وكثرت الطلبات للتطوُّع بالصليب الأحمر. لكي تحصل على شيء في هذا البلد، يجب أن تدفع ثمنًا، وربّما دمك.

١٥. هل تفتخرون أنّكم أهل الشهيد؟

بطرس: بماذا نفتخر بموت "بولس"؟ صارت المعركة وانتهت، مات العسكر واستشهد الكثير. لا نعرف كيف أتى الأعداء، ولا نعرف كيف ذهبوا. لا شيء مستحق للشهادة. أنا أفتخر أنّ أخي "بولس" شهيد الصليب الأحمر فقط. أنا أفتخر أنّه الآن مع ربّنا.

ميشال: نحن نفتخر.

١٦. كيف وقفت مؤسسة الصليب الأحمر إلى جانبكم بعد استشهاد بولس، وهل ما زالت تُعنى بكم؟

ميشال: هي فعلاً مؤسسة إنسانية، إنسانية مع الغريب، فكيف للغريب، ونحن أعضاء بها. هناك تواصل دائم بيننا وبينهم. قدّموا لنا كلّ الدعم عند وفاة بولس. نحن لهم من الشاكرين.

١٧. هل تقبلون أن يدخل أحد أولادكم أو أحفادكم من جديد إلى الصليب الأحمر؟

بطرس: نعم، ليس لديّ أي مشكلة بأن يدخل أحد أولادي في الصليب الأحمر.

ميشال: أنا لا أقبل أن يدخل أحد أولادي لا في الصليب الأحمر ولا في الجيش. لأنّي لا أريد أن أخسرهم كما خسرت أخي. حتّى الآن لا أعرف من قتل أخي. ألا يحقّ لي أن أعرف لماذا قتلوه؟

١٨. ماذا تقولون لأهالي شهداء الجيش؟

بطرس: "الله يصبرن". استشهد أحبّاءهم لأسباب سياسية. لستُ ناقماً على الدولة، لأنّي لا أعترف بها.
ميشال: "الله يصبرن".

١٩. ماذا تقولون لـ'بولس'؟

ميشال: نحن مشتاقون له. طلبي الوحيد هو أن أكون قرب

أخي. بعد موت "بولس" باتت الحياة صعبة وشاقة.
 بطرس: أنا لا أشعر أن "بولس" قد مات. لا أتقبل أن أخي قد
 مات! لهذا إذا تصرّفت خطأ، أشعر بأن "بولس" لا يريد أن أفعل
 ذلك الشيء فأغيّر. سأتبع خطّ بولس.

وهكذا أنهينا المقابلة مع شقيقي المرحوم بولس. غادرنا
 متأثرين للحالة التي تعيشها تلك الأسرة. ليس من السهل أن
 نفقد إنساناً في ربيع عمره، ضحى من أجل الإنسانية. لكن
 نحن نتعزى بفادينا الوحيد يسوع المسيح، الذي من أجلنا
 مات، وقام وهو حيّ وسيقيمنا. رحم الله بولس، وأسكنه فسيح
 ملكوته.

القسم الرابع

شهداء الجيش اللبناني
في معركة نهر البارد



شهداء الجيش في معركة نهر البارد^١

٢٠٠٧/٥/٢٠

- ١- النقيب روي أبو غزاله من مواليد ١٩٨٣/٦/٢٧ صيدا،
عازب.
- ٢- معاون إيلي موريس معلوف من مواليد ١٩٨٢/١/٣
رشميا - عاليه، عازب.
- ٣- معاون محمود محمد باكيش من مواليد ١٩٦٨/٧/١١
عيات - عكار، متأهل وله خمسة أولاد.
- ٤- معاون رياض قاسم عبدالله من مواليد ١٩٧٨/٢/٧
سرعين الفوقا - البقاع، عازب.
- ٥- الرقيب مازن فوزات الأعور من مواليد ١٩٧٠/٦/٤
قرنايل - بعدا، متأهل وله ولدان.
- ٦- الرقيب عبد السلام محمد صالح من مواليد
١٩٧٠/٢/٢١ القرنة - عكار، متأهل وله سبعة أولاد.
- ٧- الرقيب خالد عبد الجليل تليجي من مواليد
١٩٧٠/٢/٢٥ بزينا - عكار، متأهل وله ثلاثة أولاد.
- ٨- العريف مهدي محمد ديب المذبوح من مواليد
١٩٨٠/١/١٣ علي النهري - زحلة، عازب.

١ راجع ملحق الصُّور السابع، ص. ٢٤٩.

- ٩- العريف محمد أحمد علي من مواليد ١٩٨١/٥/٢٥ كفرتون، عازب.
- ١٠- العريف يحيى مصطفى المسلماني من مواليد ١٩٨٢/١٠/٥ ميناء طرابلس، عازب.
- ١١- العريف فاروق عز الدين المخلاطي من مواليد ١٩٨٤/٦/١ طرابلس، عازب.
- ١٢- العريف مؤمن عمر الحصني من مواليد ١٩٨٦/٦/١٢ طرابلس، عازب.
- ١٣- العريف بلال غزوان الحاج أحمد من مواليد ١٩٨٣/٣/٢٢ طاران - الضنية، عازب.
- ١٤- العريف محمد مالك رمضان من مواليد ١٩٨٦/١٢/٢٥ مشتى حمود - عكار، عازب.
- ١٥- العريف أحمد مصطفى المصري من مواليد ١٩٨٦/٨/١٤ بنين - عكار، عازب.
- ١٦- العريف باسم عزيز أحمد من مواليد ١٩٨٥/٧/١٣ عين الزيت - عكار، عازب.
- ١٧- العريف شادي محمود رستم من مواليد ١٩٨٧/٧/٨ عين الزيت - عكار، عازب.
- ١٨- العريف أحمد محمود الحمد من مواليد ١٩٨٥/٩/١٠ مار توما، عازب.
- ١٩- العريف جهاد خالد الشمطية من مواليد ١٩٨٧/٩/٨

- طرابلس، عازب.
- ٢٠- العريف ماهر حسن الحلاق من مواليد ١/١/١٩٨٨
وجه الحجر، عازب.
- ٢١- العريف يوسف حسين محمد من مواليد ٣/٥/١٩٨٤
وادي خالد، عازب.
- ٢٢- العريف محمد محمود نظام من مواليد ١/٨/١٩٨٧ ميناء
- طرابلس، عازب.
- ٢٣- العريف زياد أحمد حبلص من مواليد ١٥/١١/١٩٨٤
عيات، عازب.
- ٢٤- العريف عشير محمد البري من مواليد ١٨/٦/١٩٨٥
المقيلة، عازب.
- ٢٥- العريف محمد سهيل الحسين من مواليد ١٨/١/١٩٨٠
مجدلا - عكار، عازب.
- ٢٦- العريف أحمد مصطفى الشيخة من مواليد ٣/٩/١٩٨٢
سوريّا، عازب.
- ٢٧- العريف سعد محمد قاسم من مواليد ٤/٩/١٩٨٤
السديانة - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٥/٢١

- ١- العريف محمد خليفة الخضر من مواليد ١/٥/١٩٨٣
حرار - عكار، عازب.
- ٢- العريف فراس محمد صوفان من مواليد ١/٣/١٩٨٨ تل

معيان - عكّار، عازب.

٣- العريف روي أسعد البستاني من مواليد ١٣/١٠/١٩٨٦
خربة الجرد - عكّار، عازب.

٤- العريف ناصر حسن ناصر من مواليد ٢٣/٨/١٩٨٧
بيت حاويك - الضنية، عازب.

٢٠٠٧/٥/٢٢

١- الرقيب نزيه علي نادر من مواليد ٢٠/٦/١٩٧٢ عكّار
العتيقة، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٥/٢٣

١- العريف ربيع أحمد مصطفى من مواليد ١١/٤/١٩٨٤
حلبا - عكّار، عازب.

٢٠٠٧/٥/٢٤

١- الرقيب شوقي فرحان محمود من مواليد ٢/٨/١٩٦٦
الباروك - الشوف، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٥/٢٩

١- المعاون أول عبد الله موسى جرمش من مواليد
١٠/٩/١٩٦٢ القنطرة - عكّار، متأهل وله ثلاثة أولاد.

٢٠٠٧/٥/٣١

- ١- معاون حاتم علي الحاتم من مواليد ١٤/١٠/١٩٧١
التبّانة - طرابلس، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٦/١

- ١- معاون الأوّل علي محمد موسى من مواليد ٥/٢/١٩٦٤
بزال - عكار، متأهل وله خمسة أولاد.
- ٢- معاون الأوّل زكي مخائيل الرحباوي من مواليد
٢٧/٧/١٩٦٨ الشيخ محمد- عكار، متأهل وله أربعة أولاد.
- ٣- معاون الأوّل أحمد عبد الجواد حبلص من مواليد
٣٠/١/١٩٦٦ ذوق الحبالصة - عكار، متأهل وله
خمسة أولاد.

- ٤- الرقيب بلال رياض العامودي من مواليد
١٢/١١/١٩٧٩ طرابلس، متأهل وله ولدان.

- ٥- العريف محمود محمد الرحمون من مواليد ١٠/٩/١٩٨٥
البدّوي - طرابلس، عازب.

- ٦- العريف فادي أحمد الضناوي من مواليد ٢١/٣/١٩٨٧
طرابلس، عازب.

٢٠٠٧/٦/٢

- ١- النقيب المغوار مارون الياس الليطاني من مواليد
٢٨/٣/١٩٨٢ دير الأحمر - بعلبك، عازب.

- ٢- العريف سعد الله رياض مستو من مواليد ١٩٨٥/٥/٢٨
ميناء طرابلس، غازب.
- ٣- العريف محمود عبدالله خضر من مواليد ١٩٧٧/٥/٥
قبعيت - عكار، متأهل وله ثلاثة أولاد.
- ٤- العريف صقر نسيب أبو علي من مواليد ١٩٨٢/١/١٧
مرستي - الشوف، غازب.

٢٠٠٧/٦/٤

- ١- الرقيب جورج أنطوان عقل من مواليد ١٩٧١/٥/٧
بتدين اللقش - جزين، غازب.
- ٢- الرقيب عمر عماد الحاج من مواليد ١٩٨١/٩/١ برجا
- الشوف، متأهل بدون أولاد.

٢٠٠٧/٦/٧

- ١- الرقيب وليد أحمد عبده من مواليد ١٩٧٥/٧/٩
مشمش - عكار، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٦/٩

- ١- المؤهل حنا ابراهيم فاهمه من مواليد ١٩٧٦/٤/٢٥
رحبة - عكار، غازب.
- ٢- المعاون علي حسن محمودي من مواليد ١٩٨٠/٨/٢٣
جباغ - النبطية، متأهل بدون أولاد.
- ٣- الرقيب الأول رامي حسن صعب من مواليد

- ١٩٨١/١١/١٧ كحلونيّة - الشوف، عازب.
- ٤- الرقيب بسام جرجس أيوب من مواليد ١٩٧١/١٠/١ تل عباس الغربي - عكار، عازب.
- ٥- الرقيب جرجس انطانيوس البيسري من مواليد ١٩٧٤/١/٢٠ حواره - طرابلس، متأهل وله ثلاثة أولاد.
- ٦- الرقيب الياس ملحم البعيني من مواليد ١٩٧١/١١/١٤ القاع - بعلبك، متأهل وله ولد واحد.
- ٧- العريف عبد الرحمن المصطفى من مواليد ١٩٧٧/٣/١٩ الشيخ زناد - عكار، متأهل وله ولدان.
- ٨- العريف ماجد الياس جرجس من مواليد ١٩٨٧/٥/٦ حكر الشيخ طابا - عكار، عازب.
- ٩- العريف ساري قاسم العلي من مواليد ١٩٨٥/١/٣٠ عيات - عكار، عازب.
- ١٠- العريف خالد مصطفى سبسي من مواليد ١٩٨٠/٦/٢٥ عكار، متأهل بدون أولاد.
- ١١- العريف عبدالله محمد طالب من مواليد ١٩٨٤/١/١ بنين - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٦/١١

- ١- المؤهل مصطفى علي الضاحي من مواليد ١٩٧٧/٨/٢٧ السكسكية - بعبدا، متأهل بدون أولاد.

- ٢- الرقيب شادي حليم الجلبوط من مواليد ١٩٧٦/٢/٢٧ الخيام - مرجعيون، متأهل وله ولد واحد.
- ٣- العريف محمد عثمان الحسين من مواليد ١٩٨٤/٤/٩ حرار - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٦/١٢

- ١- الرقيب الأول جان جرجس الياس من مواليد ١٩٧٣/٣/٨ حردين - البترون، عازب.

٢٠٠٧/٦/١٣

- ١- الرائد خالد فؤاد مرشاد من مواليد ١٩٧٠/١/١٥ بيروت، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٦/١٥

- ١- المعاون أيمن صالح مشيمش من مواليد ١٩٨١/١١/١٠ كفرصير - النبطية، عازب.
- ٢- الرقيب علي رفيق موسى من مواليد ١٩٨٠/٨/٣ القصيبة - النبطية، متأهل بدون أولاد.
- ٣- العريف الياس حنا الأحمر من مواليد ١٩٨٥/١١/٢٢ سفينة الدريب - عكار، عازب.
- ٤- العريف ميلاد حنا سعادة من مواليد ١٩٨٣/١٢/٢٥ الأحمر - بعلبك، عازب.
- ٥- العريف عبدالله محمد اسماعيل من مواليد ١٩٨١/٦/١ قنيه - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٦/١٨

- ١- الرقيب الأوّل وسام محمّد شاكر من مواليد ١٩٨٠/٤/٢٤ مشحة - عكار، عازب.
- ٢- الرقيب خضر علي حروق من مواليد ١٩٧٠/١١/٢١ بطرماز - الضنية، متأهل وله ستة أولاد.
- ٣- العريف روني بطرس النجار من مواليد ١٩٨٦/٥/٢٣ المعلقة - زحلة، عازب.
- ٤- العريف إيلي مطانس جرجس من مواليد ١٩٨٤/٥/١٨ قريات - عكار، عازب.
- ٥- العريف محمّد فاروق الحلاق من مواليد ١٩٧٥/٢/١٢ النبي يوشع - المنيه، عازب.

٢٠٠٧/٦/١٩

- ١- الرقيب الأوّل نقولا فهمي نعيمة من مواليد ١٩٧٢/٦/٧ حمانا - بعبدا، متأهل وله ولدان.
- ٢- الرقيب أسامه منير السيوفي من مواليد ١٩٨٠/٥/١ طرابلس، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٦/٢٣

- ١- الرقيب الأوّل عياش حمد رستم من مواليد ١٩٦٨/٩/٦ عكار العتيقة - عكار، متأهل وله ولدان.
- ٢- الرقيب جاد جوزف مخلوف من مواليد ١٩٨٠/١٠/١٦

القاع - بعلبك، عازب.

٣- العريف لويس ابراهيم حرب من مواليد ١٩٨٣/٤/٢٥
رحبة - عكار، عازب.

٤- العريف رامي سمير حمزة من مواليد ١٩٨٦/١/١
القلمون - طرابلس، عازب.

٢٠٠٧/٦/٢٤

١- العريف طالب حسين الخطيب من مواليد ١٩٨٤/٤/٢٠
لبايا - البقاع الغربي، عازب.

٢٠٠٧/٦/٢٥

١- الرائد فادي ابراهيم عبدالله من مواليد ١٩٦٨/١١/١٨
شحيم - الشوف، متأهل وله ولد واحد.

٢- العريف خالد أحمد طالب من مواليد ١٩٨٣/١٢/١٧
مشمش - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٦/٢٨

١- العريف جورج أسعد نعمة من مواليد ١٩٨٥/٦/١٩
حرف أردو - زغرتا، عازب.

٢٠٠٧/٦/٢٩

١- المعاون أول علي محمد عكوش من مواليد ١٩٧٨/٦/٢٠
السعوديّة، محلّ القيد: الخرايب - بعدا، متأهل بدون أولاد.

٢٠٠٧/٧/١٠

١- العريف جنيد عثمان عبدالله من مواليد ١٩٨٦/٤/٢٠
عكّار العتيقة - عكّار، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٢

١- الرائد وليد ياسين الشعار من مواليد ١٩٦٩/٨/٢٧
عكّار العتيقة، عازب.

٢- معاون الأوّل المغوار خليل محمّد شومان من مواليد
الصويري - البقاع الغربيّ، متأهّل وله ولدان.

٣- معاون المغوار ملحّم سعيد المعلّم من مواليد
١٩٧٧/١٠/١٦ ذلهون - الشوف، عازب.

٤- الرقيب المغوار محمود محمّد درويش من مواليد
١٩٧٩/١١/٢٥ عكّار العتيقة - عكّار، متأهّل بدون
أولاد.

٥- العريف علي عوض كنعان من مواليد ١٩٨٠/٩/١
علاق التل - بعلبك، عازب.

٦- العريف أركان كمال عقل من مواليد ١٩٨٥/٨/١ العقبة
- راشيا، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٣

١- معاون المغوار وليد محمود الحاج من مواليد ١٩٨١/٤/٢٦
عكّار العتيقة-عكّار، متأهّل وله ولد واحد.

٢- الرقيب محمّد أحمد الحجيري من مواليد ١٩٨٠/١٢/٢٣ عرسال - بعلبك، متأهل بدون أولاد.

٣- العريف محمّد حسن الحجيري من مواليد ١٩٨٤/٤/١ عرسال - بعلبك، عازب.

٤- العريف طلال قاسم الخاف من مواليد ١٩٨٠/٣/١٦ الحلوسية - صور، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٤

١- الرقيب محمّد دياب دره من مواليد ١٩٧٨/٨/١١ مقنة - عكار، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٧/١٥

١- الرقيب المغوار بسام محمّد عيشة من مواليد ١٩٨٠/٨/١٣ مشمش - عكار، متأهل بدون أولاد.

٢- الرقيب إدوار جرج خطار من مواليد ١٩٨١/١٢/١٩ حدشيت - بشرّي، عازب.

٣- العريف المغوار مصطفى خضر الشامي من مواليد ١٩٨٦/٤/١٥ بيت أيوب - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٦

١- النقيب علي أحمد سميدي من مواليد ١٩٨٠/١١/٤ سانتوس - البرازيل، عازب.

٢- العريف داني شحاده حنّا من مواليد ١٩٨٥/٧/٢٥ بيت
ملات - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٧

١- معاون الأوّل جعفر اسماعيل معاوية من مواليد
١٩٦٢/١/١٨ حوش تلصفيه - بعلبك، متأهل وله أربعة
أولاد.

٢- الرقيب المغوار أسامة نور الدين الرفاعي من مواليد
١٩٨٠/١/٢٦ بنين - عكار، متأهل بدون أولاد.

٣- العريف مصطفى حسين ملص من مواليد ١٩٨٢/١/١
المنية - عكار، عازب.

٤- العريف علي أحمد شمص من مواليد ١٩٨١/١١/١٢
الكواخ، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٨

١- معاون الأوّل غطّاس طنّوس طربيه من مواليد
١٩٦٨/١/٤ عندقت - عكار، متأهل بدون أولاد.

٢- الرقيب المغوار الياس داني عازار من مواليد ١٩٧٧/٢/٢
الباشورة - بيروت، متأهل بدون أولاد.

٣- العريف يحيى محمّد الأشقر من مواليد ١٩٨٥/٦/١
وادي الجاموس - عكار، عازب.

٤- العريف المغوار محمود علي أحمد من مواليد

١٩٨٥/٩/٢٠ شوكين - النبطية، عازب.

٢٠٠٧/٧/١٩

- ١- المعاون الأوّل المغوار بسام خضر جوهر من مواليد ١٩٧٨/٦/٥ بينين - عكار، متأهل وله ولد.
- ٢- العريف أحمد حسن عبد الفتاح من مواليد ١٩٨٦/٦/١٦ عيات - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٧/٢٢

- ١- الرائد طوني خليل سمعان من مواليد ١٩٧٠/١٠/١٦ أبلح - زحلة، متأهل وله ولد واحد.
- ٢- المعاون الأوّل أحمد محمد فرحات من مواليد ١٩٦٨/٥/١٧ المزرعة - بيروت، متأهل وله ثلاثة أولاد.
- ٣- العريف أحمد خالد محرز من مواليد ١٩٨٦/١/١٦ حرار - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٧/٢٤

- ١- العريف محمد أحمد أيّوب من مواليد ١٩٨٠/١٠/١٢ جنتا - بعلبك، متأهل وله ولدان.
- ٢- العريف محمد أحمد جنيد من مواليد ١٩٨٦/١٢/١٤ عكار العتيقة - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٧/٢٦

- ١- المقدم المغوار ابراهيم يوسف سلوم من مواليد ١٩٦٧/١٢/٤ عين ابل - بنت جبيل، متأهل وله ابنتان.
- ٢- معاون الأول المغوار سعادة طانس مخلوف من مواليد ١٩٧٢/٤/١٨ القاع - بعلبك، عازب.
- ٣- العريف حسن محمد غصن من مواليد ١٩٨٣/٦/١٣ شمسطار - بعلبك، عازب.

٢٠٠٧/٧/٢٨

- ١- الرقيب الأول يوسف حسين شومان من مواليد ١٩٧٠/٥/١ سرعين الفوقا - البقاع، متأهل وله ثلاثة أولاد.

٢٠٠٧/٧/٢٩

- ١- الرقيب الأول علي ناظم حمية من مواليد ١٩٨٤/٧/٤ طاريا - بعلبك، عازب.

٢٠٠٧/٨/١

- ١- النقيب حسام محمد بو عرم من مواليد ١٩٨١/٤/٢٢ البرجين - الشوف، عازب.
- ٢- الملازم أول جورج ميشال فهد من مواليد ١٩٨٣/٦/٢٠ القبيات - عكار، عازب.

٣- العريف محمد غازي معين من مواليد ١/٨/١٩٨٤ عزقى
- الضنيّة، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢

- ١- الرائد غالب أحمد قلوّط من مواليد ٢٥/١٢/١٩٦٨
الخيّام - مرجعيون، متأهل بدون أولاد.
- ٢- المعاون المغوار عباس حسين الكموني من مواليد
٣/٨/١٩٧٨، متأهل وله ولدان.
- ٣- الرقيب بيار أمين بو ضلع من مواليد ٢٥/٢/١٩٧٧ كفر
حبو - طرابلس، عازب.
- ٤- العريف عبدالله مصطفى عويك من مواليد ١/١/١٩٨٦
برج اليهودية، عازب.
- ٥- العريف راجح جميل وردة من مواليد ٢١/٣/١٩٨٢
عيّات - عكّار، عازب.

٢٠٠٧/٨/٣

- ١- الرقيب المغوار جورج بطرس تنوري من مواليد
١٨/١٠/١٩٧١ قاع الرّيم - زحلة، عازب.

٢٠٠٧/٨/٤

- ١- الرقيب حسين خليل كرّني من مواليد ٢٠/٤/١٩٧٣
عرسال - بعلبك، عازب.

٢٠٠٧/٨/٦

١- معاون الأوّل المغوار صلاح خالد سكّريه من مواليد ١٩٧٥/٦/١٨ الفاكهة - بعلبك، متأهل دون أولاد.

٢٠٠٧/٨/٧

١- العريف عباس محمد علي فواز من مواليد ١٩٧٦/٤/٨ العباسية - صور، عازب.

٢٠٠٧/٨/٨

١- معاون ريمون توفيق عيسى من مواليد ١٩٧٥/١٠/١ الشيخ طابا - عكار، متأهل وله ولد واحد.

٢٠٠٧/٨/١٣

١- العريف مصطفى محمد برغل من مواليد ١٩٨٤/٩/٤ بينين - عكار، عازب.

٢٠٠٧/٨/١٨

١- الرقيب المغوار محمد ياسر الابراهيم من مواليد ١٩٧١/٨/٥ التل - طرابلس، متأهل وله ثلاثة أولاد.

٢٠٠٧/٨/١٩

١- العريف طارق مصطفى حمود من مواليد ١٩٨٥/١١/٥ عيات - عكار، عازب.

٢- العريف المغوار محمّد خضر الخضر من مواليد ١٩٨٤/١/١ وادي الجاموس، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢٠

١- العريف محمّد حسين جمل من مواليد ١٩٨٤/١/٢ القبة - طرابلس، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢١

١- الرقيب المغوار جاك ميلاد ساسين من مواليد ١٩٧٣/١١/٢ شكا - البترون، عازب.

٢- العريف أحمد علي عبلة من مواليد ١٩٨٥/١١/١٠ الريحانة - طرابلس، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢٢

١- الرائد المغوار ميشال جبّور مفلح من مواليد ١٩٧٢/١٢/٣ بعدا، متأهل وله ولدان.

٢٠٠٧/٨/٢٥

١- المؤهل المغوار وليد علي صالح من مواليد ١٩٧١/٣/٨ بعلبك، متأهل وله أربعة أولاد.

٢- الرقيب عصام أحمد المسلماني من مواليد ١٩٧٨/١٢/٢٤ الجديدة - بعلبك، عازب.

٣- العريف حسن ابراهيم باكير من مواليد ١٩٨١/٢/٣

مشتى حمّود - عكّار، عازب.

٤- العريف عباس مشهور المصري من مواليد ١٩٧٩/٦/١ الكواخ - عكّار، متأهل وله ولد واحد.

٥- العريف حسين نصر الدين علاء الدين من مواليد ١٩٨٣/٢/٢٢ سحمر - البقاع الغربي، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢٧

١- العريف صبحي علي العباس من مواليد ١٩٨٧/٧/١ الروضة - البقاع الغربي، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢٨

١- العريف حسن محمد نور الدين من مواليد ١٩٨٦/٧/٥ عيات - عكّار، عازب.

٢٠٠٧/٨/٢٩

١- العريف خالد حسن خلف من مواليد ١٩٨٣/٤/٢٣ الجديدة - بعلبك، عازب.

٢٠٠٧/٨/٣٠

١- معاون الأّول المغوار وسام محمد حمدان من مواليد ١٩٧٧/٨/١٣ الشوف، متأهل بدون أولاد.

٢- العريف علي محمد هوشر من مواليد ١٩٨٤/١/٢١ عيات - عكّار، عازب.

٢٠٠٧/٩/١

- ١- العريف أحمد عارف السيد أحمد من مواليد ١٩٨٥/٥/١ النبي يوشع، عازب.
- ٢- العريف مصطفى أحمد سيف الدين من مواليد ١٩٨٥/٧/٢ شعت - بعلبك، عازب.

٢٠٠٧/٩/٢

- ١- الملازم الأوّل علي مصطفى نصار من مواليد ١٩٨٣/٧/٨ كفرحتي - صيدا، عازب.
- ٢- الرقيب الأوّل علي خضر الأشقر من مواليد ١٩٨٢/٥/٥ القرقف - عكار، عازب.
- ٣- الرقيب الأوّل المغوار ناصر مصطفى حسن من مواليد ١٩٧٨/٢/٢٠ عكار، عازب.
- ٤- العريف علي خالد الرفاعي من مواليد ١٩٨٤/٢/١ قرقف - عكار، عازب.
- ٥- العريف محمد هادي زغيب من مواليد ١٩٨٤/٩/١٠ يونين - بعلبك، عازب.
- ٦- العريف المغوار بسام أحمد طالب من مواليد ١٩٨٣/٣/٦ عيات - عكار، عازب.
- ٧- العريف علي راشد الوهم من مواليد ١٩٨١/٨/٨ مجدلا، متأهل وله ولد واحد.

٢٠٠٧/٩/٤

١- العريف سمير كامل طنّوس من مواليد ١٩٨٨/٣/٢٤
الشيخ طابا - عكّار، عازب.

٢٠٠٧/٩/٩

١- المقدم المغوار صبحي أسعد العاقوري من مواليد
١٩٧٠/٤/٢٣ بعلبك، متأهل وله أربعة أولاد.

٢٠٠٧/٩/١١

١- المعاون نبيل محمّد سليم من مواليد ١٩٧٦/١٢/٢٠
جباع - الشوف، متأهل وله ولد واحد.

٢٠٠٧/٩/١٢

١- المعاون الشهيد عصام نجم عباس من مواليد
١٩٦٨/٤/٢٠ المجدل عكّار، متأهل وله سبعة أولاد.

٢٠٠٧/٩/١٦

١- المعاون المغوار مصطفى محمّد طالب من مواليد
١٩٧٢/٨/١٠ بنين - عكّار، متأهل وله ثلاثة أولاد.

مُحَقِّقُ الصُّورِ

إعداد:

الأخ ربيع شليطا

